

# الألة والأداة في القرآن الكريم

## معجم ودراسة

رسالة تقدمت بها

شذى معيوف يونس الشماع

إلى

مجلس كلية التربية في جامعة الموصل  
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير  
في اللغة العربية

بإشراف

الأستاذ المساعد

الدكتور هاني صبري علي اليونس



اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا  
مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ  
دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ  
يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ  
لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمٌ

سورة النور

سورة النور الآية: ٣٥

## قائمة المختصرات

المختصر	دلالاته
ت	توفي
د / ت	دون تاريخ طبع
د / م	دون مكان طبع أو دون مطبعة
ص	صفحة
د.	دكتور
م. ن.	المصدر نفسه

## ثبت المحتويات

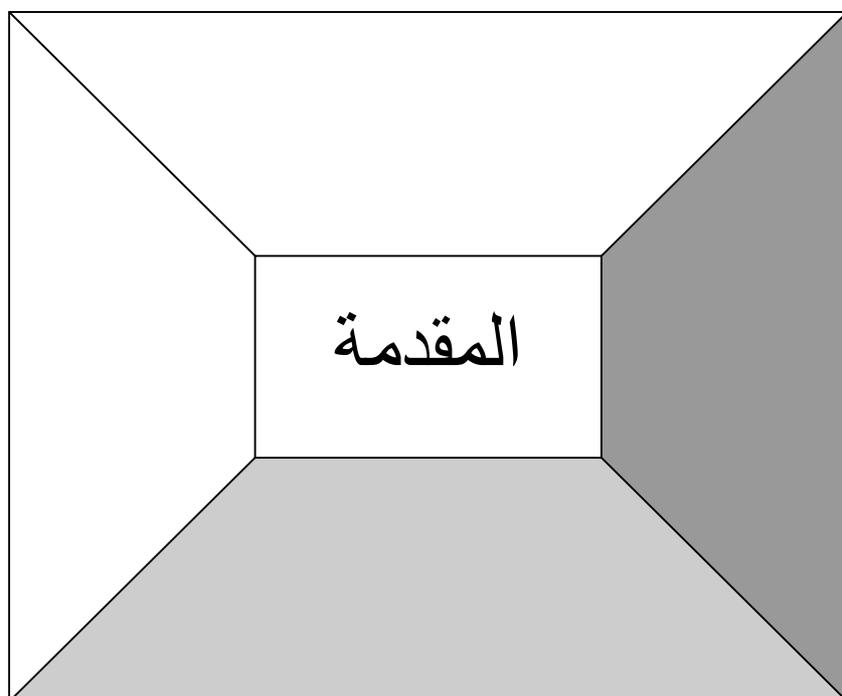
الصفحة	الموضوع
٤-١	المقدمة
١٤-٥	التمهيد : الآلة والأداة ومعايير التمييز بينهما
١٥	ألفاظ الآلة والأداة في القرآن الكريم
١٦	١- حرف الهمزة
١٨-١٦	١ - ١ : الإباريق
٢٠-١٩	١ - ٢ : الأرائك
٢٣-٢١	١ - ٣ : الازلام
٢٦-٢٤	١ - ٤ : الأسفار
٢٨-٢٧	١ - ٥ : الأسلحة
٣١-٢٩	١ - ٦ : الأسورة - أساور
٣٤-٣٢	١ - ٧ : الأصفاد
٣٧-٣٥	١ - ٨ : الأعلام
٤٠-٣٨	١ - ٩ : الأغلل
٤٢-٤١	١ - ١٠ : الأقفال
٤٤-٤٣	١ - ١١ : الأكواب
٤٧-٤٥	١ - ١٢ : الإمام
٤٩-٤٨	١ - ١٣ : الأئمة
٥١-٥٠	١ - ١٤ : الأوتاد
٥٢	٢- حرف الباء
٥٥-٥٢	٢ - ١ : الباب - الأبواب
٥٨-٥٦	٢ - ٢ : البساط
٥٩	٣- حرف التاء
٦١-٥٩	٣ - ١ : التابوت
٦٤-٦٢	٣ - ٢ : التتور
٦٥	٤- حرف الجيم

٦٧-٦٥	٤ - ١ : الجارية - الجوار
٦٩-٦٨	٤ - ٢ : الجذع - الجذوع
٧١-٧٠	٤ - ٣ : الجفان
٧٢	٥- حرف الحاء
٧٧-٧٢	٥ - ١ : الحبل - الحبال
٨١-٧٨	٥ - ٢ : الحديد
٨٢	٦- حرف الخاء
٨٥-٨٢	٦ - ١ : الخزائن
٨٧-٨٦	٦ - ٢ : الخيام
٩٠-٨٨	٦ - ٣ : الخيط - الخياط
٩١	٧- حرف الدال
٩٢-٩١	٧ - ١ : الدُسر
٩٤-٩٣	٧ - ٢ : الدلو
٩٥	٨- حرف الذال
٩٦-٩٥	٨ - ١ : الذراع
٩٨-٩٧	٨ - ٢ : الذنوب
٩٩	٩- حرف الراء
١٠١-٩٩	٩ - ١ : الرباط
١٠٣-١٠٢	٩ - ٢ : الرَّحْلُ - الرَّحَال
١٠٥-١٠٤	٩ - ٣ : الرَّقِّ
١٠٧-١٠٦	٩ - ٤ : الرَّقِيم
١٠٩-١٠٨	٩ - ٥ : الرَّمَاح
١١٠	١٠- حرف الزاي
١١٢-١١٠	١٠ - ١ : الزُّبُر
١١٤-١١٣	١٠ - ٢ : الزجاجة
١١٦-١١٥	١٠ - ٣ : الزرابي
١١٧	١١- حرف السين
١٢١-١١٧	١١ - ١ : السبب - الاسباب
١٢٣-١٢٢	١١ - ٢ : السجل

١٢٦-١٢٤	١١ - ٣ : السراويل
١٢٩-١٢٧	١١ - ٤ : السراج
١٣١-١٣٠	١١ - ٥ : السُرُر
١٣٤-١٣٢	١١ - ٦ : السفينة
١٣٧-١٣٥	١١ - ٧ : السقاية
١٤٠-١٣٨	١١ - ٨ : السكين
١٤٣-١٤١	١١ - ٩ : السلسلة - السلاسل
١٤٦-١٤٤	١١ - ١٠ : السِّلْمُ
١٤٨-١٤٧	١١ - ١١ : السوط
١٤٩	١٢- حرف الصاد
١٥٣-١٤٩	١٢ - ١ : الصَّحْفَة وَالصَّحِيفَة
١٥٦-١٥٤	١٢ - ٢ : الصواع
١٥٩-١٥٧	١٢ - ٣ : الصور
١٦٠	١٣- حرف الطاء
١٦٢-١٦٠	١٣ - ١ : الطبق - طباق
١٦٣	١٤- حرف العين
١٦٧-١٦٣	١٤ - ١ : العرش
١٦٩-١٦٨	١٤ - ٢ : العروة
١٧٤-١٧٠	١٤ - ٣ : العصا
١٧٧-١٧٥	١٤ - ٤ : العمد
١٧٨	١٥- حرف الفاء
١٨٠-١٧٨	١٥ - ١ : الفتيل
١٨٣-١٨١	١٥ - ٢ : الفراش
١٨٦-١٨٤	١٥ - ٣ : الفُكُّ
١٨٧	١٦- حرف القاف
١٨٨-١٨٧	١٦ - ١ : القُدُور
١٩١-١٨٩	١٦ - ٢ : القرطاس - قرطيس
١٩٤-١٩٢	١٦ - ٣ : القسطاس
١٩٦-١٩٥	١٦ - ٤ : القلائد

٢٠٠-١٩٧	١٦ - ٥ : القلم - الاقلام
٢٠٣-٢٠١	١٦ - ٦ : القوارير
٢٠٦-٢٠٤	١٦ - ٧ : القوس
٢٠٧	١٧- حرف الكاف
٢٠٨-٢٠٧	١٧ - ١ : الكأس
٢١٣-٢٠٩	١٧ - ٢ : الكتاب
٢١٨-٢١٤	١٧ - ٣ : الكرسي
٢١٩	١٨- حرف اللام
٢٢٢-٢١٩	١٨ - ١ : اللوح - الالواح
٢٢٣	١٩- حرف الميم
٢٢٥-٢٢٣	١٩ - ١ : المائدة
٢٢٧-٢٢٦	١٩ - ٢ : الماعون
٢٣٠-٢٢٨	١٩ - ٣ : المتاع
٢٣٣-٢٣١	١٩ - ٤ : المتكأ
٢٣٦-٢٣٤	١٩ - ٥ : المتقال
٢٣٨-٢٣٧	١٩ - ٦ : المشكاة
٢٤٢-٢٣٩	١٩ - ٧ : المصباح - المصابيح
٢٤٥-٢٤٣	١٩ - ٨ : المعارج
٢٤٨-٢٤٦	١٩ - ٩ : المفاتيح
٢٥١-٢٤٩	١٩ - ١٠ : المقاليد
٢٥٣-٢٥٢	١٩ - ١١ : المقامع
٢٥٦-٢٥٤	١٩ - ١٢ : المكيال
٢٥٨-٢٥٧	١٩ - ١٣ : المنسأة
٢٦٢-٢٥٩	١٩ - ١٤ : المهدي - المهاد
٢٦٧-٢٦٣	١٩ - ١٥ : الميزان
٢٦٨	٢٠- حرف النون
٢٦٩-٢٦٨	٢٠ - ١ : الناقدور
٢٧٢-٢٧٠	٢٠ - ٢ : النصب - الأنصاب

٢٧٤-٢٧٣	٢٠ - ٣ : النمارق
٢٧٥	٢١- حرف الواو
٢٧٧-٢٧٥	٢١ - ١ : الوثاق
٢٧٩-٢٧٨	٢١ - ٢ : الوعاء - أوعية
٢٨٣-٢٨٠	الخاتمة
٢٩٥-٢٨٤	ثبت المصادر والمراجع
-	الملخص باللغة الانكليزية



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) وعلى اله وصحبه أجمعين. من المعروف أن اللغة العربية شأنها عظيم في الدين والدنيا لأنها وسيلة الفهم ونيل المعرفة وسبيل التدبر المحكم لشريعة الله سبحانه وتعالى، وهي وسيلة التواصل بين الناس لذا كان لها شأن وحضور في المجتمعات، ويكفيها فخراً أنها لغة القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين، وظلّ معيناً لا ينضب ينهل منه الدارسون، هذا الكتاب – المعجزة – الذي عجز الأُنس والجنان على الآتيان بمثله والذي فتح لنا الباب على مصراعيه للولوج إلى سبل الحياة بتفهم وتعقل ومعرفة ليس بعدها معرفة، وعلم لا جدال فيه، ويقين، لا شك بعده.

وبهذا فقد استلزم اختيار البحث وقتاً ليس بالقليل للعثور على موضوع في الدرس اللغوي القرآني وبعد ذلك تم التوصل إلى عنوان البحث باقتراح من أستاذي الدكتور هاني صبري المشرف على أعداد رسالتي وبفضل إشاراتة العلمية وإرشاداته السديدة تم تسجيل البحث بعنوان (الآلة والأداة في القرآن الكريم معجم ودراسة) وبعد حصر الألفاظ الدالة على الآلة والأداة في القرآن الكريم بحسب فهمي المتواضع "وللجوامد فقط" تبين أن التعاطي مع مثل هذه المفردات البحثية يحتاج إلى متابعة غير عادية وسياحة أكثر عمقاً مع التفاسير ومعاجم اللغة كما تبين أن البحث في هذا الموضوع يحتاج إلى تأسيس خاص لأنه حسب علمي لم يبحث بدراسة مستقلة أعتمد عليها. وإن كانت بعض جوانبه قد درست سابقاً فشكل هذا عارضاً وقتياً آخر متابعاتي قليلاً.

هذا فضلاً عن أن التعاطي مع دلالة بعض المفردات ضمن السياق القرآني يحتاج إلى دقة وذهنية تخصيصية ابتداءً وانتهاءً. ناهيك عن ضرورة توافر رؤية جادة تتمكن من توليف الدلالة مع التفسير الموروث لمعنى المفردة (الآلة والأداة) عند شيوخ اللغة والتفسير – ويجب عدم التغافل عن تسجيل قلة المصادر الأولية والمراجع التي يمكن اعتمادها وعدم كفايتها في تحديد دقيق لمسار بحثنا. وتأتي أهمية الدراسة من كونها دراسة قصدية التزمت الكشف المباشر المتخصص للسماعي المطروق والحسي المباشر لكثير من المفردات – قيد الدراسة

— وبمعنى ان الدراسة تنحى إلى تأسيس منهجي يميل إلى رصد معجمي لتلك المفردات ومن ثم الكشف عن وجوه الدلالة فيها بحسب طابع الاستخدام على الوجوه الحقيقية والمجازية.

والذي أردنا توضيحه من السياق العام في الدراسة هو تبيان التأويلات القرآنية لمرادات — الله سبحانه وتعالى — من ذكر الآلات والأدوات في القرآن الكريم. وما الحكمة من ذكرها ؟ لأننا كما نعلم لسنا بحاجة إلى معرفة وظيفة أداة أو أكثر نحن نعلمها أصلاً ونتعرف إليها في استخداماتنا اليومية، لكن مراد الله من وراء زج هذه المفردة أو تلك يقود إلى معانٍ وسياقات أعمق وأكثر دقة من وصف آلة أو أداة نستخدمها وهي قريبة من مدارك عقولنا — وتصوراتنا. وبهذا فقد اقتصرنا المتابعة على توثيق الآلات والأدوات من صنع البشر ذات الاستخدام اليومي ولم نتطرق إلى بعض الآلات والأدوات التي من صنع الله سبحانه وتعالى مثل لفظة " الأيدي، والحيوانات، والنجوم " وقد يضيق المجال في رصفها وقد تشتت الموضوع وتشعبه وتبعده عن مساره المنهجي المرسوم، ومن ثم يتطلب ذلك جهداً ووقتاً إضافياً خارج نطاق المدة المقررة.

ومن دراسة ما اجتمع من مادة لغوية، اقتضت طبيعة المادة أن تقوم على تناول المفردات التي تحمل دلالة الآلة والأداة على وفق ترتيب حروف المعجم — الترتيب الهجائي — وقد تعدد دلالة المفردة حسب السياق القرآني لها، وبهذا فقد تأتي المفردة غزيرة وشاملة وقد تأتي مقتصرة على معنى واحد من غير توسع في الاستعمال. ونتيجة لذلك الاختلاف الحاصل في الاستعمال القرآني للألفاظ كثرة أو ندرة لذا تفاوتت مساحة البحث في الألفاظ.

وعليه فإن خطة البحث لا ترمي إلى تشكيل مناخ إحصائية بحثه وإنما معالجة منهج تحليلي وتتبع الاستخدام الوظيفي للآلة والأداة في النص القرآني مما اقتضى تتبع المفردات ومعانيها مع الأصل الذي وضعت له والاعتماد على أقوال المفسرين الذين رقدوا الفهم الدلالي على وفق ما تستحق المفردة.

وقد أوجب كل هذا الرجوع إلى كتب الصرف وكتب النحو التي حددت مقاييس لاسمي الآلة والأداة وفق عملية استقرائية سماعية ثم شكلوا منها معايير اشتقاق اسم الآلة وعلى الأقل حصره في أطر ناظمة له. وكله مبين في تمهيد يتقدم الدراسة وقفنا فيه على تعريف للآلة والأداة لغة واصطلاحاً، وطرائق بحثهما والتمييز بينهما ومعايير صياغتهما.

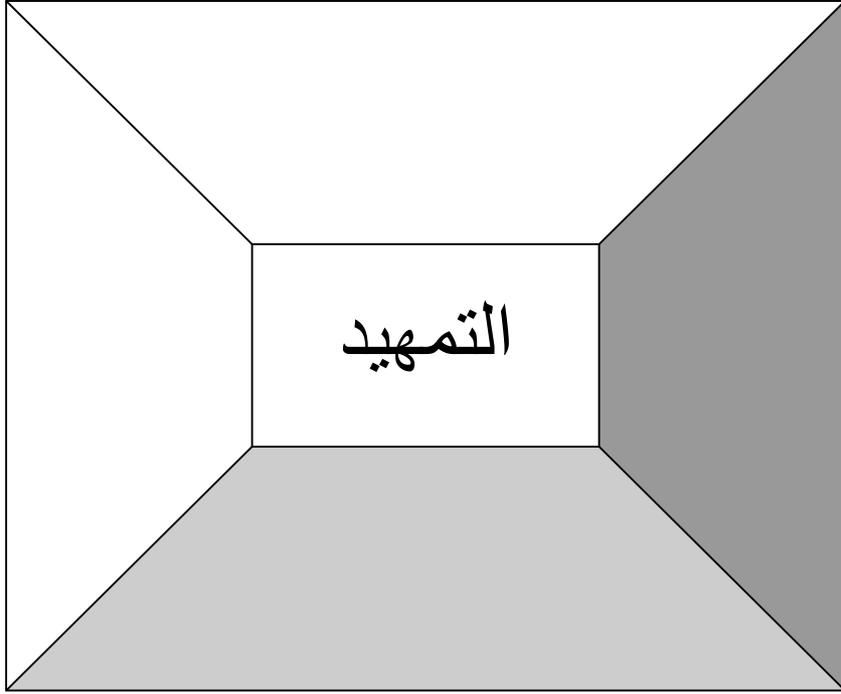
ولأن الشكر واجب لازم نعبر به عن امتناننا إزاء من علمونا فأني اذكر بالفضل والعرفان أستاذي الفاضل الدكتور هاني صبري المشرف على أعداد الرسالة لما أبداه من

عناية حاذقة في تصحيح كتاباتي الأولية وتوجيه مسار منهجي العام وإرشادي إلى افضل الطرق سواء في تنظيم المتن أم في ترتيب الأفكار والى كل ذي فضل يذكّر فيشكر.

وأخيراً فإن الدراسة جهد أردت به من ضمن طموحاتي الكثيرة أن ارفد المكتبة بجهد شخصي يخدم الحركة العلمية في بلدنا العزيز فان أحسنت فالحمد لله وان بانّت هفواتي فلي فضل المحاولة. وأرجو من الله جلا وعلا احتساب اجري مع بقية المجتهدين المخلصين له الحمد أولاً وأخيراً...

### الباحثة

شذى معيوف الشماع



## التمهيد

### أولاً : الآلة والأداة لغةً واصطلاحاً وطرائق بحثهما

اللغة العربية واحدة والثقافة العربية واحدة، ومما يوجب الحرص على بقاء اللغة العربية والثقافة العربية موحدتين يوجب مقابل ذلك إيجاد مصطلح موحد متفق عليه في الأقطار العربية كافة كيلا تنتشعب اللغة العربية لوجود أسماء متعددة لمسمى واحد فتفقد آنذاك وحدتها التي هي سر بقائها وخلودها وللحصول على المصطلح الموحد والدال على المقصود بالمدلول ثمة طرائق تتفق مع طبيعة اللغة العربية ومن إحدى الطرائق ((الاشتقاق)) وصولاً إلى فرع من فروعها وهو (اسم الآلة) لما لهذا المشتق من أهمية في الدلالة على الأدوات والآلات وما أكثرها في هذا العصر الذي يعج بالمبتكر فيها<sup>(1)</sup>.

### الآلة لغة

الآلة لغة : الأداة والجمع الآلات. والآلة : واحدة الآل والآلات وهي خشية تُبنى عليها الخيمة. والآلة أيضاً الجنازة وكذلك تعني الحالة يقال : هو بآلة سوء<sup>(2)</sup>.

وجذر الآلة (أل) فالهمزة واللام في المضاعف ثلاثة أصول : منها اللّمعان في اهتزاز والصوت والسبب يحافظ عليه. وقيل : آل الشيء إذا لمع، وقيل : سميت الحربة آلة للمعانها وأل الفرس ينل ألاً. إذا اضطرب في مشيه، وقيل : الآلة الحربة والجمع الإلّ وقيل : وسميت الآلة لأنها دقيقة الرأس<sup>(3)</sup>. والآلة كذلك تعني : ((السلاح وجميع أداة الحرب، ومنها المئَلُ : القرن الذي يُطعن به، وحكى بعض اللغويين انه قال في الآل الذي هو أهل الرجل وعياله))<sup>(4)</sup>.

(١) ينظر : التتمية اللغوية ودور الاشتقاق فيها، شحادة الخوري، مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد ٢٩ ١٩٨٧م، ص ١١.

(٢) ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار، ط ١، (دار الملايين، القاهرة : ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) : ٤ / ١٦٢٧-١٦٢٨.

(٣) ينظر : مقاييس اللغة، احمد بن فارس، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (مطبعة مصطفى البابي، مصر : ١٩٦٩م) : ١ / ١٨-١٩.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ط ٣ (دار صادر، بيروت : ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) : ١١ / ٢٣-٢٤.

واصل الآلة عند التهانوي ((أهلٌ بدليل تصغيره على أهيل : وقيل اصله أول فانه نقل عن الأصمعي انه سمع من أعرابي يقول آل واويل وأهل وأهيل. وردّ بأنه لا عبرة بقول الأعرابي، وهذا مذهب الكوفيين كما أن الأول مذهب البصريين في جامع الرموز الآل في الأصل اسم جمع لذوي القربى ألفه مُبدله عن الهمزة المبدلة عن الهاء عند البصريين وعن الواو عند الكوفيين والأول هو الحق، ثم لفظ الآل مختص، بأولي الخضر كالأنبياء والملوك ونحوهم يقال آل محمد (ﷺ) وآل علي (ﷺ) ولا يضاف إلى الأراذل ولا المكان والزمان ولا إلى الحق سبحانه وتعالى))<sup>(1)</sup>.

وقد ذكر انستاس الكرملّي أن جمع الآلة : الآت ولكنها عند أطباء العرب : مجموع أعضاء تقوم بعملها الخاص بها وهي بالفرنسية *Organs appareit*<sup>(2)</sup>، وقيل انه يذكر ويؤنث، أما الآل بمعنى الشخص أو عمد الخيمة فمذكر وقيل : انه جمع آلة فإذا كان كذلك، فهو يذكر على اللفظ ويؤنث على المعنى<sup>(3)</sup>، وقد عرف أصحاب مجمع اللغة العربية الآلة بانها : ((أداة الطرب، عمود الخيمة و- الحالة و- الشدة، و الآلة الحدباء : سرير الميت. وأداة العمل البسيط، وفي علم (الميكانيكا) جهاز يؤدي عملاً بتحويل القوى المحركة المختلفة إلى قوى إليه مثل : الآلات التي تحرك السفن، والتي تجر القطر... الخ، وتنسب كل آلة إلى القوة التي تحركها فيقال الآلة البخارية والآلة الكهربائية (جمع) آل الآت))<sup>(4)</sup>.

وقيل أيضاً إن الآلة في المذهب الفلسفي شيء مركب من أجزاء محكمة الترتيب تسمح بنقل الحركة أو بصنع بعض الأشياء<sup>(5)</sup>.

(1) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، تصحيح : محمد وجه واخرين (د/م، كلكتة : ١٨٦٣م) :

.٨٨ /١

(٢) ينظر : المساعد، الكرملّي، تحقيق : كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي (مطبعة الحكومة، بغداد :

١٩٧٢م) : ١ / ٢٦٥.

(٣) معجم المؤنثات السماعية العربية الدخيلة، حامد صادق قنيسيبي (دار النفائس بيروت : ١٩٨٧م)، ص

.٥٥

(٤) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى واخرون (المكتبة العلمية، طهران، د/ت) : ١ / ٣٣.

(٥) ينظر : المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية واللاتينية، د. جميل صليبا (دار الكتاب اللبناني،

بيروت : ١٩٧١م)، ص ٢٧.

## الأداة لغةً

أدو : ((الهمزة والذال والواو كلمة واحدة، والمراد منه يقال اذا يَأدوا أدواً. وهذا شيء مشتق من الأداة لأنها تعمل أعمالاً حتى يُوصل بها إلى ما يراد.. وقيل : أن الألف التي في الأداة لا شك أنها واو لأن الجمع أدوات، و أداة الحرب : السلاح))<sup>(١)</sup> وقيل : ((أن العرب تقول : أخذ هَدَاتُهُ في أدَاتِهِ، على البديل، وقد تأدى القوم تأدياً إذا أخذوا العِدَّةَ التي تقويهم على الدهر وغيره، ولكل ذي حرفة أداة : وهي آلتُهُ التي تُقيم حرفته))<sup>(٢)</sup>، وقد ذهب الرصافي إلى أن الأداة هي الآلة جمعها أدوات<sup>(٣)</sup>.

## الآلة اصطلاحاً

والآلة هي ((الواسطة بين الفاعل والمنفعل في وصول أثره إليه كالمنشار للنجار والقيد الأخير لإخراج العلة المتوسطة كالأب بين الجد والابن، فانها واسطة بين فاعلها ومنفعلها الا انها ليست بواسطة بينهما في وصول اثر العلة البعيدة إلى المعلول))<sup>(٤)</sup>. واما اسم الآلة فهو ((اسم مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي المتعدي للدلالة على ما وقع الفعل وبواسطته وهو قسمان جامد ومشتق وأوزان المشتق هي :

أ. مَفْعَلٌ كَمِبْرَدٌ

ب. مِفْعَالٌ كَمِنْشَارٌ

ج. مِفْعَلَةٌ كَمِرْوَحَةٌ

وقد يكون اسم الآلة جامداً غير مأخوذ من مصدر الفعل ولا ضابط لأوزانه كالفأس والساطور والقدوم والسكين والناقور<sup>(٥)</sup>. وعلى هذا يكون اسم الآلة عند النحاة والمناطقية

(١) مقاييس اللغة : ١ / ٧٣.

(٢) لسان العرب : ١٤ / مادة (أدا).

(٣) ينظر : الآلة والأداة، الرصافي، تحقيق : عبد الحميد الرّشودي (المركز العربي للطباعة والنشر، بيروت : ١٣٣٧هـ)، ص ١٧.

(٤) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (الدار التونسية للنشر، تونس : ١٩٧١م)، ص ١٩.

(٥) دروس في قواعد اللغة العربية، محي الدين الأنصاري، ط ١ (مطبعة الفرات، بغداد : ١٩٢٨م)، ص ١٠-١١.

واللغويين والصرفين : ((اسم يؤخذ من مصدر الفعل الثلاثي للدلالة على الأداة التي يصنع بها الفعل، أو إنه اسم لما يعمل به، مبدوء بميم زائدة مثل منجل، ومجرّفة، ومحرّث))<sup>(١)</sup>.

### الأداة اصطلاحاً

عند النحاة والمنطقيين ((هو الحرف المقابل للاسم والفعل))<sup>(٢)</sup>، وفي اصطلاح النحويين تعني الأداة : ((الكلمة تستعمل للربط بين الكلام أو للدلالة على معنى في غيرها كالتعريف في الاسم والاستقبال في الفعل (جمع أدوات))<sup>(٣)</sup>.

وبعد كل هذه الثوابت اللغوية والاصطلاحية للأداة ولأداة التي تعمل أعمالاً يتوصل بها إلى ما يراد وطبيعة وظيفتها في الاستخدام بأنها الشيء الذي تحقق المعالجة به أو تنقل ويعمل به في الأسماء، على الرغم من أن القدماء من اللغويين والنحويين قد أشاروا إلى هذه المعالجة أمثال سيبويه حين قال : المقص (آلة) بدلالة معالجة القص الذي يقص به، أما المحلب فهو (أداة) لا يعالج بها بل وعاء لحفظ الشيء<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من جهود القدماء الكبيرة فانهم لم يتوسعوا في البحث عن اسم الآلة والأداة كغيره من مباحث اللغة بحكم بساطة آليات الحياة القديمة وعدم تعقدها كما الآن، فبقي الحال عليه لدى المتأخرين في عصر لاحقة ففقدوا مطلق اسم الآلة وأوزانها واستعمالها على وفق تصور الأقدمين<sup>(٥)</sup>، وعلى هذا فقد بحثت هذه القاعدة في كتب اللغة على طريقتين مختلفتين، سارت كل منهما على منهج، أولهما : تقوم على الاستقراء اللغوي ومراعاة الاستعمالات العربية الأصلية، فنقعد ولا نقعد، فتناولت اسم الآلة من ناحية أبنية بعض صيغها الاشتقاقية التي تلحق أولها ميم مكسورة للتفريق بينها وبين صيغ أسماء المكان والمصدر التي تكون على شاكلتها وتفتح ميمها، لأن العرب كانت تفرق بين دلالات الصيغ المتشابهة

(١) محاضرات في علم الصرف، د. علي جابر المنصوري واخرون (بيت الحكمة، بغداد : د/ت)، ص ٤٤ وينظر : جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ط ١٥ (المكتبة العصرية، بيروت : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

(٢) كشف اصطلاح الفنون : ١ / ١٠٠.

(٣) المعجم الوسيط : ١ / ١٠.

(٤) ينظر : الكتاب، عمر بن عثمان (سيبويه)، تحقيق : عبد السلام هارون، ط ٢ (دار الجيل للطباعة، مصر : ١٩٨٢م) : ٤ / ٩١-٩٤.

(٥) ينظر : نظرات فاحصة في قواعد رسم الكتابة العربية وضوابط اللغة، محمد بهجة الاثري، ط ١ (مطابع الشؤون الثقافية، بغداد : ١٩٩١م)، ص ٢٧.

بالحركات وغيرها. فنقول مثلاً (مَقَصُّ) للشيء الذي يَقَصُّ به، (مَقَصُّ) للمصدر والموضع الذي يكون فيه القَصُّ<sup>(1)</sup>، وهذا ما أشار إليه سيبويه في (الكتاب) إيجازاً (باب ما عالجت به)، بقوله ((بان كل شيء يعالج به فهو مكسور الأول كان فيه تاء التأنيث، أو لم تكن مثل مَنْجَل ومِقْرَاض مفتاح مصباح))<sup>(2)</sup>، هكذا يعبر سيبويه عن (الآلة) لا بلفظها بل بملحوظها وهو قوله ((ما يعالج به))<sup>(3)</sup>.

وقيل في المكحلة وأخواتها : لم يذهبوا بها مذهب الفعل، ولكنها جعلت أسماء لهذه الأوعية، يعني أن المكحلة ليست لكل ما يكون فيه الكحل، ولكنها اختصت بالآلة المخصوصة، وكذا أخواتها<sup>(4)</sup>.

أما بعض أئمة الكوفيين أمثال الكسائي، فقد أشاروا إلى دلالة الآلة فيما كان من الآلات ما يُوضع ويُرفع مما في أوله ميم فاكسر الميم أبداً على مَفْعَل ومِفْعَلَة... يفهم من ذلك أنهم أتوا بصريح لفظ الآلة غير أن مفهومها هو (ما يوضع ويرفع)<sup>(5)</sup>، في حين قال ابن السكيت في هذا المجال ((كل اسم في أوله ميم زائدة على مَفْعَل ومِفْعَلَة، مما يُنْقَل أو يُعْمَل به، فهو مكسور الأول نحو مطرقة ومروحة))<sup>(6)</sup>، وبهذا ترى أن منحى الأوائل في صدد ذلك هو بحث بناء مَفْعَل ومِفْعَلَة وضبط حركة الميم التي تلحقهما بالكسر لما يُنْقَل أو يُعْمَل به من الأسماء، وبالفتح للمكان أو المصدر<sup>(7)</sup>.

(١) ينظر : نظرات فاحصة في قواعد رسم الكتابة العربية وضوابط اللغة، ص ٢٨.

(٢) الكتاب : ٩٤-٩٥ / ٤ وينظر : نظرات فاحصة، ص ٢٧، ٢٨.

(٣) ينظر : نظرات فاحصة، ص ٢٩.

(٤) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستربادي، تحقيق : محمد نور الحسن واخرون (دار الكتب العلمية، بيروت : ١٩٧٥م)، ص ١٨٧، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، ط ١ (مكتبة النهضة، بغداد : ١٩٦٥م)، ص ٢٩١، معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، ط ١ (جامعة الكويت، الكويت : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)، ص ١٢٨.

(٥) ينظر : نظرات فاحصة، ص ٢٨ واسم الآلة، حسين والي، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي (المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة : ١٩٣٦م)، ص ٣٨٤.

(٦) إصلاح المنطق، ابن السكيت، تحقيق : احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط ٢ (دار المعارف، مصر : ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م)، ص ٢١٨ وينظر : شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي يعيش (عالم الكتب، بيروت : د/ت) : ١١١-١١٢.

(٧) أدب الكاتب، ابن قتيبة، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤ (مطبعة السعادة، مصر : ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣م)، ص ٤٤٩.

والطريقة الثانية : هي طريقة تناول القاعدة على منهج بحثها بالتحليل المنطقي، ومن الذين نادى بها الزمخشري معرّفاً اسم الآلة بحيث تحس بان تعريفه لها يوهم لأول وهلة إنه بسبيل من نهج الأوائل، ونص تعريفه ((اسم الآلة هو ما يعالج به الشيء وينقل، ويجيء على صيغة : مَفْعَل، ومَفْعَلَةٌ، ومِفْعَالٌ))<sup>(١)</sup>.

فيلاحظ أن الشطر الأول من تعريف الزمخشري منقول من الطريقة العربية أي من ابن السكيت مع فرق واحد هو الواو في نصه... ولكن شطره الآخر قد عدل عن طريقة الأوائل في تناول الباب من جهة التفريق بين دلالة حركة ميم مَفْعَل ومَفْعَلَةٌ بالكسر والفتح وإلى حصر الاشتقاق بهذه الصيغ الثلاث التي أخذها من سيبويه، ولم ينبه كما نبه سيبويه إلى قلة مفعال فجعلها كلها على مستوى واحد من الشيوخ دون غيرها من صيغ الآلة الاشتقاقية المتعددة في اللغة العربية<sup>(٢)</sup>.

ثم جاء الخالفون فأضافوا قيوداً جديدة، وصاغوا قاعدتهم صياغات متنوعة ران عليها الاختلاف والاضطراب وهي كثيرة لا مجال لنقلها ملخص هذه النقول في ثلاثة أمور :

**الأمر الأول :** إنها تحصر اشتقاق اسم الآلة بالفعل، وعلى أن يكون معلوماً ثلاثياً متعدياً وتمنعه من اللزوم والمزيد من أسماء الأعيان وان ورد في كلام العرب عشرات بل مئون من الاسماء المشتقة.

**الأمر الثاني :** أنها تقصر الأوزان الاشتقاقية على : مَفْعَل ومِفْعَال ومَفْعَلَةٌ على اختلاف في أيهما هو الأصل.

**الأمر الثالث :** أنها اختلفت في قياساتها، فقال الاكثرون : يطرد مَفْعَل ومِفْعَال ومَفْعَلَةٌ، وقاس بعضهم على مفعل ومفعال، ومنع القياس على مَفْعَلَةٌ واشترط آخرون السماع فيها كلها، ومنعوا أن يطبق القياس ويعمل به إلا في المسموع<sup>(٣)</sup>. هذا وذاك لا يصح أساساً لقاعدة لأن القواعد تبنى على استقراء الجزئيات ومناحي اللغة في استعمالاتها، لكننا لو عدنا إلى ما ذكرنا فان أقوال علماء اللغة الأوائل في الكلام على طريقة الاستقراء اللغوي اهتدينا إلى انهم إنما عرفوا منها قول سيبويه وحده في المعنى العلاجي الذي استنبطوا منه شرط اشتقاق اسم الآلة من الفعل الثلاثي المتعدي دون غيره، وإلى جانبه أيضاً أقوال لغيره من علماء

(١) المفصل في علم العربية، محمود بن عمر الزمخشري، ط ٢ (دار الجليل، بيروت : د/ت)، ص ٢٣٩.

(٢) ينظر : نظرات فاحصة، ص ٣٠.

(٣) ينظر : م. ن.، ص ٣١-٣٢.

اللغة<sup>(١)</sup> بعد كل هذا التفصيل يلاحظ أن أوزان أسماء الآلة والأداة لا تتحصر فعلاً في ثلاثة كما توهمه قاعدة النحاة، لأننا لسنا بصدد استقصاء للبحث عن كلمات جاءت على صيغة اسم الآلة ولم يتوافر فيها شرط النحويين، ولكن لو فعلنا ذلك لجمعنا من ذلك الشيء الكثير مما اشتقت عليها العرب من الأفعال اللازمة وغير الثلاثية ومن المصادر وأسماء الأعيان، أمثال المكحلة من الكحل الذي يوضع في المكحلة، وليست من فعل كحل حتى تكون اسم آلة له، وإنما آتته تسمى المكحل والمكحال<sup>(٢)</sup>، إذن العرب قد تشتق مثلاً الاسم من الفعل المتعدي وتريد به المعنى العلاجي الذي يوصل اثر الفعل إلى منفعله، كالمقَص والمنشار... وتشتق أيضاً من الفعل اللازم لتدل على قيام المعنى بنفسه، وان مدلوله هو غير مدلول المشتق من الأفعال المتعدية كالمغْرِف والمِصْبَاح والسَّرَّاج<sup>(٣)</sup>، إذن الأمر متعلق بالمعالجة التي تقع باسم الآلة فهي على هذا تختلف باختلاف نوع العمل الذي يعالج بها سواء أكانت المعالجة حقيقية أم اعتبارية، مثال ذلك قولنا (المئذنة) بكسر الميم وهي المنارة التي يؤذن المؤذن من فوقها – فهي من أذن المزيد على الثلاثي، فالمؤذن الذي يريد أن يسمع الناس أذانه، لا يقدر على ذلك في ارض الشارع أو بين البيوت فيتوسل إلى غرضه بالمئذنة فيرتقى عليها فيسمعهم صوته من فوقها فالمئذنة إذن آلة لأنه يتوسل بها إلى الغرض، وهو إسماع الناس الأذان، وان لم يحصل هذا التوسل بطريقة المعالجة الحقيقية كالمعالجة بالمفتاح والمنشار<sup>(٤)</sup>.

## ثانياً : التمييز بين الآلة والأداة ومعايير صياغتهما

ومن الملاحظ من كلام المعاجم والمتداول من كتب اللغة أن الآلة والأداة لفظان مترادفان أوقعتهما العرب على معنى واحد كما نقول السيف والعضب، وهو مذهب لبعض علماء اللغة في المترادفات، وان كثرة الألفاظ للمعنى الواحد إذا لم تكثر بها صفات هذا المعنى كانت ضرباً من العبث، ويتساق مع هذا المذهب ما ذكرناه آنفاً من قول ابن السكيت ((ما يعتمل به أو ينقل))، الذي استنتجت منه أرادته التفريق بين الآلة والأداة، بدليل التمثيل للقاعدة

(١) نظرات فاحصة، ص ٣٢-٣٣.

(٢) ينظر : اسم الآلة، حسين والي، ص ٣٨٥.

(٣) نظرات فاحصة، ص ٣٤.

(٤) اسم الآلة، حسين والي، ص ٣٨٩.

بأسماء تنوعت دلالات ما اشتقت منه من تعديه ولزوم فلا جرم بين الآلة والأداة فرقا لأن الآلة التي يعالج بها وتكون واسطة بين الفاعل ومنفعله في وصول أثره إليه هي غير الأداة التي يتفرق بها، وهذا القول بوجود الفرق بينهما إنما يجري بسبيل من دلالة تنوع العرب الاشتقاق في هذا الباب من الأفعال المتعدية التي تفيد العلاج تارة، ومن اللازم وغيره تارة لإفادة معنى آخر، وهذا يحل لنا المشكلة حلاً يلائم فطرة اللغة في إطلاق حرية اشتقاق أسماء الأجهزة وأسماء الآلات وأسماء الأدوات من الأفعال والأسماء التي تلائم معانيها ووظائفها<sup>(١)</sup>.

((وبصورة عامة كان العرب إذا أرادوا التكثير استخدموا أوزان فَعَالٍ وفَعَالَةٍ وفَعَّالٍ وفَعَّالَةٍ، كالفَذَّاف وهو المنجنيق والحِرَّاقَة وهي ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر))<sup>(٢)</sup>.

أما بالنسبة لمعايير صياغة اسم الآلة فقد تطرق اللغويون القدامى إلى معايير صياغتها، وقد ورد في أقوالهم أن وزني فَعَالٍ وفَعَالَةٍ يفيدان الاشتغال (أي وظيفتهما الاشتغال على شيء لاحتوائه) مثل الحِزَام والخِمَار والعمامة والكنانة، فالحزام يشتمل على الجسم ويلفه والخمار يشتمل على الرأس ويغطيه، وكذلك العمامة، فإنها تشتمل على الرأس، وكذلك فقد اجمع مجمع اللغة العربية بالقاهرة على جعل معيار صياغة اسم الآلة هو (وظيفة الآلة في الاستخدام)، إذ خصص وزن مَفْعَالٍ لآلات الكشف ووزن مِفْعَلٍ لآلات القياس ووزن مِفْعَلَةٍ لآلات الرسم<sup>(٣)</sup>.

ويبقى السؤال أليس لأسماء الآلات التي هي على غير هذه الأوزان الثلاثة وظائف؟ فما وظائفها؟ وما يناسبها من أوزان لتكون مرتكزاً للقياس عليها إتماماً للمفردات اللغوية، وتلبية للحاجات المستجدة؟

إذن ليس هناك التزام بان نكتفي بمعيار واحد للتخصيص، فثمة أمور أخرى يمكن اتخاذها معايير فإلى جانب معيار ((وظيفة الآلة في العمل)) يمكن اتخاذ معيار ((كيفية عمل الآلة))، ومعيار ثالث هو ((حجم عمل الآلة))<sup>(٤)</sup>. فبالنسبة لمعيار كيفية عمل الآلة : فثمة الآلات تعمل عملاً عارضاً : وهي على وزن فَعَالٍ : مثل حِزَامٍ ولِجَامٍ وزِمَامٍ والسُّوَارِ وعلى سبيل المثال الحِزَامِ يسد حاجة مؤقتة ولا يترك حين التهاة أي اثر وكذلك القِرَابِ والسُّوَارِ

(١) ينظر : نظرات فاحصة، ص ٣٧-٣٨.

(٢) معاني الأبنية في العربية، ص ١٢٦ وينظر : التنمية اللغوية ودور الاشتقاق فيها، ص ١٨.

(٣) ينظر : والتنمية اللغوية ودور الاشتقاق فيها، ص ٢٠.

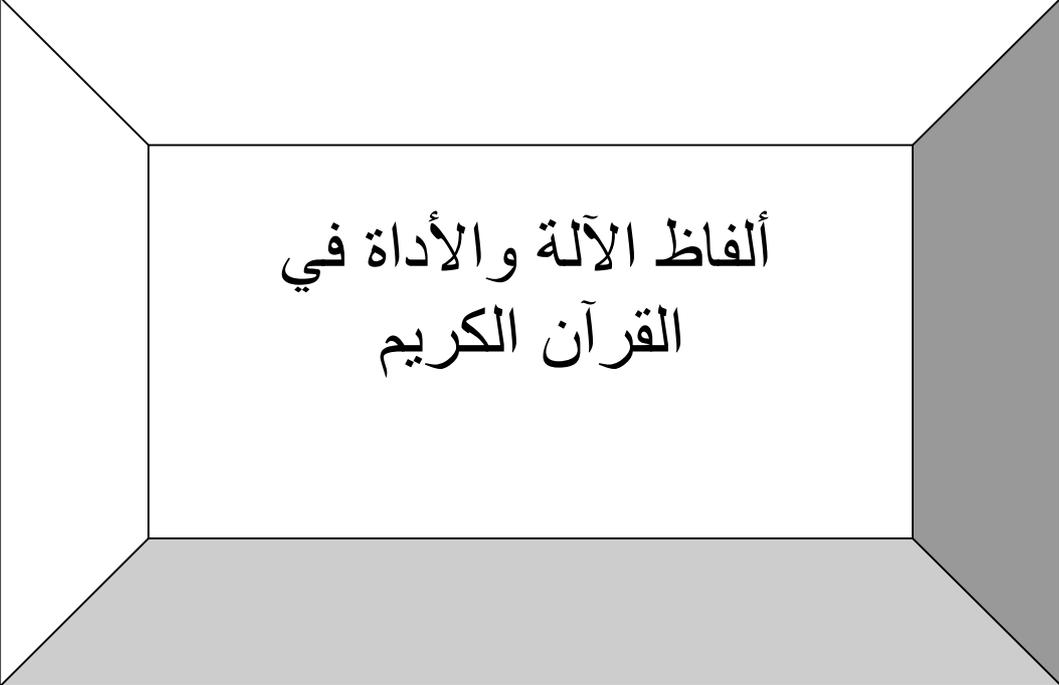
(٤) ينظر : م. ن.، ص ٢٠.

فكأنه عمل بلا جهد أو فاعلية وثمة آلات أخرى تعمل بجهد بشري : وهي على أوزان مَفْعَل ومَفْعَلَة ومَفْعَال : مثل مِبْرَد ومِيزَان ومَكْنَسَة، فالإنسان هو الذي يقوم بالبَرْد والوِزْن والكَنْس والآلة هنا وسيلة عمل، وثمة آلات تعمل بجهد ذاتي : وهي على أوزان فاعِل وفاعِلَة وفَعَّال وفَعَّالَة وفَعَّال وبقيّة الأوزان مثل لاصق، قاطرة، سيارة، جرار... الخ.

أما بالنسبة لمعيار حجم عمل الآلة الذي تقوم به الأداة أو الجهاز أو الآلة حجم متفاوت بتدرج من الحجم الصغير إلى الحجم الكبير وفيه مستويات مختلفة<sup>(1)</sup>، وبعد هذا الاستعراض في بيان معايير صياغة اسم الآلة وطرائق بحثه تبقى الآراء التي طرحت آنفاً على بساط الدرس والمناقشة ليتداول بها أصحاب الاختصاص ناهيك عن أنّ الاشتقاق له الدور الكبير في إغناء اللغة العربية ورفدها بما هو جديد وملائم مع حاجات العصر لكي تبقى لغة المعرفة والحضارة كما كان شأنها في عصور ازدهارها السالفة<sup>(2)</sup>.

(١) ينظر : التتمية اللغوية ودور الاشتقاق فيها، ص ٢٠.

(٢) م. ن. ص ٢١.



ألفاظ الآلة والأداة في  
القرآن الكريم

١ . حرف الهمة

١ - ١ : الأباريق

للجذر (برق) أصلان تتفرع لفروع منها : أحدهما لمعان الشيء والأخر اجتماع السواد والبياض في الشيء، وما بُعد ذلك فكّله مجاز ومحمول على هذين الأصلين<sup>(١)</sup>.

ويقال ((للسيف ولكل ماله برّيق إبريق، والإبريق معروف وهو من (الباب)<sup>(٢)</sup>، والإبريق (واحد الأباريق)، فارسي معرب))<sup>(٣)</sup>، ويقال إن : ((الإبريق ترجمته من الفارسية أحد شيئين : إما أن يكون طريق الماء، أو [ صَبَّ الماء ] على هنيئة، وقد تكلمت به العرب قديماً))<sup>(٤)</sup>، وقد أشار ابن منظور إلى أن الإبريق ((هو الكوز، وهو في كل ذلك فارسي. والعرب تشبه أباريق الخمر برقاب طير الماء ... ويشبهون الإبريق أيضاً بالطيبي))<sup>(٥)</sup> ومن الأبريق البارقة : السيوف ويطلق على المرأة البرّاقة : إبريق<sup>(٦)</sup> ووصف الرصافي الإبريق بقوله : ((إناء من زخرف أو معدن له عروة وفم وبليلة))<sup>(٧)</sup>.

وعلى الرغم من ورود لفظة إبريق في مادة (برق) في المعاجم اللغوية فإنها من الفارسي المعرب واصلها (إبريز)<sup>(٨)</sup>، وقيل أيضاً إن سبب تسمية الإبريق إبريقاً لأن معدنه يبرق من صفائه ونفاسته<sup>(٩)</sup>.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١ / ٢٢١ .

(٢) ينظر : م. ن. : ١ / ٢٢٥ .

(٣) الصحاح : ٤ / ١٤٤٩ وينظر : المخصص، ابن سيده (المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت : د/ت) : ٣ / ٨٤، (السفر الحادي عشر) .

(٤) المُعرب من الكلام الاعجمي، موهوب بن احمد الجواليقي، تحقيق : احمد محمد شاكر، ط ٢ مزيدة ومنقحة (مطبعة دار الكتب، د/م : ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩)، ص ٧١ .

(٥) لسان العرب : ١٠ / ١٧-١٨، مادة (برق) .

(٦) ينظر : مجمل اللغة : احمد بن فارس، تحقيق : هادي حسن حمودي، ط ١ (د / م، الكويت : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) : ١ / ٢٥٣ وينظر : أساس البلاغة، الزمخشري (دار صادر للطباعة والنشر، بيروت : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م)، ص ٣٧ .

(٧) الآلة وأداة، الرصافي، ص ١٥ وينظر : المعجم الوسيط : ١ / ٢ .

(٨) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد اسماعيل إبراهيم، ط ٢ منقحة ومزودة (دار النصر للطباعة، د/م : د/ت) : ١ / ٢٦ .

(٩) ينظر : معارج التفكير ودفائق التدبير، عبد الرحمن حبيكة الميداني، ط ١ (دار القلم، دمشق : ١٤٠٣هـ / ٢٠٠٠م) : ٨ / ٤٤٩ .

لقد وردت لفظة (إبريق) في موضع واحد من القرآن الكريم وبصيغة الجمع<sup>(١)</sup> ففي قوله تعالى ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، فأستخدام اللفظة ضمن السياق القرآني يوحي إلى معنى الخمر الجارية من العيون وبيّن أنها ليست كخمر الدنيا التي تستخرج بعصر وتكلف ومعالجة<sup>(٣)</sup> أي ((من خمر صافية سائغة))<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلفت الأقاويل والمسائل في تقديم الأباريق وذكرها بصيغة الجمع والتزام صيغة المفرد للكأس، فمنهم من قال من عادة العرب في الشرب يكون عندهم أوان كثيرة فيها الخمر معدة موضوعة عندهم... فان قيل الطواف بالكأس على عادة أهل الدنيا، وأما الطواف بالاكواب والأباريق فغير معتاد، فما الفائدة فيه؟ نقول : عدم الطواف فيها في الدنيا لدفع المشقة عن الطائف لتقلها وإلا فهي محتاج إليها بدليل انه عند الفراغ يرجع إلى الموضع الذي هي فيه وأما في الآخرة فالآنية تدور بنفسها والوليد معها إكراما لا للحمل، وفيه وجه اخر من حيث اللغة وهو أن الكأس إناء فيه شراب فيدخل في مفهومه المشروب، والإبريق آنية لا يشترط في إطلاق اسم إبريق عليها أن يكون فيها شراب<sup>(٥)</sup>.

فقد قال المفسرون ((إذا يطوف عليهم الولدان المخلدون بهذه الأدوات النفيسة، وذكر هذه الأدوات عن طريق الكناية بما فيها من أنواع اشربة نفيسة لذة للشاربين))<sup>(٦)</sup>، وهذه الأباريق مملوءة بأنواع المشروبات التي هي عند المؤمن كفاية حاجة، وبهذا التصوير الفني الرائع والذي يقربه الله بأداة بسيطة بمستوى تخيل الإنسان ليستوعب الصورة النورانية في الحركة الجماعية التي يسخرها الباري عز وجل لخدمة عباده الصالحين في الجنة، وبهذا تتبين بلاغة القرآن في إرادة الله تعالى بان يبين بذكر لفظة أباريق ليس لذكر جنسه بل لدلالته على المشروب<sup>(٧)</sup>. وبعد كل هذه الاعتبارات والتفسيرات

(١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي (دار الحديث، مصر : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨)، ص ١١٨ .

(٢) سورة الواقعة : الآية ١٨ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن، محمد بن احمد القرطبي، ط١ (دار الكتب العلمية، بيروت : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) : ١٧ / ١٣١-١٣٢، صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط٢ (دار القرآن الكريم الكريم، بيروت : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) : ٣ / ٣٠٧ .

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ط٧ (دار احياء التراث العربي، بيروت : ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) : ١٧ / ٦٩٦ .

(٥) ينظر : مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ط٣ (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) : ٢٩ / ١٥١ .

(٦) معارج التفكير : ٨ / ٤٤٨ .

(٧) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٩ / ١٥١ .

## الآلة والأداة في القرآن الكريم

---

للفظة إبريق يظهر أداة (الإبريق) بوصفها الوظيفي ليرتقي بادائها فيتحول بها من الاستخدام الدنيوي إلى الاستخدام الآخروي لبيان فضل تكريم المؤمنين من الله عز وجل.

١ - ٢ : الأرائك

للجذر (أراك) أصلان عنهما يتفرع المسائل : أحدهما شجر، والآخر الإقامة، فالأصل الأول الأراك وهو شجر معروف... والأصل الثاني : الإقامة<sup>(١)</sup>.

والأرائك واحدها أريكة وهي السرر في الحجال<sup>(٢)</sup>، والأريكة أيضاً ((مقعد منجد، سرير يجلس عليه ويكون محوطاً بالستائر والزينة، أو كل ما اتكى عليه من سرير أو فراش والجمع أرائك))<sup>(٣)</sup>، ويقال إن سبب تسمية - الأريكة - بهذا الاسم ((أما لكونها في الأرض متخذة أراك وهو شجرة، أو لكونها مكاناً للإقامة من قولهم أرك بالمكان أروكاً، وأصل الأروك : الإقامة))<sup>(٤)</sup>. وعرفها ابن منظور أيضاً بأنها ((سرير في حجلة، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة، والجمع أريك وأرائك))<sup>(٥)</sup>.

وقد وردت اللفظة في خمسة مواضع من القرآن الكريم وبصيغة الجمع<sup>(٦)</sup>، وبدلالة واحدة وهي كونها أداة للراحة والتكريم ففي قوله تعالى : ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> تدل الأرائك هنا على الإقامة والنعيم والراحة التي ينالها المؤمنون فهي آلة الراحة لديهم. ((أي انهم في موضع التكريم ينظرون حيث يشاءون... وهم على الأرائك وهي الأسرة في الحجال، وأقرب ما يمثلها عندنا ما نسميه [ الناموسية ]! وصورتها الدنيوية كانت أرقى مظاهر النعيم عند العربي ذي العيشة الخشنة! أما صورتها الاخروية فعلمها عند الله وهي على أية حال أعلى من كل ما يتعهده من تجاربه في الأرض وتصوراته))<sup>(٨)</sup>، وقد ذهب الطوسي في قوله : بان هذا مثال واضح على عطاء الله للمؤمنين في الملك والكرامة ويظهر هذا النعيم في كونها من اللؤلؤ والياقوت ينظرون منها إلى ما أعطاهم الله من الملك والكرامة، والجملته كل قبلة

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١ / ٨٣-٨٤ .

(٢) مجاز القرآن، ابو عبيدة معمر التميمي، تعليق : محمد فؤاد سزكين ج ١، ط ٢ (دار الفكر، د/ م : ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) : ١ / ٤٠١ .

(٣) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٣٦ .

(٤) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، اعده للنشر واشرف على طبعه : محمد احمد خلف الله (المطبعة الفنية الحديثة، د/ م : ١٩٧٠م)، ص ١٧-١٨ .

(٥) لسان العرب : ١٠ / ٣٩٠، مادة (ارك) والألة وأداة، ص ١٧ .

(٦) ينظر : معجم الفاظ القرآن، ط ٢ (المطبعة الثقافية، مصر : ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) : ١ / ٣٦ والمعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٣٣ .

(٧) سورة المطففين : الآية ٢٣ و ٢٥ .

(٨) في ظلال القرآن : ٣٠ / ٥٠٧ .

على الأسرة<sup>(١)</sup>، وقد وصف ابن عاشور الأرائك ((بأنها تجلس فيها المرأة او تنام فيها ولذلك يقال للنساء ربات الحجال، فإذا وضع فيها سرير لالتكاء والاضطجاع فهي أريكة ويجلس فيها الرجل وينام مع المرأة. وذلك من شعار أهل الترف))<sup>(٢)</sup>، ومثيل اللفظ أيضاً في قوله تعالى : ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>، فقد أشار سيد قطب إلى انهم في جلسة مريحة مطمئنة والجو حولهم رخاء ناعم دافئ في غير حر، ندى في غير برد، ولنا أن نقول انه عالم آخر ليست فيه شمسنا هذه ولا شمس أخرى من نظائرها... وكفى<sup>(٤)</sup>.

فالسباق القرآني للفظه يعرض لنا المشهد باستخدام أداة من أدوات الراحة ويقدمه أنموذجاً للحظات الجزاء والنعيم بوصف مكان المؤمنين في الجنة ومقامهم فيها بذكر لفظه أرائك، والتي كان حصيلتها المكانة العالية عند الله بجنات الخلد، وبهذا ندرك بعقلنا الذي ينبئ عن وصف - الأريكة - بوصفها أداة للراحة والإقامة بأنها مثار التكريم، فلم تكن هذه أداة لتحقيق عقاب أو تغرير بشيء بل وجدت لتميط اللثام عن جودة الخلق وراحة وجزاء لمن يستحق لفعل الخير.

(١) ينظر : التبيان، الطوسي، تحقيق وتصحيح : احمد حبيب قصير العاملي (مطبعة النعمان، النجف :

١٩٦٦م) : ١٠ / ٣٠٢ .

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (الدار التونسية للنشر والاعلان : د / ت) : ١٥ / ٣١٤ .

(٣) سورة الانسان : الآية ١٣ .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٩ / ٣٩٩ .

١ - ٣ : الأزلام

للجذر (زلم) اصل واحد يدل على نحافة ودقة في ملامسة وقد يشذ عنه الشيء، فالاصل الزلم والزلم : قدح يُسْتَقَسَمُ به، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية، وحَرَّمَ ذلك في الإسلام بقوله جل ثناءه : ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾<sup>(١)</sup> .<sup>(٢)</sup>

وقول لبيد :

\* تَزَلُّ عَنِ الثَّرَى إِزْلَامُهَا \*

فيقال انه اراد أظلاف البقرة. وهذا على التشبيه<sup>(٣)</sup> ((وسمى لبيد أظلاف البقرة الوحشية ازلام ... وسمى الدهر والأزلم الجذع))<sup>(٤)</sup>، وقد ذهب الفراهيدي إلى ان الازلام : هي القداح التي لا ريش لها، كانت العرب تَسْتَقْسِمُ بها عند الأمور إذا همَّ بها أحدهم مكتوب عليها : افعل... لا تَفْعَل<sup>(٥)</sup>، وفي رواية : الازلام : ((القداح ... كان الرجل منهم يضعها في وعاء له فإذا أراد سفراً أو رواحاً أو أمراً مهماً أدخل يده فاخرج منها زلماً فان خرج الأمر مضى لثأنه وان خرج النهي كف عنه ولم يفعله))<sup>(٦)</sup>، وقد وردت لفظة (الازلام) في موضعين من القرآن الكريم<sup>(٧)</sup> :

**الموضع الأول :** في قوله تعالى : ﴿ ... وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذِكْمٌ فَسِقٌ ... ﴾<sup>(٨)</sup>، فقد اشار الزمخشري إلى ان معنى الاستقسام بالازلام هو طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام. وقيل ايضاً هو الميسر... فان قلت لما كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسحاً؟ قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علامة الغيوب وقال : ﴿ قُلْ لَا

(١) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ١٨ .

(٣) شرح المعلقات السبع، الحسين بن احمد بن الحسين الزوزني (مطبعة الدار العربية، بغداد : د/ت)، ص ٩٠ وينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ١٨ .

(٤) الجمهرة : ٣ / ١٧ .

(٥) ينظر : العين : ٧ / ٣٧٠، المصطلحات العسكرية : ٢ / ٨٣٥، الفارابي اللغوي، احمد مختار عمر، ص ٧٤ .

(٦) لسان العرب : ١٢ / ٢٧١ ومادة (زلم) وينظر : الكليات، أبو البقاء ايوب الكفوي، اعده ووضع فهارسه : د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط ٢ (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت : ١٩٩٨م) : ١ /

٨٢، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٤٤ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٣٢ .

(٨) سورة المائدة : من الآية ٣ .

يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِنَّا اللَّهُ<sup>(١)</sup> ﴿٢﴾، وقد فسر الرازي أيضاً معنى الاستقسام بالازلام بقوله : ((وفيها مسألتان :

**المسألة الأولى :** في الآية قولان : الأول : كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً أو أمراً آخر من معاصم الأمور ضرب بالقداح، وكانوا قد كتبوا على بعضها : أمرني ربي، وعلى بعضها نهاني ربي، وتركوا بعضها خالياً عن الكتابة، فان خرج الأمر اقدم على الفعل، وان خرج النهي امسك، وان خرج الغفل أعاد العمل مرة أخرى<sup>(٣)</sup>.

**المسألة الثانية :** الازلام القداح وأحدها زلم... وإنما سميت القداح بالازلام لأنها زلمت أي سويت، ويقال : رجل مزلم وامرأة مزلمة إذا كان خفيفاً قليل العلائق، ويقال قدح مزلم وزلم إذا ظرف وأجيد قده وصنعتة...، ويقال لقوائم البقر ازلام، شبهت بالقداح للطفاتها<sup>(٤)</sup>، وذلك حرام لقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾<sup>(٥)</sup>، والمعلوم إن الاستقسام كله باطل... والمستقسم بالازلام نسلم انه لا يستفيد من ذلك علماً وإنما يستفيد من ذلك ظناً ضعيفاً<sup>(٦)</sup>، ((والاستقسام بهذا كله هو طلب القسمة والنصيب كما بيننا، وهو من أكل المال بالباطل وهو حرام، وكل مقامرة بحمام أو بنرد أو شطرنج أو بغير ذلك من هذه الألعاب فهو استقسام بما هو في معنى الازلام حرام كله، وهو ضرب من التكهن))<sup>(٧)</sup>.

وقد وردت اللفظة أيضاً في موضع آخر من القرآن بوصفها أداة مستخدمة يُستعان بها لمعرفة الخير والشر بواسطة ضرب القداح إذا أرادوا أمراً (ما) سواء سفراً أو أي شيء آخر، في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٨)</sup>، وقد ذهب سيد قطب إلى إن الخمر والميسر والأنصاب والازلام من معالم الجاهلية، وكانت كلها حزمة واحدة ذات ارتباط عميق في مزاولتها... وكان الميسر من ضمن هذه الأفعال المحرمة في الإسلام، ويجري الميسر عن

(١) سورة النمل : من الآية ٦٥ .

(٢) ينظر : الكشاف : ١ / ٦٠٤ .

(٣) مفاتيح الغيب : ١١ / ١٣٨ .

(٤) ينظر : مفاتيح الغيب : ١١ / ١٣٨ .

(٥) سورة لقمان : من الآية ٣٤ .

(٦) ينظر : مفاتيح الغيب : ١١ / ١٣٩ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٠ وينظر : التحرير والتنوير : ٦ / ٩٦-٩٨، الأساس في التفسير : ٣ /

٣٠٦، المغرب، ص ٢٠٩ .

(٨) سورة المائدة : الآية ٩٠ .

طريق الازلام وهي قدام كانوا يستقسمون بها الذبيحة فيأخذ كل منهم نصيبه منها بحسب قدحه (المعلّى) يأخذ النصيب الأوفر، وهكذا حتى يكون من لا نصيب لقدحه، وقد يكون هو صاحب الذبيحة فيخسرهما كلها<sup>(١)</sup>.

وبهذا النداء الموحى تقرير حاسم على سبيل القصر والحصر (إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس...)، لأن هذا الاستقسام رجس من عمل الشيطان ونوع من أنواع التير ورجم بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله فهو حرام لا يجوز استخدامه والمداولة فيه.

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ٧ / ٣٠ ، ٣١ .

للجذر (سفر) اصل واحد يدل على الانكشاف والجلء من ذلك السَّفر لان الناس ينكشفوا عن أماكنهم، ومن الباب وهو الأصل : سَفَرْتُ البيت كنته، ولذلك يسمى ما يسقط من ورق الشجر السَّفير، وإنما سمي سَفيراً لان الريح تسفره... ويقال للطعام الذي يتخذ للمسافر سَفرة... ومما شذ عن الباب السَّفار، جديدة تجعل في انف الناقة... والسَّفرُ : الكتابة، والسَّفرة : الكتبة، وسُمِّي ذلك الكتابة تُسفر عما يحتاج إليه من الشيء المكتوب<sup>(١)</sup>.

والسَّفرُ ((الكتاب والجمع أسفار وكذا هو في التنزيل : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾<sup>(٢)</sup>) والله اعلم، ويقولون أسماؤنا في السَّفرِ الأول أي : في الكتاب الأول))<sup>(٣)</sup>.

ومن المجاز : ((وجه مُسَّفر : مشرق سروراً... وسَفَرْتُ الريح عن وجه السماء... وسفرت الحرب : ولَّت، وأسفرت : اشتدت))<sup>(٤)</sup>، وقيل أسفاراً ((وتعني الكتب بالسريانية، وقال بعضهم بالنبطية))<sup>(٥)</sup>، وقيل : (في سفرت) المرأة قناعها عن وجهها ((كشفتها سفوراً فهي سافر))<sup>(٦)</sup>، وقد كان ورود اللفظة في التنزيل العزيز على خمسة وجوه :

الأول : ((الأسفار : (جمع سَفَر) المنازل والقرى، في قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾<sup>(٧)</sup>، يعني قرانا ومنازلنا.

الثاني : ((الأسفار جمع سَفَر) الكتب، في قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾<sup>(٨)</sup>، يعني كتاباً كقوله تعالى : ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾<sup>(٩)</sup>، يعني كتبه.

الثالث : الأسفار يعني (الإشراق) ويقال الفرح في قوله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ ﴾<sup>(١٠)</sup> أي : مشرقة.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٨٢-٨٣، لسان العرب : ٤ / ٣٦٧-٣٧١، مادة (سفر) .

(٢) سورة الجمعة : من الآية ٥ .

(٣) الجمهرة : ١٢ / ٣٣٣ وينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٦٨ .

(٤) أساس البلاغة، ص ٢٩٨ .

(٥) الكليات : ١ / ٢٦٨ .

(٦) المُعرب في ترتيب المُعرب، المطرزي (دار الكتاب العربي، بيروت د / ت)، ص ٢٢٦ .

(٧) سورة سبأ: من الآية ١٩ .

(٨) سورة الجمعة : من الآية ٥ .

(٩) سورة عبس : الآية ١٥ .

(١٠) سورة عبس : الآية ٣٨ .

الرابع : أسفر بمعنى (انكشف) في قوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾<sup>(١)</sup> ، أي : أضاء وانكشف .

الخامس : السَّفَرُ بعينه في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

إن ما يعنينا هو استخدام لفظة (الأسفار) بوصفها أداة يترفق بها، فقد وردت في موضعين من القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>، الموضع الأول : في قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾<sup>(٥)</sup>، والأسفار هنا تعني الكتب بوصفها وعاء العلم الذي تحفظه من النسيان والضياع، ومستودع ثمر العقول، وقد أشار القرطبي إلى أن الأسفار هي جمع سفر، وهو الكتاب الكبير، لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ، وقيل : الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبيل، فهكذا اليهود، وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه، ويعلم ما فيه، لئلا يلحقه الذم ما لحق هؤلاء<sup>(٦)</sup>، ولسيد قطب قول في ذلك يبين ((أن بني إسرائيل حملوا التوراة وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة (ثم لم يحملوها)... فحملها يبدأ بالإدراك والفهم والفق، وينتهي بالعمل لتحقيق مدلولها في عالم الضمير وعالم الواقع، ولكن سيرة بني إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم – وكما هي في حقيقتها – لا تدل على أنهم قدروا هذه الامانة، ولا أنهم فقهوا حقيقتها ولا أنهم عملوا بها، وليس شريكاً في الغاية منها))<sup>(٧)</sup>.

((وهكذا شبه الله تعالى اليهود بالحمار يحمل على ظهره أحمالاً من كتب العلم لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، وليس له إلا ثقل الحمل من غير فائدة))<sup>(٨)</sup>، وفي هذا التشبيه ((صور عدة مترابطة بين حاملي التوراة والحمار الحامل للأسفار، ترابطت واتحدت حتى ظهرت هذه الصورة التشبيهية المعروضة... ويبدو ان سبب تشبيه اليهود بالحمار من بين سائر الحيوانات في هذه الآية أمور منها :

(١) سورة المدثر : الآية ٣٤ .

(٢) سورة البقرة : من الآية ١٨٤ .

(٣) قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر، ص ٢٣٨ .

(٤) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، ص ٣٥٢ .

(٥) سورة الجمعة : من الآية ٥ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ٦٢ .

(٧) في ظلال القرآن : ٢٨ / ٩٧-٩٨ .

(٨) صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٧٢٣ .

إن الحمار من أشهر الحيوانات بالبلادة والجهالة حتى قالوا للبليد على سبيل المثال (اجهل من الحمار) يعني حمار بن سويلك، الذي يقال له : اكْفَرَ مِنْ حِمَارٍ<sup>(١)</sup>، ولما كان المقصود إعلان بلادة روح اليهود وجهلهم بالتوراة وعدم الاستفادة منه وقع هذا التشبيه<sup>(٢)</sup> ... فالتشبيه مركب من أحوال الحمار، وهو حرمان الانتفاع بابلغ نفع مع تحمل التعب في استصحابه<sup>(٣)</sup>، ((وهذا التشبيه اخرج ما لا يعلم بالبدية إلى ما يعلم بالبدية، وقد اجتمع في الجهل بما حمل، وفي ذلك العيب لطريقة من ضييع العلم بالانتكال على حفظ الرواية من غير دراية<sup>(٤)</sup>))، وقيل : ((ان جهل اليهود وإغفالهم ما في التوراة من امر محمد ﷺ)) معنى يستفاد من المعنى اللغوي في الآية، ومن التمثيل<sup>(٥)</sup>، فالسياق القرآني يحول لفظة (السفر) التي على وصفها الاعتباري القائم على حفظ العلم والإعلان عن مضامينه إلى معنى الكشف والوضوح زيادة بجهل اليهود وغبائهم، وعلى هذا اصبح (السفر) في سياق الآية الكريمة السابقة الذكر أداة إدانة للمعاندين الذين أنكروا ما ورد فيه، فالأشارة ضمنية وهم في موقف ضعف فلديهم الدليل القاطع والكتاب الدامغ ولا يفهمون ما بين أيديهم مثلهم ومثل الحمير والأنعام سواء.

وقد وردت اللفظة في موضع آخر من التنزيل العزيز وبدلالة مغايرة عن دلالتها في الموضع الأول في قوله تعالى : ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾<sup>(٦)</sup>، فالأسفار هنا تعني القرى، ومعنى الآية أي باعد بين قرانا ومنازلنا فنسير على نجائبنا ونربح في التجارات ونفاخر في الدواب والأسباب بطروا بالنعمة وملو العافية فطلبوا الكد والتعب<sup>(٧)</sup>. وهذا أيضاً ما ذهب إليه محمد مخلوف فقال : ((طلبوا بطراً وطغياناً أن يجعل الله بينهم وبين الشام مكان تلك القرى العامرة مفاوز وصحارى متباعدة الأقطار، فأجابهم إلى ما طلبوا، وذلك واضح من سياق قوله تعالى : ﴿وَزَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ...﴾<sup>(٨)</sup>، أي : صيّرناهم أحاديث ينلهم الناس باخبارهم، ويضربون بهم المثل ففرقناهم في البلاد<sup>(٩)</sup>).

(١) مجمع الامثال، لابي الفضل بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري، ت ٥١٨ هـ، حققه :

محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٢ - ١٩٥٩ : ١ / ١٨٩، مطبعة السعادة، مصر.

(٢) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، ص ١٨٢ وينظر : مباحث في علوم القرآن، ص ٣٢٢ .

(٣) ينظر : الإتيان في علوم القرآن : ٣ / ١٤٤ .

(٤) ثلاث رسائل في أعجاز القرآن، ص ٨٤ .

(٥) المعاني الثانية في الاسلوب القرآني، ص ٣٠٩ .

(٦) سورة سبأ : من الآية ١٩ .

(٧) ينظر : الأساس في التفسير : ٨ / ٤٥٢١-٤٥٢٢ .

(٨) سورة سبأ : من الآية ١٩ .

(٩) صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٥٤٣ .

للجذر (سلح) أصل واحد والسلاح هو ما يُقاتل به وكان يفرق بين السلاح والجُنَّة يقول : السلاح ما قوتل به والجُنَّة ما أُتقى به<sup>(١)</sup> ((وَالسَّلَاحُ مِنْ عِدَادِ الْحَرْبِ مَا كَانَ مِنْ حَدِيدٍ حَتَّى السَّيْفِ وَحَدَهُ يَدْعَى سِلَاحًا))<sup>(٢)</sup>، وقيل : ((السلاح يذكر ويؤنث والغالب تذكيره))<sup>(٣)</sup>، وقد أشار ابن سيده إلى ان : ((جمع السِّلَاحِ سُلُوحٌ وَسُلُحَانٌ وَاسْلُوحُهُ ... وَالسَّلَاحُ مَذْكَرٌ فَإِنْ ذَهَبَتْ بِهِ إِلَى الدَّرْعِ أَنْثَتْ))<sup>(٤)</sup> وقيل أيضاً : ان ((كلُّ عُدَّةٍ لِلْحَرْبِ فَهُوَ سِلَاحٌ، وَمِنْ الْمَجَازِ : أَخَذَتْ إِلَى الْإِبْلِ سِلَاحَهَا وَتَسَلَّحَتْ بِأَسْلِحَتِهَا إِذَا سَمَنْتَ فِي عَيْنِكَ وَحَسَنْتَ))<sup>(٥)</sup>، وهكذا نرى أن السلاح بالكسر ((اسم جامع لآلة الحرب ويطلق على السيف وعلى القوس بلا وتر وعلى العصا أيضاً))<sup>(٦)</sup>.

وقد وردت لفظة (السلاح) في موضوع واحد من القرآن الكريم وبصيغة الجمع<sup>(٧)</sup>. وبوصفها آلة وأداة للقتال أو الدفاع عن النفس في قوله تعالى : ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾<sup>(٨)</sup>.

فقد أشار الرازي لقوله : ((وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم))، والمعنى ((انه تعالى جعل الحذر وهو التحذر والتيقظ آلة يستعملها الغازي، فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ فان قيل : لم ذكر في الآية الأولى (أسلحتهم) فقط، وذكر في هذه الآية حذرهم وأسلحتهم. قلنا : لأن في أول الصلاة قلما يتنبه العدو لكون المسلمين في الصلاة، بل يظنون كونهم قائمين لاجل المحاربة. أما في الركعة الثانية فقد ظهر للكفار كونهم في الصلاة، فهنا ينتهزون الفرصة في الهجوم عليهم فلا جرم خص الله تعالى هذا الموضوع بزيادة تحذير فقال [وليأخذوا حذرهم

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٩٤ .

(٢) العين : ٣ / ١٤١ وينظر : جمهرة اللغة : ٢ / ١٥٤-١٥٥، المُعْرَبُ فِي تَرْتِيبِ الْمُعْرَبِ، ص ٢٣١ .

(٣) المذكر والمؤنث : ١ / ٤٣٠ .

(٤) المخصص : ٢ / ٣٦ (السفر السادس) .

(٥) أساس البلاغة : ٣٠٤ وينظر : المعجم الوسيط : ١ / ٤٤٤

(٦) الألة والأداة، ص ١٤٧ وينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٧٣ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٥٤، المصطلحات العسكرية : ١ / ٣٦٩ .

(٨) سورة النساء : من الآية ١٠٢ .

وأسلحتهم]]<sup>(١)</sup>. وهذا أيضاً ما ذهب إليه القرطبي بقوله : ((وقد بين الله تعالى وجه الحكمة بأخذ السلاح بأنه قد يجد الكافرون غفلة المصلين عند أخذ السلاح ليصلوا إلى مقصودهم لأن العدو لا يؤخر قصده من هذا الوقت لأنه آخر الصلاة وأيضاً يقول العدو قد أتلهم السلاح وكلّوا، وفي هذه الآية أدل دليل على تعاطي الأسباب واتخاذ كل ما يُنجي نوي الألباب ويصل إلى السلامة ويبلغ دار الكرامة))<sup>(٢)</sup>.

وذكر السلاح في هذه الآيات وتكراره، ليس من شأنه أن يوقع المسلمين في مشقة فهم يأخذون منه بقدر الطاقة (ولا جناح عليكم إن كان بكم آذى من مطر، أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) فحمل السلاح في هذه الحالة يشق ولا يفيد، ويكفي أخذ الحذر، وتوقيع عون الله ونصره، ولعل هذا الاحتياط، وهذه اليقظة، وهذا الحذر يكون أداة ووسيلة لتحقيق العذاب المهين الذي أعده الله للكافرين... فيكون المؤمنون هم ستار قدرته وأداة مشيئته... وهي الطمأنينة مع ذلك الحذر والثقة في النصر على قوم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾<sup>(٣)</sup>. نلاحظ أن السياق القرآني يحول أداة السلاح إلى حالة تربي الأمة وتلفت أنظارها نحو مشروع اكبر هو مشروع الجهاد بالسيف الرمح فالسلاح كما وصف في سورة (النساء : ١٠٢) إنما هو أداة ووسيلة دفاعية لما يقتضيه الحال ضد أعداء الدين والوطن وهذا السلاح مدعوم بقوة خفية ترهب العدو على بُعد منه فتمثله بالإيمان بالله والثقة بنصره على الرغم من قوة العدو وبطشه.

(١) مفاتيح الغيب : ١١ / ٢٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٢٣٨ وينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ١٢١ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن : ٥ / ٥٠٧-٥٠٨ .

١ - ٦ : الأسورة - أساور

للجذر (سور) أصل واحد يدل على علو وارتفاع من ذلك سار يسور إذا غضب وثار. والسور : جمع سور، وهي كل منزلة في البناء. ومنه السوار : سوار المرأة والأسوار من اساورة الفرس وهم القادة فأراهما غير عربيين<sup>(١)</sup>.

والسوار : ((القلب : سوار المرأة والجميع : أسورة وأساور والكثير سور))<sup>(٢)</sup>، وقيل : ((الاسوار [ بالكسر ] من اساورة الفرس، اعجمي معرب وهو الرامي، وقيل الفارس، و((الأسوار)) [ بالضم ] لغة فيه))<sup>(٣)</sup>، والاساورة أيضاً ((قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً))<sup>(٤)</sup>.

ومن المجاز : ((سار الشراب في رأسه. وساورتني الهموم وله سورة في المسجد : رفعة وله سورة عليك : فضل ومنزله))<sup>(٥)</sup> وقيل ان الاسوارُ ((حلية من الذهب مستديرة تلبس في المعصم والزند (جمع) أسوره (و جمع الجمع) أساور. واساورة. وقائد الفرس و- الفارس المقاتل و- الثبات على ظهر الحصان))<sup>(٦)</sup>. فقد قيل السوار هو الذي يلبس في الذراع من ذهب فان كان من فضة فهو قلب وجمعه قلبه، وان كان من قرون أو عاج فهو مسكة وجمعها مسك<sup>(٧)</sup>.

وقد وردت اللفظة في خمسة مواضع من القرآن الكريم أفراداً وجمعاً<sup>(٨)</sup>، بوصفها أداة تكريمية تدل على النعيم المادي المحسوس لاهل الجنة وهي خاصة بهم لا يسورها غيرهم، كما نتصور في مخيلتنا وذاكرتنا بان هذه المبتوثات التكريمية لا تكون إلا للملوك وأصحاب النعيم في الدنيا، وفي الآخرة تكون من شأن المخلصين المؤمنين منهم من رفيعي الدرجات عنده كما سيتبين في قوله تعالى : ﴿ وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾<sup>(٩)</sup>.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١١٥ / ٣ .

(٢) العين : ٢٨٩ / ٧ .

(٣) المُعرب من الكلام الاعجمي، الجواليقي، ص ٦٨ .

(٤) الصحاح : ٦٩٠ / ٢ .

(٥) أساس البلاغة، ص ٣١٢ .

(٦) معجم لغة العرب : ٢٩ / ١ وينظر : معجم ألفاظ القرآن : ٦٣١ / ١ .

(٧) ينظر : القرآن الكريم وبهامشه كتاب نزهة القلوب، ص ٢٤٦ .

(٨) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٧٠ .

(٩) سورة الإنسان : من الآية ٢١ .

فقد ذهب الطوسي ((أن التحلية الزينة كما كان من الذهب والفضة والتحلية تكون للإنسان وغير الإنسان كحلية السيف وحلية المراكب والفضة الشفافة هي التي يرى ما وراءها كما يرى البلورة، وهي أفضل من الدرر الياقوت وهما أفضل من الذهب فتلك الفضة أفضل من الذهب، وقد يحلون الذهب تارة وتارة الفضة ليجمعوا محاسن التحلية كما في قوله تعالى : ﴿يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾<sup>(١)</sup>، والفضة وإن كانت دنية في الدنيا، فهي في غاية الحسن خاصة إذا كانت بالصفة التي ذكرها، والغرض في الآخرة الالتذاد والسرور به لا بأكثر الثمن لأنه ليس هناك أثمان))<sup>(٢)</sup>.

وعلى العموم قال المفسرون : ((لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله تعالى ذلك لأهل الجنة))<sup>(٣)</sup>. ومما يلاحظ أن ذكر الأساور ولبسها من صفة الأبرار في الجنة ولما ذكر الله تعالى زينة الظاهر بالحريير والحلي قال بعده : ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾<sup>(٤)</sup>. أي طهروا بواطنهم من الحسد تكريماً وأماناً لهم<sup>(٥)</sup>. ((فالتحلية هنا للزينة، وليست من الضروريات، فجاء الفعل (يُحَلِّونَ) أي : حلاهم غيرهم ولم يقل يتحلون))<sup>(٦)</sup>. وكذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾<sup>(٧)</sup>، ولسيد قطب وصف نستشف من ورائه حالة المؤمنين في الجنة متمثلاً بقوله : ((مشهد يتكشف عن نعيم مادي محسوس، ونعيم نفسي محسوس منهم يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ... وذلك بعض المتاع ذي المظهر المادي، وبجانبه ذلك الرضى وذلك الأمن والاطمئنان والدنيا بما فيها من خلق على المصير ومعاناة للأمور تعد حزنًا بالقياس إلى هذا النعيم المقيم))<sup>(٨)</sup>، والأساور على هذا سواء أكانت من ذهب أم لؤلؤ فهي كلها حلية في الآخرة لذلك قال : محمد (ﷺ) عن هذه الحلية في أنها تبلغ ما بلغه الوضوء عن المؤمن<sup>(٩)</sup>.

(١) سورة الكهف : من الآية ٣١ .

(٢) التبيان : ١٠ / ٢١٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٢٥٨ .

(٤) سورة الإنسان : من الآية ٢١

(٥) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٥٩٠ .

(٦) الشعراوي : ١٤ / ٨٨٩٥ .

(٧) سورة فاطر : الآية ٣٣ .

(٨) في ظلال القرآن : ٢٢ / ٧٠١ .

(٩) ينظر : الشعراوي : ١٤ / ٨٨٩٥ .

وكذا اللفظ في سورة الزخرف : ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ ﴾<sup>(١)</sup>، وهنا السوار ((كناية عن تملكه. وكانوا إذا سؤدوا رجلاً سؤروه سوارين، وطوقوه بطوق من ذهب، علامة لسيادته))<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يوحى السياق القرآني بان أداة (السوار) هي أداة أحاطة وتحلية يكافئ بها المؤمنون يوم القيامة لأنهم هجروا متاع الدنيا في الدنيا وتقربوا إلى الله تعالى بزهدهم وتعبدتهم الخالص له وحده.

---

(١) سورة الزخرف : من الآية ٥٣ .

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن : ٦٢٥ .

للجذر (صفد) اصلان صحيحان : إحداهما عطاء والآخر شدُّ بشيء.. أما الصَّفْدُ فالغُلُّ، ويقال الصَّفْدُ التقييد، والأصفاد : الأقياد والصفاد : القيد أيضاً<sup>(١)</sup> وفي الحديث : ((إذا كان أول ليلة من رمضان صُفِّدَت الشياطين))<sup>(٢)</sup>، والأصفاد ((الأغلال قال تعالى : ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾<sup>(٣)</sup>، والصفد العطية اعتباراً بما قيل : أنا مغلول أياديك، واسير نعمتك ونحو ذلك من الألفاظ الواردة عنهم في ذلك<sup>(٤)</sup> وقد ذكر الاصفهاني ان الاصفاد أغلال واحدها صفد<sup>(٥)</sup>، ومن المجاز : ((صفدته بكلامي تصفيداً إذا غلبته))<sup>(٦)</sup>... والأصفاد أيضاً : ((جمع صفد : وهو القيد الذي يوضع فيه الرجل أو الغل الذي تضم به اليد والرجل إلى العنق))<sup>(٧)</sup> وقد قال الرصافي ان الصَّفْدَ بالتحريك: الوثاق، أما الصِّفَادُ بالكسر ما يوثق به الأسير من قَدٍّ أو قيد أو غل<sup>(٨)</sup>، وثمة من يقول إن الصَّفْدَ ((مدينة بين الشام والقدس))<sup>(٩)</sup>.

وردت لفظة (صفد) في موضعين من القرآن الكريم<sup>(١٠)</sup> وبصيغة الجمع ويوصفها آلة وأداة من أدوات التكبيل والتقييد متمثلة في قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾<sup>(١١)</sup> قال ابن قتيبة ((أي قد قُرُن بعضهم إلى بعض في الاغلال، واحدها صفد))<sup>(١٢)</sup>.

وقد ذهب الطوسي : إلا أن الأصفاد هنا تعني : ((السلسلة التي يقع بها التقيرين))<sup>(١٣)</sup>، أما القرطبي فقد أشار إلى أن الأصفاد هنا تعني ((الأغلال والقيود وأحدها صَفْدٌ و صَفْدٌ قيل : يقرن كل كافر مع شيطان في غلِّ بيان قوله : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٢) صحيح بن حبان : ٨ / ٢٢١ و سنن البيهقي الكبرى : ٤ / ٣٠٣ .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٤٩ .

(٤) ينظر : المفردات، ص ٤١٧ .

(٥) ينظر : غريب القرآن : ١٧ .

(٦) أساس البلاغة، ص ٣٥٦ .

(٧) معجم الالفاظ والاعلام القرآنية : ٢ / ١١ .

(٨) ينظر : الألة وأداة، ص ١٨٣ .

(٩) الفارابي اللغوي، د. احمد مختار عمر، ص ٦١ .

(١٠) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ٤٠٩ .

(١١) سورة إبراهيم : الآية ٤٩ .

(١٢) تفسير غريب القرآن، ص ٦١ .

(١٣) التبيان : ٦ / ٣١٠ .

وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١﴾، وقيل : انهم الكفار يجمعون في الأصفاد كما اجتمعوا في الدنيا على المعاصي) ﴿٢﴾، وقيل أيضاً : ترى المجرمين الكافرين يوم القيامة قد قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين (في الأصفاد) متعلق (بمقرنين) أي يقرنون في الأصفاد أو غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين، والأصفاد : القيود أو الأغلال. ﴿٣﴾.

أما الشعراوي فقد قال : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ ﴿٤﴾، إن المجرم ((هو من ارتكب ذنباً، وهو هنا من ارتكب ذنب القمّة، وهو الكفر بالله ومن بعده من ارتكب الذنوب التي دون الكفر وتراهم جميعاً مجموعين بعضهم مع بعض في (قرن)، وهو الحبل، أو القيد الذي يُقيدون به : والأصفاد جمع صفا، وهو القيد الذي يوضع في الرّجل ! وهو مثل الخلال، وهناك من يُقيدون في الأصفاد : من أرجلهم وهناك من يُقيد بالأغلال. أي توضع أيديهم في سلاسل وتعلق تلك السلاسل في رقابهم أيضاً. وكل أصحاب جريمة معينة يجمعهم رباط واحد، ذلك أن أهل كل جريمة تجمعهم أثناء الحياة الدنيا – في الغالب – مودة وتعاطف، أما هنا فسنجدهم متنافرين، وعلى عدااء، ويلعن كل منهم الآخر، وكل منهم يناكف الآخر ويضايقه، ويعلن ضيقه منه، مصداقاً لقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٥﴾، وكذلك اللفظ في قوله تعالى : ﴿ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ ﴿٦﴾، وقد أشار النسفي إلى قوله تعالى : ﴿ مقرنين في الأصفاد ﴾ بقوله كان ((يقرن مرده الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد، والصفد : القيد وسمي به العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول الإمام علي (عليه السلام) من برّك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك) ﴿٨﴾.

(١) سورة الصافات : الآية ٢٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٢٥٢ .

(٣) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق والتأويل : ٢ / ٨٣٥ .

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٤٩ .

(٥) سورة الزخرف : الآية ٦٧ .

(٦) الشعراوي : ١٢ / ٧٦١٤ – ٧٦١٥ .

(٧) سورة ص : الآية ٣٨ .

(٨) مدارك التنزيل وحقائق والتأويل : ٣ / ١٤٨٨ .

وقد يكون معنى (مقرنين في الأصفاد)، ((مجموعين في السلاسل والأغلال بقوة، مقرنين أزواجا أو جماعات))<sup>(١)</sup> ويقصد أيضاً : ((انهم المردة من الشياطين مقرونًا بعضهم ببعض بالأغلال والقيود))<sup>(٢)</sup>.

فالصفد في سياق الآيتين يستخدم أداة تقييد تتقوى وظيفته بانزال العقوبة على المجرمين الذين يستحقون ذلك العقاب، والصفد لا يأتي مقرونًا إلا بعقاب العصاة فلا صفد مع المطيع وإنما يصفد المسيء فهو — أي الصفد — أداة ضابطة لعقاب من يخالف الأحكام الإلهية العليا فبهذا كانت أداة تنبيه إلا أن اقتراف الآثام يورث التصفيد ....

(١) معارج التفكير ودقائق التدبير : ٣ / ٥٧٤ .

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٥٨٠ .

للجذر (علم) أصل صحيح واحد يدل على اثر بالشيء يتميز به عن غيره. ومن ذلك القلامة، وهي معروفة ويقال : علّمت على الشيء علامه، والعلم : الراية والجمع أعلام، والعلم أيضاً : الجبل، وكل شيء يكون معلماً. خلاف المجهل<sup>(١)</sup>، قالت الخنساء

وان صخرًا لتأتم الهداة به  
كأنه علم في رأسه نار<sup>(٢)</sup>

والعلم أيضاً : ((علم الثوب ورقمه ... والعلم : ما ينصب في الطريق ليكون علامة تُهتدى بها من شبه الميل والعلم : ما جعلته علماً للشيء ويقرأ : ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾<sup>(٣)</sup>، ويعني خروج عيسى (عليه السلام). ومن قرأ (العلم) يقول : يعلم بخروجه اقتراب الساعة))<sup>(٤)</sup> فالعلامة والعلم تعني الجبل... ورجل علامة أي عالم جداً<sup>(٥)</sup>، وقيل : ((كان الخليل علامة البصرة ونقول أيضاً : هو من أعلام العلم الخافقة ومن أعلام الدين الشاهقة وهو معلم الخير ومن معالمه، وخفيت معالم الطريق : أي آثارها المستدل بها وعليها))<sup>(٦)</sup>، والعلم ((المنار، والعلامة والعلم : شيء ينصب في الفلوات تهتدي به الضالة))<sup>(٧)</sup>، والعلم أيضاً : ((الفصل بين الأرضيين))<sup>(٨)</sup>.

وردت لفظة - العلم - في موضعين من القرآن الكريم وبصيغة الجمع<sup>(٩)</sup>، في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾<sup>(١٠)</sup>، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَالْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾<sup>(١١)</sup>، وقالوا : ((الأعلام الجبال والعلم : الجبل

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٤ / ١٠٩، المفردات، ص ٥١٣-٥١٤، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ٢ / ٧١.

(٢) ديوان الخنساء، ص ٧ وينظر : مقاييس اللغة : ٤ / ١٠٩ .

(٣) سورة الزخرف : من الآية ٦١ .

(٤) العين : ٢ / ١٥٣ .

(٥) الصحاح : ٥ / ١٩٩٠ .

(٦) أساس البلاغة، ص ٤٣٤ .

(٧) لسان العرب : ١٢ / ٤١٩ مادة (علم) .

(٨) المعجم الوسيط، ص ٦٣٠ .

(٩) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٤٨٠ .

(١٠) سورة الشورى : الآية ٣٢ .

(١١) سورة الرحمن : الآية ٢٤ .

الطويل... وقيل هو الذي يُعقد على الرمح... وأعلام القوم ساداتهم))<sup>(١)</sup>، ويلاحظ ان كل هذه المعاني للعلم من المعنى الحسي وتكون بعد ذلك المعاني الخاصة أو الاصطلاحية في العلم<sup>(٢)</sup>، في قوله تعالى من سورة الشورى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد ذهب الرازي إلى ان المفسرون اتفقوا على أن المراد بالأعلام الجبال وكما قالت الخنساء مسبقاً في مرثية أخيها :

وان صخرًا لتأتم الهداة به      كأنه علمٌ في رأسه نارٌ

ونقل أن النبي (ﷺ) استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوي إلى هذا البيت قال : قاتلها الله ما رضيت بتشبيها له بالجبل حتى جعلت على رأسه ناراً<sup>(٤)</sup>.

وقد أشار القرطبي أيضاً إلى أن من علامات الله سبحانه وتعالى الدالة على قدرته السفن الجارية في البحر كأنها من عظمها أعلام، والأعلام الجبال وهذا أيضاً ما أشار إليه الرازي مسبقاً<sup>(٥)</sup>، وكذا اللفظ في سورة الرحمن : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾<sup>(٦)</sup>، والأعلام هنا تعني الجبال أيضاً لأن التقدير حينئذ له السفن الجارية في البحر كالأعلام، فيكون أكثر بيانا للقدرة الإلهية<sup>(٧)</sup>، وهذا ما ذهب إليه حسنين محمد مخلوف مفسراً بقوله : ((أي وله السفن الجارية في البحر، والمرفوعات القلوع كالجبال الشاهقة... والعلم هو الجبل الطويل))<sup>(٨)</sup>، ومما هو ملاحظ ان هذا تشبيه قد اخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة منها، وقد اجتمعا في العظم إلا أن الجبال اعظم<sup>(٩)</sup>، ((والفائدة من ذلك البيان عن القدرة في تسخير الأجسام العظام في اعظم ما يكون في الماء))<sup>(١٠)</sup>. وقد بين السيوطي بان الجامع بين الجوار والجبال (العظم)، فتضمن الكلام نبأ عظيماً من الفخر وتعداد النعم<sup>(١١)</sup> ونلاحظ أن اثر كلمة (الأعلام) عند وصف السفن وسر إيثارها هو أن الكلمة المشتركة بين عدة معان

(١) لسان العرب : ١٢ / ٤٢٠ . مادة (علم) وينظر : الآلة والأداة ، ص ٢٢٥-٢٢٦ .

(٢) ينظر : معجم ألفاظ القرآن، ص ٤٨٠ .

(٣) سورة الشورى : الآية ٣٢ .

(٤) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٧ / ١٧٦ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ٢٢ .

(٦) الآية : ٢٤ .

(٧) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٩ / ١٠٤ .

(٨) صفوة البيان لمعاني القرآن : ص ٦٩٨ .

(٩) ينظر : ثلاث رسائل في أعجاز القرآن، ص ٨٥ .

(١٠) م. ن. ص ١٧٣ .

(١١) ينظر : الإتيان في علوم القرآن : ٣ / ١٤٦ .

تتداعى هذه المعاني عند ذكر هذه الكلمة، وكان ذكر الأعلام محضراً إلى النفس هذا المعنى، إلى جانب إحضارها صورة الجبال، وكان آثاره هذا الخاطر ملحوظاً عند ذكر السفن الجارية فوق البحر، تزين سطحه، فكأنما أريد الإشارة إلى جلالها وجمالها معاً وفي كلمة (الأعلام) وفاء بتأدية هذا المعنى أدق وفاء<sup>(١)</sup>، فالجو النفسي المسيطر في هذا التشبيه إنما هو الإشارة إلى قدرة الله جل وعلا من آياته لذلك اختار لفظ (الأعلام) دون (الجبال). لوجود معنى مشترك بينهما هو الشخوص والوضوح<sup>(٢)</sup>.

نخلص من إلى ذلك أن السياق يشير إلى أن تعظيم الجبال في نظر الفرد، مع عظمة السفن وهي تمخر البحار، تحيلنا إلى البارئ الذي أبدع هذه المعظمت لدينا، وان سبب اختيار لفظ — الأعلام — دون الجبال لأنه يبعث في نفس الأنس، وهو ما يحتاج إليه السائر في البحر<sup>(٣)</sup>، فالأعلام كانت بمثابة أداة هداية ودليل للباحث والضالّ وعلامة يستدل بها.

(١) ينظر : بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، فتحي احمد عامر (منشأة المعارف، الإسكندرية : ١٩٨٣م) ص ٣٢٠-٣٢١ .

(٢) ينظر : الجمال في تشبيهات القرآن، عدنان مهدي سلطان، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب (جامعة الموصل : ١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م)، ص ٤١ ..

(٣) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس (دار الفرقان للنشر، عمان : ١٩٨٧م)، ص ٨٩ .

١ - ٩ : الأغلال

للجذر (غَلَّ) أصل صحيح يدل على تَخَلَّلَ الشيء وثبات شيء كالشيء يُعَزَزُ من ذلك قول العرب : غَلَّتْ الشيء في الشيء إذا أثبتته فيه، كأنه غَرَزَتْه<sup>(١)</sup>، قال امرؤ القيس :

وَعَيْنُ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ  
إِلَى حَاجِبِ غُلِّ فِيهِ الشُّفْرُ<sup>(٢)</sup>

والغُلُّ : ((جامعة يُشَدُّ في العنق واليد))<sup>(٣)</sup> وفي قول لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : ((النساء ثلاثة : ... ثالثة امرأة غُلِّ قمل يجعلها الله في عنق من يشاء ولا ينزعها غيره))<sup>(٤)</sup>.

وقد كان العرب إذا أسروا أسيراً غلَّوه بالقدِّ فربما قمل في عنقه<sup>(٥)</sup>، وقيل أيضاً ((هو شيء من حديدٍ يعذب به الإنسان لاستخراج مال أو الإقرار بأمر))<sup>(٦)</sup>، ويقال : الغُلُّ : العطش وهو الغُلَّةُ<sup>(٧)</sup>.

وعلى هذا فالغُلُّ مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه وجمعه أغلال، وغلَّ فلان : قُبِدَّ بالغُلِّ<sup>(٨)</sup>.

وقيل أيضاً : الأغلال واحداها غُلٌّ لا يكون إلا في العنق<sup>(٩)</sup>.

وقد وردت لفظة (الأغلال) في ستة مواضع من القرآن العظيم<sup>(١٠)</sup> بوصفها أداة قيد تمنع من الفعل وتقطع الحركة في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْلَيْكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأَوْلَيْكَ أَصْحَابُ

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٤ / ٣٧٥-٣٧٦ .

(٢) م . ن . : ٤ / ٣٧٦ . وعند مراجعتنا لديوان امرئ القيس وجدنا البيت الشعري قد ورد على الشكل الآتي :

وعين لها حدرة بدرة  
شعت ماقيها من اخر

ينظر : ديوان امرئ القيس، ص ١٦٦ .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة : ٤ / ٣٧٦ .

(٤) مصنف بن ابي شيبه : ٣ / ٥٥٩ .

(٥) ينظر : العين : ٤ / ٣٤٨ .

(٦) المخصص : ٣ / ٩٤ (السفر الثاني عشر) وينظر : لسان العرب : ١١ / ٥٠٤، مادة (غل) .

(٧) اصلاح المنطق، ص ٣٣-٣٤ وينظر : الصحاح : ٥ / ١٧٨٤ .

(٨) ينظر : المفردات، ص ٥٤٤ .

(٩) ينظر : مجاز القرآن : ١ / ٣٢٢ .

(١٠) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٥٠٤ .

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»<sup>(١)</sup>، فقد أشار الرازي إلى ان ذكر لفظة (الاعلال) في قوله تعالى فيها قولان : (القول الأول) المراد بالاعلال كفرهم وذلتهم وانقيادهم للأصنام، ونظيره قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾<sup>(٢)</sup>، (والقول الثاني) المراد انه تعالى يجعل الأعلال في أعناقهم يوم القيامة والدليل على قوله تعالى : ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ \* فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>...<sup>(٤)</sup>، وفي هذا الصدد يشير القرطبي أيضاً إلى معنى الاعلال بقوله ((الأعلال جمع غُلّ، وهو طوق تشد به اليد إلى العنق، أي يُغْلون يوم القيامة، وقيل أيضاً الأعلال أعمالهم السيئة التي هي لازمة لهم))<sup>(٥)</sup>. وكل هذه الأعلال هي من شأن الكافرين في الآخرة، وقيل : هو تمثيل لحالهم في الدنيا، من حيث آباؤهم الإيمان وعدم التفاتهم إلى الحق بحال من في أعناقهم أغلال فلا يستطيعون معها التفاتاً<sup>(٦)</sup>. وقد لمح الشعراوي أيضاً إلى أن لفظة الأعلال التي تفيد من طرف كل يد ومن طرف آخر مُعلّقة في الرقبة لتقلل من مساحة حركة اليدين، كل هذا الإظهار المزيد من الإذلال والخنوع<sup>(٧)</sup>.

على حين ذهب سيد قطب إلى أن لفظة – الأعلال – هنا تعني : ((أغلال العقل والقلب فالجزاء هو الأعلال في الأعناق تنسيقاً بين غل العقل وغل العنق، والجزاء هو النار خالدين فيها))<sup>(٨)</sup>.

وكذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٩)</sup>، نلاحظ أن الرازي أعطى دلالة ثانية للفظ الأعلال هنا حين قال : ((المراد بالأغلال هنا الشدائد التي كانت في عبادتهم – أي عبادة بني إسرائيل – منها قطع أثر البول، وقتل النفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وتتبع العروق من اللحم وقد جعل الله كل هذا أغلالاً))<sup>(١٠)</sup>، وقيل ان اطلاق الاعلال هنا على سبيل الاستعارة القائمة على تشبيه التكليف

(١) سورة الرعد : من الآية ٥ .

(٢) سورة يس : من الآية ٨ .

(٣) سورة غافر : الآية ٧١، ٧٢ .

(٤) مفاتيح الغيب : ١٩ / ١٠ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ١٨٧ .

(٦) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٣١٩ .

(٧) ينظر : الشعراوي : ١٢ / ٧٢١٧ .

(٨) في ظلال القرآن : ١٣ / ٧٤ .

(٩) سورة الأعراف : من الآية ١٥٧ .

(١٠) مفاتيح الغيب : ١٥ / ٢٧ وينظر : قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر، ص ٣٤٢، صفوة البيان

لمعاني القرآن، ٢٢٤ .

الدينية الشاقة التي كانت على بني إسرائيل بالأغلال<sup>(١)</sup>. إلا أن الرازي قال : ((إن التحريم يمنع من الفعل، كما أن الغل يمنع من الفعل، وقيل : كانت بنو إسرائيل إذا قامت إلى الصلاة لبسوا المسوح. وغلوا أيديهم إلى أعناقهم تواضعاً لله تعالى فعلى هذا القول الأغلال غير مستعارة علماً أن هذه الآية تدل على أن الأصل في المضار لا يكون مشروعاً له لأن كل ما كان ضرراً كان أصراً وغللاً))<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فإن لفظة – الأغلال – في المصطلح القرآني كانت أداة منع وتغيب للكفرة الطغاة سواء كانت في الأعناق أم الأيدي أم في الأرجل، أو بالأفعال والتكاليف الدينية الثقيلة الشاقة التي كانت على بني إسرائيل.

(١) ينظر : معارج التفكير ودقائق التدبر، ص ٦١٧ .

(٢) مفاتيح الغيب : ١٥ / ٢٧-٢٨ .

للجذر (قفل) أصلان صحيحان أحدهما يدلُّ على أوبةٍ من سفر، والآخر على صلابَةٍ وشِدَّةٍ في شيء، فالأول القُفُول، وهو الرجوع من السَّقَر، ولا يقال للذاهبين قافلةً حتى يرجعوا، وأما الأصل الآخر فالقُفِيل وهو الخشب اليابس ومنه القُفْل سمي بذلك لأنَّ منه شدًّا وشِدَّة، يقال أقفلتُ البابَ فهو مُقفَل، أو يقال للبخيل : هو مُقفَل اليدين<sup>(١)</sup>، ((والقُفْل معروف، والقُفْل بالفتح : ما يبس من الشجر والقُفيل مثله... وهو معرب))<sup>(٢)</sup>، وقد أشار ابن سيدة بقوله ((والقُفْل - ما يغلق به الباب... ومغلاق الباب وغلقه - الحديد التي يُغلق بها))<sup>(٣)</sup>، ومن المجاز ((فلان مُقفَل ومستقفَل : ممسك وقد استقفلت يداه وانه لقُفْل : عسر وانها لقُفلة للمرأة البخيلة، والخيل تعلق الأقفال : حدائد اللجام))<sup>(٤)</sup>. وقيل القُفْل : ((جهاز من الحديد ونحوه يقفل به الباب ويفتح بالمفتاح))<sup>(٥)</sup>.

وردت لفظة القفل بصيغة الجمع (أقفال) في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٦)</sup> في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾<sup>(٧)</sup>، فالأقفال هنا أراد بها ((أقفالا مخصوصة هي أقفال الكفر والعناد))<sup>(٨)</sup>، وقد أوضح القرطبي ذلك أيضاً بقوله : ((الأقفال هنا إشارة إلى ارتجاج القلب وخلوه من الإيمان أي لا يدخل قلوبهم الإيمان ولا يخرج منها الكفر، لأن الله تعالى طبع على قلوبهم. وقال (على قلوب)، لأنه لو قال على قلوبهم لم يدخل قلب غيرهم في هذه الجملة والمراد أم على قلوب هؤلاء وقلوب من كانوا بهذه الصفة أفعالها))<sup>(٩)</sup> (وهذه الأقفال مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه))<sup>(١٠)</sup>. وقد قال ابن عاشور ان ورود لفظة الأقفال هنا (استعارة مكنية)، إذا شبهت

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ١١٢ .

(٢) الصحاح : ٥ / ١٨٠٣ وينظر : لسان العرب : ١١ / ٥٦٠ .

(٣) المخصص : ٣ / ٢٦-٢٧ (السفر الثاني عشر) وينظر : تاج العرس : ٨ / ٨٣ .

(٤) أساس البلاغة، ص ٥١٨ .

(٥) المعجم الوسيط : ٢ / ٧٥٨ .

(٦) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ص ٥٤٩ .

(٧) سورة محمد : الآية ٢٤ .

(٨) مفاتيح الغيب : ٢٨ / ٦٦ .

(٩) الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ١٦٣ .

(١٠) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٢٢٥ .

القلوب أي العقول في عدم إدراكها المعاني بالأبواب أو الصناديق المغلقة، والأقفال تخييل كالأظفار للمنية<sup>(١)</sup>. وهذا ما انشده أبو ذؤيب الهذلي حين قال :

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها      ألفت كل تميمة لا تنفع

وهو من باب الاستعارة<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً ان تتكبر (قلوب) للتنويع أو التبويض، أي على نوع من القلوب أقفال والمعنى ((بل بعض القلوب عليها أقفال))<sup>(٣)</sup> أي ان هذه القلوب قاسية لا تقبل التدبر والتفكر في الآيات! والاستفهام للتقدير<sup>(٤)</sup> وعلى هذا المنحى ذهب الرازي بقوله : ((القلب إذا كان عارفاً كان معروفاً لأن القلب خلق للمعرفة، فإذا لم تكن فيه المعرفة فكأنه لا يعرف، وهذا كما يقول القائل في الإنسان المؤذي : هذا ليس بإنسان هذا سبع، ولذلك يقال هذا ليس بقلب هذا حجر))<sup>(٥)</sup>.

وقد أشار البيضاوي إلى ان هذه الأقفال التي أضيفت إلى القلوب للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الأقفال المعهودة<sup>(٦)</sup> ومما هو مبين ان هناك كناية قائمة في بنيتها على الاستعارة المكنية، إذ شبت قلوب الكافرين بالابواب المقفلة فلا يدخل إليها شيء من معاني القرآن الكريم<sup>(٧)</sup>، وبناءً على ما تقدم فان القفل المصنوع من معدن الحديد والمعروف في العرف الاجتماعي يتحول من المعنى الظاهري في المصطلح الإلهي إلى معنى ضمني وهو القسوة العناد والشدة في التمسك بالكفر وعدم تقبل التدبر والتفكر في آيات القرآن المعجز المبين، وإصرارهم واعراضهم عن معجزة الله الأ وهو (القرآن الكريم) وكأن قلوبهم مثل الأبواب المقفلة لا يدخل إليها شيء من معاني القرآن الكريم.

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٦ / ١١٤ .

(٢) ديوان الهذليين، ص ٣، وينظر : التحرير والتنوير : ٢٦ / ١١٤ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٦ / ١١٤ .

(٤) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٦٤٧ .

(٥) مفاتيح الغيب : ٢٨ / ٦٥-٦٦ .

(٦) ينظر : انوار التنزيل واسرار التأويل : ٥ / ١٩٥ .

(٧) ينظر : الكناية في القرآن، احمد فتحي، ص ٢٣٠ .

١ - ١١ : الأكواب

للجذر (كوب) كلمة واحدة وهي القَدَح لا عروة له، والجمع أكواب<sup>(١)</sup>، وقيل : ((إنه كوز لا عروة له))<sup>(٢)</sup>، والكوبُ : ((الطبل الصغير المُخَصَّر))<sup>(٣)</sup>، ونقول لا يزال معه كُوب الخمر وكوبه القمرُ وهي الفرد أو الشطرنج<sup>(٤)</sup>، والكُوبُ : ((بضم فسكون، كوز مستدير الرأس لا عروة له))<sup>(٥)</sup>، والكوب : ((معرب عن كُوب))<sup>(٦)</sup>.

وقد وردت اللفظة بصيغة الجمع (أكواب) في أربعة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٧)</sup> وقيل : ((إن الأكواب المذكورة في القرآن الكريم كلها هي الآنية التي تقدم فيها الاشربة لأهل الجنة هذا من قبيل التمثيل إذ أنه لا يعلم أحد غير الله تعالى حقيقة هذه الأكواب ولا حقيقة ما يشرب فيها))<sup>(٨)</sup>، كما في قوله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴾<sup>(٩)</sup>، ومعنى الآية يطاف على هؤلاء المؤمنين الذين وصفهم الله بآنية من الفضة وأكواب وهو إناء الشرب من غير عروة. وقيل : الأكواب الأقداح أو قيل : هي صغار القوارير وهي فضة ولذلك قال (كانت قوارير)<sup>(١٠)</sup>، وقيل أيضاً : ((هي أقداح موضوعة على حافات العيون معدة لشربهم لا تحتاج إلى من يملأها))<sup>(١١)</sup>.

وكذلك اللفظ في قوله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾<sup>(١٢)</sup>، أي لهم في الجنة أطعمة واشربة يطاف بها عليهم في صحاف من ذهب وأكواب... وقيل : الكوب هو المدور القصير العنق والقصير العروة<sup>(١٣)</sup>.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ١٤٥، المفردات، ص ٦٦٥ .

(٢) العين : ٥ / ٤١٧ وينظر : لسان العرب : ١ / ٧٢٩، مادة (كوب) .

(٣) الصحاح : ١ / ٢١٥ .

(٤) ينظر : أساس البلاغة، ص ٥٥٣ .

(٥) الألة والأداة، ص ٣٠٦ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة، السيد ادنى شير، ص ١٣٩ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٦٢٢ .

(٨) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٥٢٩ .

(٩) سورة الإنسان : الآية ١٥ .

(١٠) ينظر : التبيان : ١ / ٤١٤ - ٤١٥، صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٧٦٩ .

(١١) صفوة التفاسير : ٣ / ٥٥٣ .

(١٢) سورة الزخرف : من الآية ٧١ .

(١٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ٧٤ - ٧٦ .

وقيل أيضاً الكوب هنا هو ((اصغر من الإبريق إلا إنه لا خرطوم له ولا عروة في الغالب وحذف وصف الأكواب لدلالة وصف صحاف عليه، وأي وأكواب من ذهب وهذه الأكواب تكون للماء وتكون للخمر))<sup>(١)</sup>. ومثيل اللفظ أيضاً في قوله تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وقيل (من معين) هو وصفاً عاماً للأكواب، والأباريق والكأس باعتبار ما فيها، أي مملوءة من أنهر تجري في الجنة من ماء غير آسن: وَلَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَخَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ، وَعَسَلٍ مَصْفًى، وإذ كانت الكأس القَدَحُ المملوء خَمْرًا، فالأقْدَاخُ والأباريق تبقى للماء واللبن المَصْفًى<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يوحي السياق من ذكر لفظة (الأكواب) دلالة واضحة لحالة التكريم والتشريف التي يحظى بها أهل الجنة، حينما تقدم لهم الأطعمة والاشربة بأدوات نفيسة ومن ضمن هذه الأدوات (الأكواب) التي لا مثيل لها، وفيها أنواع من الاشربة النفيسة أيضاً لذينة للشاربين لا يعرف حقيقتها وحقيقة هذا الشراب اللذيذ غير الله... فكل هذا من قبيل التمثيل وجاءت اللفظة تقريباً إلى أذهاننا وتصويراً لعقولنا بأدوات مستخدمة في الدنيا، إلا أنها تختلف في حقيقتها لأنها من نصيب الكرماء من أهل الجنة لا ينتشرف بها إلا من كان أهلاً لها.

(١) التحرير والتنوير : ٢٥ / ٢٥٥ وينظر : صفوة التفاسير : ٣ / ١٦٤ .

(٢) سورة الواقعة : الآية ١٨ .

(٣) ينظر : معارج التفكير ودقائق التدبر : ٨ / ٤٤٩ .

١ - ١٢ : الإمام

للجذر (أم) في اللغة اصل واحد يتفرع منه أربعة أبواب هي :

الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين، وهذه الاربعة متقاربة وبعد ذلك أصول ثلاث هي : القامة والحين والقصد<sup>(١)</sup>، وهي معان متقاربة والإنتمام مصدر الأمة، وائتم بالإمام إمّة. وفلان أحق بأمة هذا المسجد، أي إمامته، ونقول الخليفة إمام الرعية والقران إمام المسلمين، والإمام الطريق<sup>(٢)</sup>، وتطلق أيضاً لفظة الإمام على خشبة البناء التي يسوى عليها البناء<sup>(٣)</sup>، وقد أشار ابن سيده إلى ((أن كل من اقتدى به وقدم في الأمور فهو إمام))<sup>(٤)</sup>. ونقول ((أم المكان يؤمه : قصده. وأمّ القوم : تقدمهم وكان إماماً متقدماً لهم ومنه الإمامة بمعنى الرياسة، وسمي الكتاب إماماً في هذا المعنى))<sup>(٥)</sup>.

إذا الإمام على ذلك هو ((المؤتم به إنسانا كان يقتدى بقوله أو فعله أو كتاباً أو غير ذلك مُحَقّاً كان أم مبطلاً))<sup>(٦)</sup>.

وقد وردت اللفظة في أحد عشر موضعاً من القرآن الكريم أفراداً وجميعاً<sup>(٧)</sup>، وبدلالات مختلفة ومتنوعة أوحى تحليل اللفظة في القرآن الكريم بوجوده منها :

**الوجه الأول :** بمعنى قائد في الخير في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾<sup>(٨)</sup>.

**الوجه الثاني :** بمعنى كتاب أعمال بني آدم في قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾<sup>(٩)</sup>.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١ / ٢١، الكليات، الكفوي : ١ / ١٧٦ .

(٢) ينظر : العين، الخليل ابن احمد الفراهيدي، تحقيق : مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، ط٢ (دار الحرية للطباعة، بغداد : ١٩٨٦م) : ٨ / ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٣) ينظر : الصحاح : ٥ / ١٨٦٥، معجم لغة العرب، جورج متري عبد المسيح، ط١ (مكتبة بيروت، لبنان : ١٩٩٣م) : ١ / ٤٤ .

(٤) المخصص : ١ / ١٣٤، السفر الثالث .

(٥) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٤٦ .

(٦) المفردات، ص ٢٨ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٨٠ .

(٨) سورة البقرة : الآية ١٢٤ .

(٩) سورة الاسراء : الآية ٧١ .

**الوجه الثالث :** بمعنى اللوح المحفوظ في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

**الوجه الرابع :** بمعنى التوراة في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾<sup>(٢)</sup>.  
**الوجه الخامس :** بمعنى الطريق في قوله تعالى : ﴿ لِيَأْمُرَ مُبِينٍ ﴾<sup>(٣)</sup> ...<sup>(٤)</sup>.

ونلاحظ أن لفظة — إمام تحتمل أكثر من استخدام وظيفي، فوجه الكلمة يمكن أن يكشف عنها السياق فبقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمامِهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup>، قد استعير — الإمام — للفظ (الكتاب) الذي هو آلة حفظ العلم واحتوائه كالوعاء الذي يحفظ الطعام والشراب، وهذا ما ذهب إليه القرطبي بان قوله تعالى : (بإمامهم) أي بكتابهم أي بكتاب كل إنسان منهم الذي فيه عمله، دليله ﴿ فَمَنْ أوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ... ﴾... بالكتاب المنزل عليهم، أي يُدعى كل إنسان بكتابه الذي كان يتلوه، فيدعى أهل التوراة بالتوراة، وأهل القرآن بالقرآن،... وقيل أيضاً (بإمامهم) أي نبيهم، والإمام من يؤتم به فيقال : هاتوا متبعي إبراهيم (عليه السلام) وهاتوا متبعي موسى (عليه السلام)، فيقوم أهل الحق فيأخذون كتابهم بأيامهم<sup>(٦)</sup>، وقد أوضح سيد قطب بان كل أمة تتنادى ليسلم لها كتاب عملها وجزائها في الآخرة<sup>(٧)</sup>، (ثم يفصل هذا الإجمال، فتناوى كل جماعة يَمَن بلغهم وهداهم ودلهم ليعزى الناس بنقل الفضل العلمي في أنفسهم إلى غيرهم)<sup>(٨)</sup>، ومما يقوى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾<sup>(٩)</sup> ويقويه أيضا قوله كما ذكرنا ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(١٠)</sup> فوصف الكتاب بإمام لكونه سبباً في نفع المتبعين لما تضمنه من أسباب الخير في الدنيا والآخرة<sup>(١١)</sup>، وعلى هذا كان بالإمكان عقد علاقات دلالية متفاعلة بين بعض وجوه (الإمام) التي ذكرناها وهي الطريق والكتاب والقائد

(١) سورة يس : من الآية ١٢ .

(٢) سورة الأحقاف : من الآية ١٢

(٣) سورة الحجر : من الآية ٧٩ .

(٤) الوجوه والنظائر في القرآن الكبير، هارون بن موسى القارئ، تحقيق : حاتم صالح الضامن (دار الحرية للطباعة، بغداد : ١٩٨٨م)، ص ٦٣ .

(٥) سورة الإسراء : من الآية ٧١ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ١٩٢ .

(٧) ينظر : في ظلال القرآن : ١٥ / ٣٤٧ .

(٨) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة : ١٩٩١م) : ١٤ / ٨٦٨٢ .

(٩) سورة الإسراء : الآية ٧١ .

(١٠) سورة يس : من الآية ١٢ .

(١١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(القدوة)، على الرغم من أنها دلالات مختلفة، فإن ثمة علاقة رابطة بينها وهي القصدُ. فالطريق هو قائد يقتدى به والكتاب هو قائد يقتدى به<sup>(١)</sup>. وكذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾<sup>(٢)</sup>، ومن قبله – أي القرآن – ((الإشارة إلى الصلة بين القرآن والكتب التي قبله، وبخاصة كتاب موسى باعتبار أن كتاب عيسى تكلمة وامتداد له، واصل التشريع والعقيدة في التوراة، ومن ثم سمي كتاب موسى (إماماً) ووصفه بأنه رحمة، وكل رسالة السماء رحمة للأرض ومن في الأرض بكل معاني الرحمة في الدنيا والآخرة))<sup>(٣)</sup>.

هكذا نرى أن سياق القرآني يظهر الكلمة – إمام – في الآيات القرآنية المذكورة أنفياً بوصفها آلة وأداة تحفظ فيها أقوالنا وعلما ومعرفتنا من طرف، ومن طرف آخر تمثل القوى المطلقة التي تحكمنا جميعاً متمثلة بالكتب السماوية المنزلة من الله على أنبيائه المرسلين.

(١) ينظر : اسماء الانبياء وصفاتهم في القرآن الكريم، صالح مطر اللويزي، رسالة ماجستير غير منشورة

مقدمة إلى كلية التربية في جامعة الموصل : ١٤٢٢هـ/٢٠٠١، ص ٢٩ .

(٢) سورة : الأحقاف : من الآية ١٢ .

(٣) في ظلال القرآن : ٢٦ / ٤١٠ - ٤١١ .

للجذر (أنى) في اللغة أصول أربعة البُطء وما أشبهه من اللحم وغيره، وساعة من الزمان، وإدراك الشيء، وظرف من الظروف<sup>(١)</sup>.

((والإناء : معروف (وهو واحد الآنية) وآناء الله : ساعاته والأثناء التأخير))<sup>(٢)</sup>، وقد أشار الراغب الاصفهاني بقوله : أي آن الشيء : ((قرب آناه. وحميم آنٍ أي بلغ اناه من شدة الحر، ومنه قوله تعالى : ﴿ تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾<sup>(٣)</sup>...))<sup>(٤)</sup>.

وقيل أيضاً : الإناء هو ((الوعاء للطعام والشراب (جمع) آنية وجمع الجمع [أوان]))<sup>(٥)</sup> ويقال : ((أنى الشيء يأتي أنياً وأنياً وهو آنى. أي حان وأدرك وجاء في التنزيل العزيز : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾<sup>(٦)</sup> وهو من أنى يأتي))<sup>(٧)</sup>.

وقد وردت اللفظة - آنية - في موضعين من القرآن الكريم<sup>(٨)</sup> وبدلالة مختلفة فاستعمالها في قوله تعالى : ﴿ تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾<sup>(٩)</sup>، بمعنى من عين حارة<sup>(١٠)</sup>. أما استعمالها في قوله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ ﴾<sup>(١١)</sup>، فالآنية هنا هي آنية الجنة يحصل فيها من الفضة بقاؤها ونقاؤها وشرف جوهرها<sup>(١٢)</sup>. وهذا يعني أن الأبرار في الجنة يكرمون بان يدور الخدم حولهم إذا أرادوا الشراب (بآنية من فضة) وقبل : انه ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء، أي ما في الجنة اشرف وأعلى وأنقى<sup>(١٣)</sup>.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١ / ١٤١، العين : ٨ / ٤٠٠ - ٤٠٢ .

(٢) مجمل اللغة : ١ / ٢٠٩ .

(٣) سورة الغاشية : الآية ٥ .

(٤) المفردات : ١ / ٣٥ وينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٤٩ .

(٥) المعجم الوسيط ص ٣١ وينظر : الآلة وأداة، ص ١٩ .

(٦) سورة الحديد : من الآية ١٦ .

(٧) معجم الجاحظ، ابراهيم السامرائي (مطابع كويت تايمز، د / م : ١٩٨٢م)، ص ٢٧-٢٨ .

(٨) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٩٥ .

(٩) سورة الغاشية : الآية ٥ .

(١٠) معجم ألفاظ القرآن : ١ / ٦٥ .

(١١) سورة الإنسان : الآية ١٥ .

(١٢) ينظر : مفاتيح الغيب : ٣٠ / ٢٤٩ .

(١٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٩ / ٩١ .

ويشير السياق القرآني من وراء ذكر لفظة الأنية إلى دلالة ضمنية بمعنى الزيادة في المتاع والجمال لأهل الجنة بحيث يطاف عليهم بأشربة في أنية من فضة لكنها شفة كالقوارير، مما لم تعهده الأرض وهي بأحجام مقدرة تقديراً يحقق السعادة... وزيادة في المتاع فإن الذين يطوفون بهذه الأواني والأكواب بالشراب هم غلمان صباح لا يفعل فيهم الزمن، ولا تدركهم السن<sup>(١)</sup>.

فالإناء بمعناه العام يكتسي صفة واحدة تتنوع أشكالها حسب المرادات البشرية، لكن الأنية في السياق القرآني تعد لفظة إلى حالة تكريمية من الله سبحانه وتعالى في إطعام وسقاية عباده المؤمنين وسقيهم بأنية لا يحلم بها إنسان من جمالها ووصفها، فهذه الأنية ستكون في متناول العبد المؤمن ساعة يشاء شريطة سلوكه الدنيوي الذي يجعله يحظى بهذا التكريم الإلهي.

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٩ / ٢٩٩ .

الواو والتاء والذال ((كلمة واحدة وهي الوند يقال : وَتَدُّ وَتَدِّ وَتَدِّ وَيُقَالُ وَتَدُّ أَيْضًا))<sup>(١)</sup>، والوَتْدُ ((معروف، وجمعه أوتاد ونقول ((تَدُّ يَافِلَانِ وَتَدًّا))<sup>(٢)</sup>. وقيل : ((وَتَدُّ وَوَتَدُّ وَوَدُّ وَالْجَمْعُ أَوْتَادٌ، وَقِيلَ وَتَدَّتِ الْوَتْدَ، وَتَدًّا وَتَدَّةً، وَكَذَلِكَ قِيلَ : أَوْتَدْتُ وَوَتَدْتُ هُوَ وَتَدًّا وَتَدَّةً وَوَتَدُّ - ثَبِتَ -))<sup>(٣)</sup>، ومن المجاز : ((وَتَدَّ اللهُ الْأَرْضَ بِالْجِبَالِ وَأَوْتَدَهَا وَوَتَدَّهَا، وَالْجِبَالُ أَوْتَادُ الْأَرْضِ))<sup>(٤)</sup>، والوَتْدُ وَالْوَدُّ : ((مَارَرًا فِي الْحَائِطِ أَوْ الْأَرْضِ مِنَ الْخَشْبِ وَالْجَمْعُ أَوْتَادٌ... وَالْأَوْتَادُ فِي الشَّعْرِ عَلَى ضَرْبَيْنِ : أَحَدُهُمَا حُرْفَانِ مَتَحْرِكَانِ وَالثَّلَاثُ سَاكِنٌ نَحْوُ (فَعُووَعَلْنَ وَهَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ الْعَرُوضِيُّونَ الْمَقْرُونِ لِأَنَّ الْحَرَكَةَ قَدْ قَرْنَتِ الْحَرْفَيْنِ، وَالْآخِرُ ثَلَاثَةٌ أَحْرَفٌ مَتَحْرِكٌ ثُمَّ سَاكِنٌ ثُمَّ مَتَحْرِكٌ، وَأَوْتَادُ الْبِلَادِ : رُؤْسَاؤُهَا، وَأَوْتَادُ الْفَمِّ : أَسْنَانُهُ عَلَى التَّشْبِيهِ))<sup>(٥)</sup>، والوند أيضاً يطلق على قطعة من خشب أو حديد تثبت في الأرض، أو الجدار يشدُّ بها حبل هو زمام الدابة أو ضبُّ الخيمة ونحو ذلك والجمع أوتاد<sup>(٦)</sup>.

وقد وردت اللفظة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وبصيغة الجمع<sup>(٧)</sup>، منها قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾<sup>(٨)</sup>، وقد ذكر أن قوله تعالى : ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ تعني أوتاداً كانت لفرعون يُعَدَّبُ بها الرجل فيمُدُّه بين أربعة منها حتى الموت<sup>(٩)</sup>. وقد ذهب سيد قطب في تفسيره للفظ الأوتاد في الآية الكريمة ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ بقوله : ((أن هذه أمثلة ممن سبقوا قريشاً في التاريخ - قوم نوح (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وعاد وفرعون صاحب الأهرام التي تقوم في الأرض كالأوتاد وثمود وقوم لوط (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وقوم شعيب (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أصحاب الأيكة - الغابة الملتفة - (أولئك الأحزاب) !! الذين كذبوا الرسل))<sup>(١٠)</sup>، وقيل أيضاً : أي ذو البناء المحكم،... والبنيان يسمى أوتاداً، وقيل : إنه كانت له

(١) مقاييس اللغة : ٦ / ٨٣ .

(٢) العين : ٨ / ٥٥ .

(٣) المخصص : ٣ / ١٩، (السفر الحادي عشر).

(٤) أساس البلاغة، ص ٦١٤ .

(٥) لسان العرب : ٣ / ٤٤٤-٤٤٥، مادة (وتد).

(٦) ينظر : معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٨١٨ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٧٤١ .

(٨) سورة ص : الآية ١٢ .

(٩) ينظر : تفسير غريب القرآن، ص ٣٧٧ .

(١٠) في ظلال القرآن : ٢٣ / ٩٠ .

أوتاد وملاعب يلعب عليها. وقيل : كان يعذب الناس بالأوتاد، وكان إذا غضب على أحد مدّه مستلقياً بين أربعة أوتاد في الأرض، ويرسل عليه العقارب والحيات حتى يموت<sup>(١)</sup>.

وقد ذهب الاصابوني ايضاً إلى أن معنى فرعون ذو الاوتاد تعني، ذي الجنود والجموع والجيوش التي تشد ملكه<sup>(٢)</sup>، ومنهم من ذهب إلى أن ﴿وَفِرْعَوْنَ ذُو الْأَوْتَادِ﴾، فقد تكون تلك اشارات إلى المباني أو الجنود كلها بمثابة الأوتاد التي تقوي البيت وتثبته<sup>(٣)</sup>، وقيل : ((وقد كان للفراعنة اهتمام ببناء الأهرامات التي تشبه الجبال في ارتفاعها، وقد يكون التعبير كناية عن قوته وتمكّنه في سلطانه، وجاء هنا ذكر (فرعون) دون ذكر قومه، إشارة إلى إنه استخف قومه فأطاعوه فكان هو كل قومه، فلا أمر إلا أفرده ولا رأي إلا رأيه))<sup>(٤)</sup>، واللفظ ايضاً في (الفجر : الآية ١٠)، وكذلك فقد ورد اللفظ في موضع ثالث من القرآن الكريم في سورة النبأ قال تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا \* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾<sup>(٥)</sup>، أي جعلنا الجبال كالأوتاد للأرض شبيهاً أي شبه الجبال الأوتاد تثبتها لئلا تميد بكم كما يثبت البيت بالأوتاد<sup>(٦)</sup>.

فأداة الأوتاد كما باننت لنا من تحليل المفسرين أنها تشير إلى قوة وثبات أو قد تأتي إلى ما يقوى به البنيان لكنها قد تتحول من هذا الدور الواهن إلى دور أكثر صلابة يحقق الموازنة، كما في الجبال التي جعلت لتحقق الثبات للكرة الأرضية.

(١) -ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ١٠٢ .

(٢) ينظر : صفوة التفاسير : ٣ / ٥٥٧ .

(٣) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٥٧٦ .

(٤) معارج التفكير ودقائق التدبير : ١ / ٥٢٨ .

(٥) سورة النبأ : الآية ٦،٧ .

(٦) ينظر : صفوة التفاسير : ٣ / ٥٠٧، معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٨١٨ ئ صفوة البيان لمعاني

القرآن، ص ٧٧٥ .

## ٢. حرف الباء

### ٢ - ١ : الباب - الأبواب

للجذر (بوب) اصل واحد وهو قولك تبوبنا بواباً، أي اتخذت بواباً. والباب اصل ألفه واو، فانقلبت ألفاً<sup>(١)</sup>. ((والباب معروف والفعل منه التبويب))<sup>(٢)</sup>. والباب أيضاً يعني ((مدخل المكان والجمع أبواب))<sup>(٣)</sup>. وقد قال الجوهري ((ابوبة للازدواج، وابوبة مبوبة، كما يقال أصناف مصنفة، وهذا شيء من بابتك : أي يصلح لك))<sup>(٤)</sup>.

فالباب على هذا هو مدخل البيت وما يُسدّ به المدخل من خشب ونحوه، ومن الكتاب يعني : القسم يجمع مسائل من جنس واحد يقال هذا من باب كذا : من قبيلة (وجمعه) أبواب وبيبان<sup>(٥)</sup>.

وتحليل الباب في القرآن الكريم على سبعة وجوه هي :

**الوجه الأول :** الباب بمعنى المنزل في قوله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾<sup>(٦)</sup>.

**الوجه الثاني :** الباب بمعنى السكة في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُنْفَرِقَةٍ ﴾<sup>(٧)</sup>.

**الوجه الثالث :** الباب بعينه في قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾<sup>(٨)</sup> مثلها في قوله تعالى : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾<sup>(٩)</sup>.

**الوجه الرابع :** الباب بمعنى الدرب في قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾<sup>(١٠)</sup>.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١ / ٣١٤، المفردات، ص ٨٣ .

(٢) العين : ٨ / ٤١٥ وينظر : مجمل اللغة ١ / ٣٠١، لسان العرب : ١ / ٢٢٣-٢٢٤ مادة (بوب) .

(٣) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ١ / ٨٣ .

(٤) الصحاح ١ / ٩٠ وينظر : المخصص : ١ / ١٣١ السفر الخامس

(٥) ينظر : المعجم الوسيط : ١ / ٧٥، معجم لغة العرب : ١ / ١٢٤، المصطلحات العسكرية في القرآن

الكريم، محمود شيت خطاب، ط ١ (دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت : ١٩٦٦م) : ٢٠ / ٧١٧ .

(٦) سورة الحجر : من الآية ٤٤ .

(٧) سورة يوسف : من الآية ٦٧ .

(٨) سورة ص : ٥٠ .

(٩) سورة البقرة : من الآية ٥٨ .

(١٠) سورة المائدة : من الآية ٢٣ .

**الوجه الخامس :** الباب بمعنى مستفتح الأمر في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾<sup>(١)</sup>، ومثلها في قوله تعالى : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

**الوجه السادس :** الباب بمعنى المدخل والمخرج في قوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾<sup>(٣)</sup>.

**الوجه السابع :** الباب بمعنى الطريق في قوله تعالى : ﴿ لَا تَفْتَحْ لَهُم أَبْوَابَ السَّمَاءِ ﴾<sup>(٤)</sup>. يعني طرق السماء ومثلها في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾<sup>(٥)</sup> وبهذا يظهر أن الباب يستعمل مجازاً فيما يوصل إلى غيره كما ذكر، وأكثر ما ورد في القرآن بالمعنى الحقيقي<sup>(٧)</sup>.

وقد وردت لفظة – الباب – في سبعة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم وبصيغة المفرد والجمع<sup>(٨)</sup>، وبدلالات متنوعة في قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴾<sup>(٩)</sup>، فذكر الباب هنا كان أداة إنقاذ وخلص سيدنا يوسف (عليه السلام)، مما هو فيه وتصوير المشهد في محاولة هروب يوسف (عليه السلام) والخروج من الباب، والمرأة تعدو خلفه لتجذبه إلى نفسها، والاستباق طلب السبق إلى الشيء، ومعناه تبادرا إلى الباب يجتهد كل منهما أن يسبق صاحبه فان سبق يوسف فتح الباب وخرج، وان سبقت المرأة أمسكت الباب لئلا يخرج، علماً أن يوسف (عليه السلام) سبقها إلى الباب واراد الخروج والمرأة تعدو خلفه، فلم تصل إلا إلى دبر القميص ففدته، أي قطعتَه طوياً<sup>(١٠)</sup>. ونتيجة جذبها لسيدنا

(١) سورة المؤمنون : من الآية ٧٧ .

(٢) سورة الأنعام : من الآية ٤٤ .

(٣) سورة البقرة : من الآية ١٨٩ .

(٤) سورة الأعراف : من الآية ٤٠ .

(٥) سورة الحجر : من الآية ١٤ .

(٦) قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر، الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق : عبد العزيز سيد الاهدل، ط ٢ (دار العلم للملايين، بيروت : ١٩٧٢م) : ٨ / ٢٨١ وينظر : معجم ألفاظ القرآن : ١ / ١٣٦ .

(٧) ينظر : معجم ألفاظ القرآن : ١ / ١٣٩-١٤٠ .

(٨) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ١٣٩-١٤٠ .

(٩) سورة يوسف : الآية ٢٥ .

(١٠) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٨ / ١٢٤، صفوة التفسير : ٢ / ٤٨ .

يوسف (عليه السلام) لترده عن الباب عندئذ تقع المفاجأة<sup>(١)</sup> بقوله تعالى : ﴿ وَالْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهذا المشهد يستهل القرآن الكريم وقائعه بالفعل (أستبق) مسنداً إلى المرأة والى يوسف (عليه السلام) معاً فإذا كلاهما يتبادران ويتسابقان إلى الباب فيبدوان في صورة صراع مرير تتبين غاية كل واحد منهما في صورة بديلة لازمة رسمتها عبارة (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ...) (٣) فتجسد لنا هذه الصورة يوسف (عليه السلام) ينفرد منها مسرعاً يريد الباب ليخرج وهي تغدّ الخطأ وراءه لتلحق به اصراراً على ارتكاب الجريمة<sup>(٤)</sup>.

هكذا أوحى السياق القرآني للفظه بان الباب هنا كان أداة مادية بالنسبة ليوسف (عليه السلام) ومفتاح براءة فتح مغاليق الذي كان دائراً بينهما، فوضحت لفظة – الباب – بأنها أداة ثابتة أرادها يوسف (عليه السلام) للهرب، وأرادتها زوج العزيز للطلب : ومثيل اللفظ في قوله تعالى : ﴿ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾<sup>(٥)</sup>. أذن هذه كانت دعوة سافرة من لدن المرأة إلى الفعل الأخير وحركة تغليق الأبواب، كانت لغاية في نفس المرأة لتظهر شغف محبتها وتعلقها بيوسف (عليه السلام)<sup>(٦)</sup>.

وكذلك وردت اللفظة في قوله تعالى : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾<sup>(٧)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾<sup>(٨)</sup>، على الرغم من دلالة الباب المادية الحسية، إلا انه لم يكن هنا دليل براءة كما كان في سورة يوسف (عليه السلام)، بل كان بمعنى الدخول والولوج من باب التمثيل، ففي قوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾<sup>(٩)</sup>، يكشف لنا السياق القرآني للفظة معنى بعيداً غير المعنى القريب للباب كونه مدخلاً للبيت، وذلك ((أن أهل الجاهلية – إلا

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ١٢ / ٧١٢ .

(٢) سورة يوسف : من الآية ٢٥ .

(٣) سورة يوسف : من الآية ٢٥ .

(٤) بناء الصورة الفنية في البيان العربي، د. كامل محمد البصير (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد :

١٩٨٧ م)، ص ٣٧١ وينظر : التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ط ٨ (دار المعارف، مصر : د

/ت)، ص ١٦٨ .

(٥) سورة يوسف : من الآية ٢٣ .

(٦) ينظر : قصص الرحمن في ظلال القرآن، احمد فائز الحمصي، ط ١ (موسسة الرسالة للطباعة والنشر،

بيروت : ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) : ٢ / ٢٢٤ .

(٧) سورة البقرة : من الآية ٥٨ .

(٨) سورة ص : الآية ٥٠ .

(٩) سورة البقرة : من الآية ١٨٩ .

قريشاً ومن ولدته قريش من العرب - كان الرجل منهم إذا أحرم في غير اشهر الحج في بيت مدرٍ او شعرٍ أو خباءٍ نقب في بيته نقباً من مؤخره فخرج منه ودخل ولم يخرج من الباب، وان كان من أهل الأخيبة والفساطيط خرج من مؤخره ودخل منه<sup>(١)</sup>، نستشف دلالة اللفظة - الباب - من خلال سياقها في القرآن الكريم إن هذا من قبيل التمثيل لما هم عليه من تعكيسهم في سؤالهم، وان مثلهم كمثل من يترك باباً، ويدخل من ظهر البيت، فالباب هنا يعنى وجوه الأمور في قوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾<sup>(٢)</sup>، أي باشرُوا الأمور من جوهرها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا<sup>(٣)</sup>.

((وبهذا ربط الله تعالى القلوب بحقيقة إيمانية أصيلة هي التقوى، وربط هذه الحقيقة برجاء الفلاح المطلق في الدنيا والآخرة، وابطل هذه العادة الجاهلية الفارغة من الرصيد الإيماني))<sup>(٤)</sup>.

ومن خلال ما تقدم يظهر لنا تعدد دلالة لفظة - الباب - في القرآن الكريم كما ذكرنا أنفاً لحكمة وغاية أرادها الله من وراء ذلك، فكان الباب أداة عالج بها قضايا وأموراً اقتضتها القدرة الإلهية، فضلاً عن وظيفته الرئيسية كونه مدخلاً للبيت.

(١) معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق : محمد علي النجار، ط٢ (عالم الكتب، بيروت : ١٩٨٠م) : ١١٥ / ١ - ١١٦ .

(٢) سورة البقرة : من الآية ١٨٩ .

(٣) ينظر : مفهوم الاعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، احمد جمال العمري (دار المعارف، مصر : د / ت)، ص ٣٠٤، الأساس في التفسير، سعيد حوى، ٢ (دار السلام للطباعة والنشر، مصر : ١٩٨٩م) : ١ / ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٤) في ظلال القرآن : ٢ / ٢٦٤ .

٢ - ٢ : البساط

للجذر (بسط) اصل واحد وهو امتداد الشيء في عرضه، فالبساط ما يبسط والبساط الأرض، وهي البسيطة يقال مكان بسيط وبساط<sup>(١)</sup>. وقد اشار الفراهيدي إلى ذلك بقوله : ((والبَسْطُ نقيض القبض والبسيطة في الأرض كالبساط في المتاع وجمعه بسط))<sup>(٢)</sup>، ومنه الانبساط : ((ترك الاحتشام يقال : بسطت من فلان فانبسط... والبسط بكسر الباء : الناقة التي تخلى مع ولدها لا يمنع منها))<sup>(٣)</sup>، وقد ذهب الرصافي إلى أن البساط : ((ضربٌ من الطنافس، طويل قليل العرض، جمعه بسط، والعامه اليوم تطلقه على كلمة نسيج من صوف يبسط على الأرض))<sup>(٤)</sup>.

وتحليل لفظة (بسط) في التنزيل العزيز على ستة أوجه منها :

**الوجه الأول :** البسط الضرب في قوله تعالى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾<sup>(٥)</sup>، ضاربو أيديهم إلى أرواح الكفار، واللفظ بنفس المعنى في سورة الممتحنة الآية الثانية كذلك.

**الوجه الثاني :** البسط بمعنى السعة في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ﴾<sup>(٦)</sup>، أي وسع ومثلها في سورة الرعد الآية (٢٦) وسورة البقرة الآية (٢٤٥) وسورة العنكبوت الآية (٦٢).

**الوجه الثالث :** البسط بمعنى الفتح في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾<sup>(٧)</sup>، أي لا تفتح يدك كل الفتح وكذلك في سورة المائدة الآية (١١).

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١ / ٢٤٧، المفردات، ص ٦٠-٦١، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٦٧ .

(٢) العين : ٧ / ٢١٧-٢١٨ وينظر : لسان العرب : ٧ / ٢٥٨-٢٦٠ مادة (بسط)، معجم الجاحظ، ص ٣٩-٤٠ .

(٣) الصحاح : ٣ / ١١١٦ وينظر : مجمل اللغة : ١ / ٢٦٥، المخصص : ١ / ٧٣ السفر الرابع .

(٤) الآلة وأداة، ص ٣٤ وينظر : المعجم الوسيط : ١ / ٥٦، معجم لغة العرب : ١ / ٨٩ .

(٥) سورة الأنعام : من الآية ٩٣ .

(٦) سورة الشورى : من الآية ٢٧ .

(٧) سورة الإسراء : من الآية ٢٩ .

**الوجه الرابع :** البسط بمعنى المهد والفرش في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾<sup>(١)</sup> أي فراشاً ومهداً<sup>(٢)</sup>.

وردت لفظة البساط في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٣)</sup> في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾<sup>(٤)</sup>، فقد قال الطوسي مفسراً للآية الكريمة ان الارض جُعِلَتْ مبسوطه يمكنكم المشي عليها والاستقرار فيها وبين انه إنما جعلها كذلك لتسلقوا فيها سبلاً مختلفة<sup>(٥)</sup>. ويفهم من السياق القرآني للفظه بان الله جعل الأرض فراشاً ومهداً، وقيل ((وكل شيء في القرآن بساطاً)) يعني فراشاً<sup>(٦)</sup>.

وكذلك يلاحظ من سياق الآية ((أن نوحاً وجه قلوب قومه إلى نعمة الله عليهم في تيسير الحياة لهم على هذه الأرض وتذليلها لسيرهم ومعاشهم وانتقالهم وطرائق حياتهم، وهذا ما نلمحه في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾<sup>(٧)</sup>، وهذه الحقيقة القريبة من مشاهدتهم وإدراكهم تواجههم مواجهة كاملة ولا يملكون الفرار منها كما كانوا يفرون من صوت نوح (عَلَيْهِ السَّلَام) وإنذاره، فهذه الأرض بالقياس إليهم مبسوطه ممهدة حتى جبالها قد جعل لهم عبرها دروباً ومخارجاً، كما جعل في سبلها ودروبها يمشون ويركبون وينقلون ويبتغون من فضل الله، ويتعاشون في يسر وتبادل للمنافع والأرزاق))<sup>(٨)</sup>.

هكذا نلاحظ بان لفظة — البساط — في العرف الاجتماعي تعني فراش يبسط على الأرض، ويتخذ وسيلة وأداة للراحة والاستقرار، فان الله تعالى مثل هذه أداة بإطلاقها على الأرض ليقربها إلى أذهان البشر وتصورهم بأنه جعل الأرض كالفراش الذي يبسط للارتياح، ودلّ بذلك على حالة السعي المتواصل لتحقيق المقاصد البشرية خدمة للجميع من جهة، ومن جهة أخرى فان نوحاً (عَلَيْهِ السَّلَام) عرض حقيقة الألوهية ممثلة في خلق السماوات والأرض<sup>(٩)</sup>.

(١) سورة نوح : الآية ١٩ .

(٢) قاموس القرآن أو صلاح الوجوه والنظائر، ص ٦٩ .

(٣) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ١١٩ .

(٤) سورة نوح : الآية ١٩ .

(٥) ينظر : التبيان : ١٠ / ١٣٨، الجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ١٩٧ .

(٦) قاموس القرآن أو صلاح الوجوه والنظائر، ص ٦٩ .

(٧) سورة نوح : الآية ١٩ .

(٨) قصص الرحمن في ظلال القرآن : ١ / ٦٣٢ .

(٩) ينظر : قصص الرحمن في ظلال القرآن : ١ / ٦٣٣ .

وبهذا يتبين ان الأرض جُعِلت كالبساط الذي هو أداة للارتياح والانبساط والاستقرار  
فهي مبسوطة ممهدة لجميع خلق الله، يعيشون عليها كما يريدون باستقرار وسلام لا اضطراب  
فيه.

٣. حرف التاء

٣ - ١ : التابوت

(تبت) : التابوت : فيما بيننا معروف، ﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، قيل كان شيئاً منحوتاً من الخشب فيه حكمة وقيل عبارة عن القلب والسكينة، وبما فيه من العلم وسمي القلب : سبط العلم، وبيت الحكمة وتابوته، ووعاؤه وصندوقه، وعلى هذا قيل : اجعل شرك في وعاء غير سرب، وعلى تسميته بالتابوت قال عمر لابن مسعود (رضي الله عنهما) ((كَنَيْفُ مَلِيٍّ عِلْمًا))<sup>(٢)</sup>، وقيل أيضاً : ((التابوت الأضلاع وما تحويه كالقلب والكبد وغيرهما، تشبيهاً بالصندوق الذي يحرز فيه المتاع أي أنه مكتوب موضوع في الصندوق))<sup>(٣)</sup>.

((وقولهم ما أودعت تابوتي شيئاً ففقدته، أي ما أودعت صدري علماً فعدمته))<sup>(٤)</sup>. وقيل أيضاً : ((التابوت والتابوه والتبوت لغة فيه صندوق من خشب معروف الأضلاع))<sup>(٥)</sup>، ومنه تابوت الميت ((للصندوق الذي تجعل فيه جثته))<sup>(٦)</sup>، والتابوت أيضاً ((من الناعورة : علبة من خشب أو حديد تغرف الماء من البئر جمعه توابيت (مصرية قديمة)<sup>(٧)</sup>، وتحليل لفظة التابوت في القرآن الكريم على وجهين :

**الوجه الأول :** التابوت بمعنى الصندوق الذي وضع فيه موسى في قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٤٨ .

(٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن، ص ٩٥ .

(٣) لسان العرب : ١٧ / ٢ مادة (تبت) وينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٨٧ .

(٤) أساس البلاغة، ص ٥٩ وينظر : المعجم الوسيط : ١ / ٨١ .

(٥) معجم متن اللغة، احمد رضا (دار مكتبة الحياة، بيروت : ١٩٥٨م) : ١ / ٣٨٤ .

(٦) الألة وأداة، ص ٤٧ وينظر : معجم ألفاظ القرآن : ١ / ١٥١ .

(٧) معجم لغة العرب : ١ / ١٣٣ .

(٨) سورة طه : من الآية ٣٩ .

**الوجه الثاني :** التابوت الذي فيه السكينة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ...<sup>(٢)</sup> ، وتفاصيل قصة التابوت طويلة في كتب التفاسير، وقد اختلف في هيئته أقوال العلماء، وقد وردت لفظة (التابوت) في موضعين من القرآن الكريم<sup>(٣)</sup> ، ففي قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴾<sup>(٤)</sup> ((لما اخبر الله تعالى موسى بأنه قد أتاه ما طلبه وأعطاه سؤله عدد ما تقدم ذلك من نعمة ومنه لديه فقال : ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾<sup>(٥)</sup> ، والمن نعمة يقطع بها صاحبها عن غيره باختصاصها به، وقوله تعالى : ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴾<sup>(٦)</sup> ، أي كانت هذه النعمة عليك حين أوحينا إلى أمك ما يوحى، قال قوم : أراد انه الهمها ذلك))<sup>(٧)</sup> ، ((فان قلت إن المقدوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقى إلى الساحل، قلت ما ضرك لو قلت : المقدوف والملقى هو موسى (عليه السلام) في جوف التابوت، حتى لا تفرق الضمائر فيتأفر عليك النظم الذي هو أم أعجاز القرآن...، وروي انها جعلت في التابوت قطناً محلوجاً فوضعت فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم))<sup>(٨)</sup> . وقد اشار سيد قطب واصفاً قوله تعالى بقوله : ((نرى هذا المشهد الذي يتمثل بحركات كلها عنف وخشونة، قذف في التابوت بالطفل وقذف في اليم التابوت، وإلقاء التابوت على الساحل... ثم ماذا؟... وفي زحمة هذه المخاوف كلها... تبرز القدرة القادرة التي تجعل المحبة الهنيئة اللينة درعاً تتكسر عليها الضربات وتتحطم عليه الأمواج وتعجز قوى الشر والطغيان كلها أن تمس حاملها بسوء))<sup>(٩)</sup> .

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٤٨ .

(٢) قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر، ص ٨٥ .

(٣) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ١٤٩ .

(٤) سورة طه : من الآية ٣٩ .

(٥) سورة طه : الآية ٣٧ .

(٦) سورة طه : الآية ٣٨ .

(٧) التبيان : ٧ / ١٥٢-١٥٣ .

(٨) الكشف عن غوامض التنزيل وعيون الاقويل، جار الله محمود الزمخشري (دار الكتاب العربي، بيروت

: ١٣٦٩هـ/١٩٤٧م) : ٣ / ٦٣ وينظر : صفوة التفاسير : ٢ / ٢٣٤ .

(٩) في ظلال القرآن : ١٦ / ٤٧٢ وينظر : قصص الرحمن في ظلال القرآن : ٣ / ٣٩ .

والوجه الآخر في سياق الآية القرآنية : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> وقيل في معنى الآية ((أي علامة ملكه واصطفائه عليكم ﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ أي يردّ الله إليكم التابوت الذي اخذ منكم، وهو كما قال الزمخشري : صندوق التوراة التي كان موسى (عليه السلام)، إذا قاتل قَدَمَهُ، فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، أي في التابوت السكون والطمأنينة والوقار وفيه أيضاً بقية من آثار آل موسى (عليه السلام) وآل هارون وهي عصا موسى وثيابه وبعض الألواح التي كتبت فيها التوراة تحمله الملائكة، قال ابن عباس (رضي الله عنه) : جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون... إن في نزول التابوت لعلامة واضحة أن الله اختاره ليكون ملكاً عليكم إن كنتم مؤمنين بالله واليوم الآخر<sup>(٣)</sup>، إلا ان سيد قطب علق بقوله : ((إن هذه الآية تكفي دلالة على صدق اختيار الله لطالوت إن كنتم حقاً مؤمنين، ويبدو من السياق أن هذه الخارقة قد وقعت فانتهى القوم منها إلى يقين))<sup>(٤)</sup>.

ومما هو معروف في عرفنا الاجتماعي أن (التابوت) يعد أداة تشير إلى الموت وعلاماته، ولكن الله جلا وعلا في كتابه العزيز جعله إحدى الأدوات المادية التي استخدمت في إنقاذ نبيه موسى (عليه السلام) الذي بشر بالدعوة الإسلامية القادمة، وكذلك كانت أداة استخدمت في بذر الطمأنينة في نفوس اتباع النبيين، ففي الوقت الذي ينتج عن دلالاته المادية معنى للموت يكون معنى لاستمرار الحياة في معناه الروحي.

(١) سورة البقرة : الآية ٢٤٨ .

(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٤٨ .

(٣) ينظر : صفوة التفاسير : ١ / ١٥٨ وينظر : الأساس في التفسير : ١ / ٥٧٤ .

(٤) في ظلال القرآن : ٢ / ٣٩٢ .

(تنر) ((التنور عمّت بكل لسان، وصاحبه تنار وجمعه تنانير))<sup>(١)</sup>، ((والتنور معروف))<sup>(٢)</sup>، وقد ذهب ابن دريد إلى ان التنور ليس بعربي صحيح ولم تعرف له العرب اسماً غير التنور، لذلك جاء في التنزيل (وفار التنور) لأنهم قد خوطبوا بما قد عرفوا<sup>(٣)</sup>، وقيل أيضاً التنور : ((الذي يخبز به وقوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ ﴾، قال علي (رضي الله عنه) هو وجه الأرض))<sup>(٤)</sup>. والتنور أيضاً ((ضرب من الكوانين يخبز به، وتتخذ غالباً أسطوانياً أجوف يضيق أعلاه عن أسفله ؛ وجه الأرض كل مفجر الماء محقل الماء الوادي : أعلى الأرض وأشرفها))<sup>(٥)</sup>.

لقد وردت اللفظة - تنور - في موضعين من القرآن الكريم<sup>(٦)</sup>، وبمعنى التمثيل لحضور العذاب، فكانت علامة من الله لنوح (عليه السلام)، وبدءاً لنفاذ وبلوغ الأمر إلى أقصاه ومما يؤيد ذلك قوله تعالى في سياق الآية الكريمة : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾<sup>(٧)</sup>، فقد قال المفسرون : ((حيث جعل الله للنبي نوح (عليه السلام) علامة للبدء بعملية التطهير الشاملة لوجه الأرض ... وكما هو معروف أن التنور الموقد أو الفرن وانبجس منه الماء : فتلك هي العلامة ليسارع نوح فيحمل في السفينة بذور الحياة))<sup>(٨)</sup>، الا ان القرطبي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾<sup>(٩)</sup> أشار إلى أن المفسرين اختلفوا في التنور على سبعة وجوه :

- (١) العين : ١١٤ / ٨ .
- (٢) مجمل اللغة : ٣٣٧ / ١ .
- (٣) ينظر : جمهرة اللغة، لابن دريد، تصحيح : السيد زين العابدين الموسوي، طبعة جديدة بالافست (مكتبة المثني، بغداد : د / ت) : ٢١٤ / ٢ .
- (٤) الصحاح : ٦٠٢ / ٢ وينظر : لسان العرب : ٤ / ٩٥ مادة (تنر)، المعجم الوسيط : ١ / ٨٩ .
- (٥) متن اللغة : مج ١ / ٤١٠-٤١١ .
- (٦) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ١٥٦ .
- (٧) سورة المؤمنون : الآية ٢٧ .
- (٨) في ظلال القرآن : ١٨ / ٢٦ .
- (٩) سورة هود : من الآية ٤٠ .

**الأول :** إنه وجه الأرض، والعرب تسمي وجه الأرض تتوراً، وقد قيل إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك.

**الثاني :** انه تتور الخبز الذي يخبز فيه، وكان تتوراً من حجارة، وكان لحواء حتى صار لنوح فقيل له : إذا رأيت الماء يفور فاركب أنت وأصحابك واتبع الله الماء من التتور فعلمت به امرأته فقالت : يا نوح فار الماء من التتور فقال : جاء وعد ربي حقاً.

**الثالث :** انه موضع اجتماع الماء في السفينة.

**الرابع :** انه طلوع الفجر ونور الصبح، من قولهم نور الفجر تتويراً، قاله علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

**الخامس :** انه مسجد الكوفة، وقيل أن اتخذ نوح (عليه السلام) السفينة في جوف المسجد وكان التتور على يمين الداخل مما يلي كنده، وكان فوران الماء منه علماً لنوح ودليلاً على هلاك قومه.

**السادس :** انه أعالي الأرض والمواقع المرتفعة منها.

**السابع :** انه العين التي بالجزيرة (عين الوردية). وقيل إن هذه الأقوال ليست بمتناقضة لان الله عز وجل اخبرنا أن الماء جاء من السماء والأرض قال : ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾<sup>(١)</sup> فهذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامة<sup>(٢)</sup>، على الرغم من الوجوه السبعة التي تقدمت فان ابن عاشور أكد هذه الوجوه في قوله : ((إن المفسرين منهم من أبقى التتور على حقيقته فجعل الفوران خروج الماء من أحد التناير وانه علامة جعلها الله لنوح (عليه السلام). إذا أثار الماء من تتوره علم أن ذلك مبدأ الطوفان فركب الفلك وأركب من معه، ومنهم من حمل التتور على المجاز المفرد ففسره بسطح الأرض، أي فار الماء من جميع الأرض حتى صار بسطح الأرض كفوهة التتور، ومنهم من حمل (فار) و (التتور) على الحقيقة، واخرج الكلام مخرج التمثيل لاشتداد الحال. كما يقال : حمي الوطيس.. والذي يظهر لي أن قوله (وفار التتور) مثل لبلوغ الشيء إلى أقصى ما يتحمل مثله، كما يقال بلغ السيل الزبى))<sup>(٣)</sup>. وعلى الرغم من المعنى الاجتماعي الدارج لدينا — للتتور — الذي هو اسم لموقد النار للخبز، والذي يعد أداة فاعلة يمكن المعالجة بها. إلا أن السياق القرآني للفظة كان كناية واضحة عن دقة وعد الله سبحانه وتعالى

(١) سورة القمر : الآية ١١ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٢٤ ، في ظلال القرآن : ١٨ / ٢٦ .

(٣) التحرير والتتوير : ١٢ / ٧٠ - ٧١ .

الذي لا يتوانى عن إهلاك الطغاة والمكذابين به ويرسله، ولأن الماء هو الذي يفور عندنا صار فوران (النتور) ممزوجاً بقوة النار ودفق الماء دليلاً على تمثيل رهبة الموقف وشدة الحساب وعظمة الهلاك للطغاة المكذابين، ((ورغم كل ذلك فنحن لا نضرب في متاه في غير دليل، في هذا الغيب الذي لا نعلم منه إلا ما يقدمه لنا النص القرآني، وفي حدود مدلوله بلا زيادة، وأقصى ما نملك أن نقوله : إن فوران التتور – والنتور الموقد – قد يكون بعين فارت فيه أو بفورات بركانية، وان هذا الفوران ربما كان علامة من الله لنوح (عليه السلام)، أو كان مصاحباً مجرد مصاحبة لمجيء الأمر، وبدءاً لتنفيذ هذا الأمر بفوران الأرض بالماء وسح الوابل من السماء))<sup>(١)</sup>.

---

(١) قصص الرحمن في ظلال القرآن : ١ / ٦٦٢ .

٤. حرف الجيم

٤ - ١ : الجارية - الجوار

للجذر (جرى) اصل واحد وهو انسياح الشيء يقال جرى الماء يجري جَرِيَةً وجَرِيًا وجَرِيَانًا. فأما السفينة فهي الجارية، وكذلك الشمس وهو القياس، والجارية من النساء من ذلك أيضاً، لأنها تُسْتَجْرَى في الخدمة<sup>(١)</sup>، وقيل أيضاً الجري ((المر السريع واصله كمر الماء وما يجري يجريه))<sup>(٢)</sup>، وذكر أن الجارية مؤنث الجاري، والجارية تطلق على الصبية، والامة، والشمس، والسفينة، والحية، والنعمة من الله، والجمع جاريات وجوار<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت اللفظة - الجارية - في ستة مواضع من القرآن الكريم أفراداً وجمعاً<sup>(٤)</sup> بدلالات مختلفة، تتحول ضمن السياق القرآني من موضع تدل على معنى الحركة في قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾<sup>(٥)</sup>، أي بمعنى جري الماء إلى موضع آخر تدل فيه على معنى الكواكب السيارة في قوله تعالى: ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾<sup>(٦)</sup>، ((أي الكواكب التي تخش أي ترجع في دورتها الفلكية وتجري وتختلف في كناسها وترجع من ناحية أخرى، وهذا إحياء شعوري بالجمال في حركتها وفي اختفائها وفي ظهورها وتواريتها))<sup>(٧)</sup>. وفي آيات أخرى تظهر بأنها - الجارية - آلة ووسيلة نقل تصارع موجات المياه لتحقيق النقل والتنقل - أجزاء من خشب هين بنظر الإنسان لكن فعله بقدرة البارئ عز وجل يشهد ليحقق معجزة الانتقال عبر المياه من مكان إلى مكان آخر متمثلاً بقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾<sup>(٨)</sup> أي السفن في البحر كالاعلام. الواحد جارية ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ١ / ٤٤٨، أساس البلاغة: ٩١ .

(٢) المفردات: ١٢٩ .

(٣) ينظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ١ / ١٠٦، المعجم الوسيط: ٣ / ١١٩ .

(٤) ينظر: معجم المفهرس لألفاظ القرآن: ١٦٨ .

(٥) سورة الغاشية: الآية ١٢ .

(٦) سورة التكويد: الآية ١٦ .

(٧) في ظلال القرآن: ٣٠ / ٤٨٢ .

(٨) سورة الرحمن: الآية ٢٤ .

الْجَارِيَةِ<sup>(١)</sup> ﴿١﴾ . يعني سفينة نوح (الطَائِفَةُ)<sup>(٢)</sup> .

وقد ذهب سيد قطب إلى أن معنى الجوار في الآية تعني السفن التي تجري بقدرته ولا يحفظها في خضم البحر وثبج الموج إلا حفظه فهي له سبحانه، ولقد كانت — وما تزال — من اضخم النعم التي من الله بها على العباد، والتي يسرت لهم أسباب الحياة والانتقال والرفاهية والكسب ما هو جدير بان يذكر ولا ينكر فهو من الضخامة والوضوح بحيث يصعب التكذيب به والإنكار<sup>(٣)</sup> .

وقيل : ((في جمع الجوارى وتوحيد البحر وجمع الاعلام فائدة عظيمة، وهي أن ذلك إشارة إلى عظمة البحر، ولو قال في البحار لكانت كل جارية في بحر، فيكون البحر دون بحر يكون فيه الجوارى التي هي كالجبال، وأما إذا كان البحر واحداً وفيه الجوارى التي هي كالجبال يكون ذلك بحراً عظيماً وساحله بعيداً فيكون الانجاء بقدره كاملة))<sup>(٤)</sup>، وعلى هذا أشار القرطبي إلى قوله تعالى ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾<sup>(٥)</sup> يعني السفن، وقيل : هي السفن التي رفع قلعها، قال : وإذا لم يرفع قلعها فليست بمنشآت<sup>(٦)</sup>، ((والإخبار عن الجوارى بأنها له للتنبيه على أن إنشاء البحر للسفن لا يخرجها من ملك الله والجوارى صفة لموصوف محذوف دل عليه متعلقاً وهو قوله (في البحر) والتقدير : السفن الجوارى إذ لا تجري في البحر غير السفن))<sup>(٧)</sup> .

ومثيل اللفظ أيضاً في قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾<sup>(٨)</sup>، وقد أشار البيضاوي في تفسيره لقوله ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ هي سفينة نوح (الطَائِفَةُ) التي جعلت أداة في إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين وعبرة ودلالة على قدرة الصانع

(١) سورة الحاقة : الآية ١١ .

(٢) القرآن الكريم وبهامشه كتاب نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، للامام أبي بكر السجستاني، مراجعه : الاستاذ عبد الحلیم بسيوني، مطبعة المكتبة السعيدة، مصر : د / ت، ص ٤٠٩ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٧ / ٦٨٣ .

(٤) مفاتيح الغيب : ٢٩ / ١٠٥ .

(٥) سورة الرحمن : الآية ٢٤ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٧ / ١٠٧ .

(٧) التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٥١ .

(٨) سورة الحاقة : الآية ١١ .

وحكمته وكمال قهره ورحمته في قوله تعالى : ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾<sup>(١)</sup>...<sup>(٢)</sup> وهكذا يتصور لنا مشهد طغيان الماء ومشهد الجارية على الماء الطاعي وكلاهما يتناسق مع مشاهد الصورة وظلالها<sup>(٣)</sup>. وقد دل هذا الطغيان الذي يعني العلو على مبالغة في عظم الحال<sup>(٤)</sup>.

وبعد كل هذا التصور للفظة – الجارية – التي هي آلة النقل والتقل عبر البحار والمحيطات إلا أنها أصبحت في سياق الآيات القرآنية دالة على معجزة وقدرة الله تعالى في فعل سيرها وجريها السريع على الماء وحفظها لمن فيها من طغيان الماء وهيجانه وبهذا كانت أداة نجاة وإنقاذ.

(١) سورة الحاقة : من الآية ١٢ .

(٢) ينظر : انوار التنزيل وأسرار التأويل، عبدالله أبي عمر محمد البيضاوي، تحقيق : عبد القادر عرفات (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت : ١٤١٦هـ/١٩٩٦م) : ٤ / ٣٧٩ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٩ / ٢٥٢ .

(٤) ينظر : ثلاث رسائل في أعجاز القرآن، الرماني الخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق : محمد خلف الله والدكتور : محمد زغلول سلام، ط٣ (دار المعارف، مصر : ١١١٩م)، ص ٨٧ .

٤ - ٢ : الجذع - الجذوع

للجذر (جذع) ثلاثة أصول : أولها يدل على حدوث السن وطرأوته، والأصل الثاني : جذع الشجر والثالث : الجذع : من قولك جَذَعْتَ الشيء إذا دلكته...<sup>(١)</sup>، ((والجذع النخلة، وهو غصنها))<sup>(٢)</sup>، وجذع أيضاً : ((اسم رجل))<sup>(٣)</sup>، وقد أشار الزمخشري في ذلك إلى ان جذع النخلة يعني ساقها، وبه سمّي سهم السقف جذعاً، ومن المجاز : فلان في هذا الأمر جَذَعُ إذا اخذ فيه حديثاً<sup>(٤)</sup>، والجذع أيضاً ((قبل الثني بسنة والازلج الجذع الدهر))<sup>(٥)</sup>.

وقد وردت لفظة - الجذع - في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم إفراداً وجمعاً<sup>(٦)</sup>، ففي قوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾<sup>(٧)</sup>، فكان هذا الجذع أداة طلبتها (مريم) لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، فكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها راس ولا ثمرة ولا خضرة<sup>(٨)</sup>.

ويمضي السياق ليكمل القصة في قوله تعالى : ﴿ وَهَزِيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾<sup>(٩)</sup>، وهكذا ((ووفر الحق سبحانه وتعالى لمريم مقومات الحياة وعناصر استبقائها،... وكأنه يريد أن يظهر لمريم آية أخرى من آياته، فأمرها أن تهزّ جذع النخل اليابس الذي لا يستطيع هزّة الرجل القويّ. فما بالها وهي الضعيفة التي تعاني من الولادة ومشاقها ؟ كما أن الحق سبحانه قادر على أن يُنزل لها طعامها دون جهد منها ودون هزّها، إنما أراد سبحانه أن يجمع لها بين شيئين : طلب الأسباب والاعتماد على المسبب والأخذ في الأسباب في هزّ النخلة، رغم أنها متعبة قد أرهقها الحمل والولادة، وجاء بها إلى النخلة لتستند إليها وتثبت بها في وحدتها لنعلم أن الإنسان في سميّه مُطالب بالأخذ بالأسباب مهما كان ضعيفاً. لذلك أبقى لمريم اتخاذ الأسباب مع ضعفها وعدم قدرتها، ثم تعتمد على المسبب سبحانه الذي انزل لها الرطب مُستويّاً ناضجاً، إنه مجرد اشاره إليه تدلُّ على امتثال الأمر،

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١ / ٤٣٧ .

(٢) العين : ١ / ٢٢١ وينظر : معجم ألفاظ القرآن : ١ / ١٩٦، المعجم الوسيط، ص ١١٣ .

(٣) هو جذع بن سنان من الانصار، وكان اعور . ينظر : الصحاح : ٣ / ١١٩٤ .

(٤) ينظر : أساس البلاغة، ص ٨٦، لسان العرب : ٨ / ٤٣-٤٥ .

(٥) الفارابي اللغوي، د. احمد مختار عمر، مجلة اللسان العربي، العدد (٢٠) (الرباط : ١٩٨٣م)، ص ٦٦ .

(٦) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ١٦٥ .

(٧) سورة مريم : من الآية ٢٣ .

(٨) ينظر : الكشاف : ٣ / ١١ .

(٩) سورة مريم : الآية ٢٥ .

والله تعالى يتولى إنزال الطعام لها))<sup>(١)</sup>. إلا ان سيد قطبي يذكر ان الله لم ينسى مريم البتول ولم يتركها وجعل لها النخلة التي تستند إليها وطعاماً حلواً مناسباً للنفساء وهو الرطب والتمر والذي كان لها اطمئناناً بان الله تعالى لا يتركها لأن حبتها معها، الطفل الذي ينطق في المهد فيكشف عن الخارقة التي جاءت بها إليها<sup>(٢)</sup>، ويعلق سيد قطب ايضاً على ذلك بقوله ((مفاجأة عظي تهزنا روعة وعجباً طفل ولد للحظة يناديها من تحتها ويمهد لها مصاعبها ويهيئ لها طعامها))<sup>(٣)</sup> وعلى هذا فالجذع اصبح لمريم أداة مساعده وإنقاذ. إلا إنه يتحول في سياق آية أخرى إلى أداة من أدوات العذاب متمثلاً في قوله تعالى على لسان فرعون : ﴿ **وَأَصْلَبْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ** ﴾<sup>(٤)</sup>، وانما هو على جذوع النخل ((شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه، فلذلك قيل ﴿ **فِي جُدُوعِ النَّخْلِ** ﴾ وقول فرعون (لاصلبنكم في جذوع النخل ولم يقل (على) إشارة إلى طريقة مؤذية في ربط المؤمن بجذع الشجرة))<sup>(٥)</sup> وكذلك قيل في ﴿ **وَأَصْلَبْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ** ﴾ أي : ((وواصلبنكم مثبّثاً إياكم في جذوع النخل، والايجاز هنا يَدْخُلُ فيما يُسَمَّى بالتضمين))<sup>(٦)</sup>.

هكذا يوحى السياق القرآني للفظة الجذع — بأنها آية من آيات الله وأداة إنقاذ إلهية تمثلت في أعانة مريم العذراء ومساعدتها كما بُين في سياق السورة هذا في طرف، ومن طرف آخر يحولها السياق في آية أخرى كما وضح إلى أداة من أدوات التعذيب يتحمل مشاقها الإنسان المؤمن بغية الوصول إلى ما هو اقدس واعظم من كل مباحج الدنيا.

(١) تفسير الشعراوي : ١٥ / ٩٠٦٦ ، ٩٠٦٨ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ١٦ / ٤٣٣ .

(٣) التصوير الفني في القرآن، ص ١٦٢ .

(٤) سورة طه : من الآية ٧١ .

(٥) الكشف : ٣ / ٧٦ .

(٦) معارج التفكير ودقائق التدبر : ٨ / ٣٨٤ .

للجذر (جفن) اصل واحد وهو شيء يُطيفُ بشيء ويَحْوِيه، فالجَفْنُ جَفْنُ العَيْنِ، والجَفْنُ جَفْنُ السيف. وجَفْنُ مكانٍ وسمِّي الكرم جَفْنًا لأنه يدور على ما يُعَلِّقُ به<sup>(١)</sup> ((الجَفْنَةُ التي للطعام وجمعها الجَفَانُ، وجَفْنَةٌ أيضاً قبيلة من اليمن))<sup>(٢)</sup> وقيل أيضاً ((الجَفْنَةُ كالقصة والجمع الجَفَانُ والجَفْنَاتُ بالتحريك، لأن ثاني فعله يحرك في الجمع إذا كان اسماً إلا أن يكون ياءً أو واواً فيسكن حينئذ))<sup>(٣)</sup> وقيل ان : ((والجَفْنَةُ تطلق على البئر الصغيرة))<sup>(٤)</sup> ((ومن المجاز : أنت الجَفْنَةُ الغراء : للجواد المضياف))<sup>(٥)</sup> وقد ذكر ابن منظور أن الجَفْنَةَ تعني الخمرة<sup>(٦)</sup> وقيل أيضاً : ((إن اعظم آنية الطعام الجَفْنَةُ ثم القصعة ثم الصفحة ثم المنكلة ثم الصُحَيْفَةُ))<sup>(٧)</sup> وقيل كذلك ((كان لعبد الله بن جدعان جفنة يأكل منها القائم والراكب، وقد روى ذلك المدائني وذكر انه وقع فيها صبي فغرق))<sup>(٨)</sup> ولعل هذا مبالغ فيه.

وقد وردت اللفظة - جفان - في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٩)</sup> في قوله تعالى : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾<sup>(١٠)</sup> والتشبيه الملحوظ في هذه الآية ((تشبيه آلة الجفان وهي (القصاع التي يؤكل فيها) بالجوابي لسعتها وعمقها))<sup>(١١)</sup> لأن الجوابي تعني : ((الحياض الكبار، وان الماء يجبي فيها، أي : يجمع جعل الفعل لها مجازاً وهي من الصفات الغالبة))<sup>(١٢)</sup>، ((وقديماً جرت عادة العرب وسار مألوفهم على تشبيهه

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١ / ٤٦٥ .

(٢) العين : ٦ / ١٤٦ وينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ١٠٨ .

(٣) الصحاح : ٥ / ٢٠٩٢ وينظر : معجم ألفاظ القرآن : ١ / ٢١١ .

(٤) مجمل اللغة : ١ / ٤٤٥ .

(٥) أساس البلاغة، ص ٩٦ .

(٦) ينظر : لسان العرب : ١٣ / ٩٠ مادة (جفن) .

(٧) الألة وأداة، ص ٦٩ .

(٨) الجمان في تشبيهات القرآن، ابن نايقا البغدادي تحقيق : مصطفى العبادي (مطبعة روي، الإسكندرية : د / ت)، ص ١٨٦ .

(٩) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ١٧٥ .

(١٠) سورة سبأ : من الآية ١٣ .

(١١) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة مجيد الاطرقي (دار الحرية للطباعة، بغداد :

١٩٧٨م)، ص ٢٧٧ .

(١٢) الكشف : ٣ / ٥٧٢ .

الجفان بالجوابي، وذلك للدلالة على كثرة الضيفان وكرم الوفادة ووفرة الخير للقاصد))<sup>(١)</sup>، وقيل وصفاً للجفنة ((بأنه كان يقعد على الجفنة ألف رجل وكانت ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها))<sup>(٢)</sup>.

إذن لتشبيهه الجفان بالجوابي مدلولان :

**أولهما :** ((السعة في الحجم والغزارة في المحتوى، وقال الأسود بن يعفر :

**وجفنة كنضيق البئر متآفة ترى جوانبها باللحم مفتوقاً<sup>(٣)</sup>**

**وثانيهما :** نفاسة المحتوى، وكونه اعز ما يتمناه البدوي (الدهن والشحم)، ولهذا وصفوا الجفنة بكونها غراء، وهي البيضاء لأنها مملوءة بالدهن الذي يلمع في الجفنة لمعان انعكاس (صفحة الماء في الأحواض))<sup>(٤)</sup>. وقد قال الرازي : ((إن كلمة – الجفان – قدمت في الذكر على كلمة – القدور – مع ان القدور آلة الطبخ والجفان آلة الاكل، والطبخ قبل الاكل، فنقول : لما بين الابنية الملكية أراد بيان عظمة السماط، الذي يمد في تلك الدور، وأشار إلى الجفان لأنها تكون فيه. وأما القدور فلا تكون فيه، ولا تحضر هناك ولهذا قال (راسيات) أي غير منقولات، ثم لما بين حال الجفان العظيمة، كان يقع في النفس أن الطعام الذي يكون فيها في أي شيء يطبخ، فأشار إلى القدور المناسبة للجفان))<sup>(٥)</sup>.

ونخلص من ذلك بان السياق القرآني أشار إلى دلالة صريحة للفظ الجفان، بانها ذكرت لتدل على عظمة السماط الذي يمد في تلك الدور تكريماً للأتقياء الكرماء الذين هم سادة الآخرة.

(١) التشبيهات القرآنية ز البيئة العربية، ص ٢٧٧ .

(٢) الكشف : ٣ / ٥٧٣ .

(٣) ينظر : الاغاني، ابي الفرج الاصفهاني (دار الفكر، بيروت : ١٩٧٠) : ١١ / ١٣٨، التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، ص ٢٧٧ .

(٤) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، ص ٢٧٧ .

(٥) مفاتيح الغيب : ٢٥ / ٢٤٩ وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٤ / ١٧٦ .

٥. حرف الحاء

٥ - ١ : الحَبْلُ - الحَبَالُ

للجذر (حبل) اصل واحد يدل على امتداد الشيء ثم يحمل عليه، ومرجع الفروع مرجع واحد، فالحبل هو الرّسن معروف، والجمع حبال، والحبل أيضا حبل العاتق، والحبل : قطعة من الرمل يستطيل، والمحمول عليه الحبل وهو العهد<sup>(١)</sup>. وقيل أيضاً : ((الحبل موضع بالبصرة على شاطئ النهر))<sup>(٢)</sup>، والحبل : ((الأمان وأخذت بحبل من فلان أي عهداً وأماناً... وحبل الذراع معروف، وقيل إن الحبل موقف خيل الحلبّة قبل أن تطلق... وبه سمي حبل البصرة وهو راس ميدان زياد))<sup>(٣)</sup>، وكذلك فان الحبل ((يعني الرباط والجمع حبال، وحبل الله دينه وعهده وقرآنه))<sup>(٤)</sup>، وقد علق ابن سيدة قائلاً : ((ومن كلامهم جعلت حُبُولهم على غواربهم))<sup>(٥)</sup>، وقيل : الحَبْلُ أيضاً الوصال، والحَبْلُ بالكسر الداهية وجمّعها حُبُول<sup>(٦)</sup> ((ومن المجاز : وهو اقرب إليه من حبل الوريد، وهو على حبل ذراعك أي ممكن لك مستطاع، وكان بينهم حبال فقطعوها أي عهود ووصل، وانه لواسع الحَبْلُ وضيق الحبل، يَعْنُونَ الخُلُق، وكل شيء صار في شيء فالصائر حبل للمصير فيه))<sup>(٧)</sup>. واصل الحبل في كلام العرب ((ينصرف على وجوه منها العهد وهو الأمان... ونقول فهذا حبل الجوار أي ما دام مجاوراً أرضه وهو من الإجارة والأمان والنصرة،... والحبل في غير هذا المواصله))<sup>(٨)</sup>، وقال امرؤ القيس :

اني بحبلك واصل حَبْلِي      وبريش نَبْلِك رائش نَبْلِي

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ١٣٠-١٣١ .

(٢) العين : ٣ / ٢٣٦ .

(٣) جمهرة اللغة : ١ / ٢٢٨-٢٢٩ وينظر : الصحاح : ٤ / ١٦٦٤، مجمل اللغة : ٢ / ١٣٢-١٣٣ .

(٤) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ١٢٣ .

(٥) المخصص : ٢ / ١٧٠، ١٧١ (السفر التاسع) .

(٦) ينظر : اصلاح المنطق، ص ٥ .

(٧) أساس البلاغة، ص ١١١ .

(٨) لسان العرب : ١١ / ١٣٥ ، مادة (حبل).

((وهذان مثلان ضربهما للمودة والمواصلة))<sup>(١)</sup> قال ابن منظور : ((والعرب تشبه النور الممتد بالحبل والخيط))<sup>(٢)</sup>، وقيل : ((الحبل مصدر حبل وما فتل من ليف ونحوه ليبربط به أو ليقاد به جمع حباله (على غير قياس)...))<sup>(٣)</sup>، واشتقاق (الحبال) أما من الحبل وهو العهد أو من الحبال المعروفة<sup>(٤)</sup>.

وذكر (للحبل) في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي :

**الأول :** ((الحبل يعني العهد<sup>(\*)</sup>) في قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّنَ مَا تَفْقَهُوا إِنَّا بِحَبْلِ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٥)</sup>.

**الثاني :** الحبل يعني القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(٦)</sup>. قال ابن مسعود : حبل الله القرآن.

**الثالث :** الحبل الإسلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ﴾<sup>(٧)</sup>، وحبل الله في هذا الموضع الإسلام.

**الرابع :** الحبل الرسن في قوله تعالى : ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾<sup>(٨)</sup>، يعني رسناً من ليف<sup>(٩)</sup>.

وقد وردت لفظة (حبل) في سبعة مواضع من القرآن الكريم أفراداً وجمعاً<sup>(١٠)</sup>، وبدلالات مختلفة في قوله تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>، وللرازي رأي في ذلك

(١) ديوان أمرؤ القيس، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، ٣ (دار المعارف، مصر : ١٩٦٩م)، ص ٢٣٩ وينظر : لسان العرب : ١١ / ١٣٥ .

(٢) لسان العرب : ١١ / ١٣٧ وينظر : معجم متن اللغة : ٢ / ١٧-١٨ .

(٣) معجم لغة العرب : ١ / ٢٥٨ وينظر : المعجم الوسيط : ١ / ١٥٣ .

(٤) ينظر : الاشتقاق، ابن دريد الازدي، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون، ط٢ منقحة (منشورات مكتبة المثني، بغداد : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) : ١ / ٢٠٩ .

(\*) حبل الله هو الاسلام كما في الوجه الثالث وحبل الناس هو العهد.

(٥) سورة آل عمران : من الآية ١١٢ .

(٦) سورة آل عمران : من الآية ١٠٣ .

(٧) سورة آل عمران : من الآية ١١٢ .

(٨) سورة المسد : الآية ٥ .

(٩) قاموس القرآن، ص ١١٥-١١٦ .

(١٠) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ١٩٣ .

ذلك بقوله واعلم أن كل من يمشي على طريق دقيق يخاف أن تنزلق رجله، فإذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانب ذلك الطريق أمن من الخوف، ولا شك أن طريق الحق طريق دقيق، وقد انزلق رجل الكثير من الخلق عنه، فمن اعتصم بدليل الله وبياناته فإنه يأمن من ذلك الخوف، فكان المراد من الحبل ههنا كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين وهو أنواع كثيرة، فمنهم من قال: المراد بالحبل ههنا العهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾<sup>(٢)</sup>... وإنما سمي العهد حبلاً لأنه يزيل عنه الخوف من الذهاب إلى أي موضع شاء، وكان كالحبل الذي من تمسك به زال عنه الخوف، وقيل إنه القرآن أيضاً... وقيل أيضاً: إنه دين الله، وقيل: طاعة الله، وكل الأقوال متقاربة، والتحقيق ما ذكرنا أنه لما كان النازل في البئر يعتصم بحبل حرزاً من السقوط فيها، وكان كتاب الله وعهده ودينه وطاعته وموافقته بجماعة المؤمنين حرزاً لصاحبه من السقوط في قعر جهنم جعل ذلك حبلاً لله، وأمروا بالاعتصام به<sup>(٣)</sup>.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وإن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم ثلاثاً قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال))<sup>(٤)</sup>. فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً<sup>(٥)</sup>.

إذا الحبل يمثل هنا دين الله وكتابه، أي تمسكوا بدين الله وكتابه جميعاً، ولا تفرقوا عنه ولا تختلفوا في الدين كما اختلفت من قبلكم من اليهود والنصارى<sup>(٦)</sup>، ((وشبه استظهار

(١) سورة آل عمران: من الآية ١٠٣.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٤٠.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٨ / ١٧٧-١٧٨.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤ / ١٠٥. ورواية الحديث وردت بهذه الصيغة: أن الله تبارك وتعالى يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وإن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وإن تناصحوا من ولأه الله امركم، ويسخط لكم قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال. ينظر: الموطأ، مالك بن انس، قدمه وراجعاه: فاروق سعد، ط ١ (مؤسسة جوني وادلبي للطباعة والتجليد، بيروت: ١٩٧٩م)، ص ٨٤٢.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤ / ١٠٥.

(٦) ينظر: صفوة التفاسير: ١ / ٢١٩.

العبد بالله ووثوقه بحمايته، والنجاة من المكاره باستمساك الواقع في مهواة بحبل وثيق مدلى من مكان مرتفع يأمن انقطاعه))<sup>(١)</sup>.

وكذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفْتَوُوا إِنَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾<sup>(٢)</sup>، ((فالحبل هنا مستعار للعهد ... والمعنى لا يسلمون من الذلّة إلا إذا تلبسوا بعهد من الله، أي ذمة الإسلام، وإذا استتصروا بقبائل أولي بأس شديد))<sup>(٣)</sup>، ومثيل اللفظ في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾<sup>(٤)</sup>، وهذا من المجاز، أما اللفظ في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾<sup>(٥)</sup>، أي ((فالقوا فإذا تلك الحبال والعصي التي القوها يتخيّلها موسى (ﷺ) ويظنها - من عظمة السحر - إنها حيات تتحرك وتسعى على بطونها، والتعبير يوحي بعظمة السحر حتى إن موسى فزع منها واضطرب))<sup>(٦)</sup>. هكذا نرى أن السياق القرآني يفاجئنا بما فوجئ به موسى (ﷺ) بحركة مفاجئة ماجت بها الساحة حتى موسى، والتعبير يشير بعظمة ذلك السحر حتى ليوجس في نفسه خيفة موسى (ﷺ)، وهو لا يوجس في نفسه خيفة إلا لأمر جل ينسيه لحظة إنه الأقوى، حتى يذكره ربه أن معه القوة الكبرى، فيبقى في ظل الطمأنينة والثبات للحق<sup>(٧)</sup>، ومثيل اللفظ في قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾<sup>(٨)</sup>، أي فالقوا ما بأيديهم من الحبال والعصي وقالوا عند الإلقاء تقسم بعظمة فرعون وسلطانه انا نحن لغالبون لموسى<sup>(٩)</sup>، ولفظة (الحبال) في الآيتين السابقتين ((جمع للحبل الذي يشد به))<sup>(١٠)</sup>.

(١) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم (مطابع الهيئة

المصرية العامة للكتاب، د / ت : ١٩٧٤م) : ٣ / ١٥٥-١٥٦ .

(٢) سورة آل عمران : من الآية ١١٢ .

(٣) التحرير والتنوير، ص ٤ / ٥٦ وينظر : الأساس في التفسير : ٢ / ٨٥١ .

(٤) سورة ق : من الآية ١٦ .

(٥) سورة طه : من الآية ٦٦ .

(٦) صفوة التفاسير : ٢ / ٢٣٩ .

(٧) ينظر : قصص الرحمن في ظلال القرآن : ٣ / ١١٨ .

(٨) سورة الشعراء : الآية ٤٤ .

(٩) ينظر : صفوة التفاسير : ٢ / ٣٧٩ .

(١٠) معجم ألفاظ القرآن : ١ / ٢٤٧ .

هكذا نرى أن موسى (عليه السلام) خُيل له إن حبالهم وعصيهم حيات تسعى، وبهذا تتبين قوة الحق الكامنة الهائلة التي لا تتبختر ولا تتطاول، ولكنها تدفع الباطل في النهاية، فإذا هو زاهق فتلقفه فتطويه فإذا هو يتوارى<sup>(١)</sup>.

نخلص من ذلك أن آلية أداة الحبل لا تكمن في سر استخدامه الظاهر وحسب وإنما في مغزاه الذي يتعدى ظاهره المادي للعيان، فهو عند الله القوة التي تجمع الناس على أساسيات التقوى حيناً وهو نفسه الأداة التي تدعم النبي موسى وتبطل سحر الكفرة.

وقد وردت لفظة (الحبل) أيضاً في التنزيل العزيز كأداة تعذيب وبطش في الآخرة وضُرِبَتْ زوجة أبي لهب مثلاً للتعذيب بهذه الأداة لما في الحبل من قدرة التطويق والخنق بوساطة عقده أو لفه كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ \* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقيل: ((حبل من ليف تشد هي به في النار، أو هو الحبل الذي تشد به الحطب، على المعنى الحقيقي إن كان المراد به هو الشوك، أو المعنى المجازي إن كان حمل الحطب كناية عن حمل الشر والسعي بالأذى والوقية))<sup>(٣)</sup>.

وقد اختلف أهل التأويل في وصف (الحبل) وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: ((هو حبل جمع من أنواع مختلفة من ليف وحديد ولحاء وجعل في عنقها طوقاً كالقلادة من ودع))<sup>(٤)</sup>، ومهما اختلف أهل التأويل، فما يرى الناس (أبا لهب) إلا ويتمثل لهم على الصورة التي صوره القرآن بها، ولا يرونه على تلك الصورة إلا وامرأته تسعى بين يديه أو من خلفه.. موقرة بأحمال من حطب ثقيلة مرهقة، ستعين على حملها بهذا الحبل المشدود إلى عنقها، وقد أحننت له ظهرها وانكشف منها ما كان من حقه أن يستر عن الناس، فأبي شيء يسوء العربي ويخزيه أكثر من هذا السوء والخزي... شأنها شأن العبيد والإماء<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٤٨٣ / ١٦ .

(٢) سورة المسد: الآية ٤، ٥ .

(٣) في ظلال القرآن: ٦٩٩ / ٣٠ .

(٤) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ضبط تعليق: محمود شاكر، تصحيح علي عاشور، ط١ (دار احياء التراث العربي، بيروت: ٢٠٠١م): ٣ / ٤١٧ وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠ / ١٦٤ - ١٦٥ وصفوة التفاسير: ٦١٩ / ٣ .

(٥) ينظر: أعجاز القرآن في دراسة كاشفة في خصائص البلاغة، عبد الكريم الخطيب، ط١ (مطبعة دار الكتاب العربي، مصر: ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م)، ص ٢٩ .

وللدكتور صبحي الصالح رأي آخر في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ \* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾<sup>(١)</sup>، فقال : ((إنه تستخدم الكناية في القرآن لاختصار مقدمات لا أهمية لها بالتنبيه على النتيجة الحاسمة التي يتقرر فيها المصير...، فقوله تعالى : ﴿ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ \* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، فهي تسعى بالنميمة ومصيرها أن تكون حطباً لجهنم وان تكون مغلولة اليد، وأوضح أن الكناية هنا لخصت في ومضة واحدة المصير الذي يراد تصويره))<sup>(٣)</sup>.

فلهذا التصوير لزوجة أبي لهب معاني ثانية غير المعاني الأولى الظاهرة، وهذا ما ذهب إليه الدكتور فتحي احمد عامر، فهو يذكر أن من هذه المعاني أن ((للظلم نهاية من ابشع النهايات على وجه التحقيق كما صورت لنا هذه النهاية في قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ \* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾<sup>(٤)</sup>، وهناك أيضاً معنى آخر يتجلى بوضوح في تقابل بين أنموذجين : أنموذج هو في مرتبة الإجلال والسيادة على النفس ويتمثل في النبي (ﷺ) وأصحابه المؤمنين (ﷺ)، وأنموذج هو في مرتبة التحقير والانحطاط والعبودية للنفس ويتمثل في أبي لهب وزوجته ومن على شاكلته من المشركين))<sup>(٥)</sup>.

كل تلك المعاني صورها القرآن وأوحى بها السياق وأنت تتصور منظر زوجة أبي لهب وهي تحمل الحطب على ظهرها مستعينة بالحبل الذي لفته على عنقها والذي كان طوقاً يجرها ذليلة سحيقة وهي من بيت العز والشرف حالها حال الخطابات... فأى ذل وخنوع هذا ؟.

(١) سورة المسد : الآية ٤،٥ .

(٢) سورة المسد : الآية ٤،٥ .

(٣) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ط٧ (دار العلم للملايين، بيروت : ١٩٧٢م)، ص ٣٣١ .

(٤) سورة المسد : الآية ٤، ٥ .

(٥) المعاني الثانية في الاسلوب القرآني، د. فتحي احمد عامر (منشأة المعارف، الإسكندرية : د/ت)، ص

للجذر (حَدَّ) أصلان الأول المنع والثاني طرف الشيء، فالحد الحاجز بين الشيئين... ويقال للَبَّابِ حَدَّادٌ لمنعه الناس من الدخول<sup>(١)</sup>، قال الأعشى يمدح سلام الحميري :

فقمنا ولما يصح ديكننا إلى جونة عند حدَّادها

والجونة سوداء يقصد خابية الخمر لأنها كانت تظلى بالقار لتسد مسامها فلا ترشح حدَّادها صاحبها الذي يحد الناس أي يزودهم عنها لنفاستها<sup>(٢)</sup>. أما الأصل الآخر فقولهم : ((حد السيف هو حَرْفُه، وحدُّ السكين وحدُّ الشراب : صلابته، وحد الرجل : بأسه وهو تشبيهه))<sup>(٣)</sup>. ويقال أيضاً ((حددت السكين وغيره أحده حدًا وأحدَّها يحدُّها احداداً وسكين حديد وحداد، إذا مسحت بحجر أو مبرد... وبه سمي السجن حداداً لمنعه كأنه يمنع من الحركة، وسمي الأعشى الخمار - حداداً - لأنه يحبس الخمر عنده))<sup>(٤)</sup>. قال الفراهيدي : ((والحديد معروف وصاحبه الحداد))<sup>(٥)</sup>. إلا ان ابن سيدا قال : ((والحديد جنس لا يثنى ولا يجمع، وقيل الحديد واحده حديدة... وحديدٌ ليس بفعيل في معنى فاعل لأنه لا فعل له، فأما قولهم حددت عليه أحد فليس منه على ان هذا المثال فعل له ولكن الحديد يشتق منه أفعال كقولهم حدَّتهُ أحدَه حدًا واحدته واحدته وحدتُ أحدٌ وحكي... حديدة وحدائد وحدائدات جمع الجمع))<sup>(٦)</sup> وقال الزمخشري إن ((من المجاز : احتد عليه : غضب، وفيه حدة، وهو حديدٌ وهو من احداء الرجال، ولفلان جدٌ وحدٌ أي بأس))<sup>(٧)</sup>، ((والحديد عنصر فلزي كثير الانتشار في باطن الأرض وظاهرها))<sup>(٨)</sup>.

وتحليل لفظ (حدد) في التنزيل الكريم على أربعة أوجه :

- (١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ٣، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ١٢٥ .
- (٢) ديوان الاعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق : د. محمد حسين (المطبعة النموذجية، د / م : ١٩٥٠م)، ص ٨.
- (٣) مقاييس اللغة : ٢ / ٤-٥ وينظر : مجمل اللغة : ١ / ٥ - ٦ .
- (٤) جمهرة اللغة : ١ / ٥٧ .
- (٥) العين : ٣ / ١٩-٢٠ .
- (٦) المخصص : ٣ / ٢٦ (السفر الثاني عشر) وينظر : المفردات، ص ١٥٧-١٥٨ .
- (٧) أساس البلاغة، ص ١١٦ .
- (٨) معجم لغة العرب : ١ / ٢٧ .

**الوجه الأول :** الحديد يعني الحاد في قوله تعالى : ﴿ فَبَصَّرْكَ الْيَوْمَ حَدِيدًا ﴾<sup>(١)</sup>، يعني حاداً

**الوجه الثاني :** الحديد بعينه في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

**الوجه الثالث :** الحديد الخلف في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾<sup>(٣)</sup>، أي يخالفون.

**الوجه الرابع :** حدود الله يعني أحكامه في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾<sup>(٤)</sup>، يعني أحكام الله ومثلها في (في سورة الطلاق : ٧) و (سورة النساء الآية : ١٣)<sup>(٥)</sup>.

وردت لفظة — حديد — في خمسة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٦)</sup>، وبوصفها آلة وأداة التي تنفع وتخدم الآخرين لصلابتها وقوتها في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾<sup>(٧)</sup>، ففي هذه الآية إشارة إلى إرادة الله وتقديره في خلق الأشياء والأحداث فهي منزلة بقدره وتقديره، انزل الله الحديد (فيه بأس شديد) وهو قوة في الحرب والسلم<sup>(٨)</sup>. وللمخشري تفسير لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾<sup>(٩)</sup>، قيل : ((نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد : السندان، الكلبتان الميعة، المطرقة، الإبرة، وروى معه المرو المسحاة، فيها (بأس شديد)، وهو القتال به (ومنافع للناس) أي في مصالحهم ومعاشهم وصنائعهم فما صناعة إلا والحديد آلة فيها، أو ما يعمل بالحديد))<sup>(١٠)</sup>.

وقد ذكر الرازي أيضاً في تفسيره للآية ذاتها : ((إن مصالح العالم أما أصول وإما فروع، فالأصول أربعة : الزراعة والحياسة وبناء البيوت والسلطنة، فثبت انه لا تتنظم مصلحة إلا بهذه الحرف الأربعة، أما الزراعة فمحتاجه، إلى الحديد وذلك في كرب الأرض

(١) سورة ق : من الآية ٢٢ .

(٢) سورة الحديد : من الآية ٢٥ .

(٣) سورة المجادلة : من الآية ٥ .

(٤) سورة البقرة : من الآية ١٨٧ .

(٥) ينظر : قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه، ص ١٢٠-١٢١ .

(٦) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ١٩٥ .

(٧) سورة الحديد : من الآية ٢٥ .

(٨) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٧ / ٧٣٩ .

(٩) سورة الحديد : من الآية ٢٥ .

(١٠) الكشاف : ٤ / ٤٨٠-٤٨١ .

وحفرها، ثم عند تكون الحبوب وتولدها لا بد من خبزها وتنقيتها، وكذلك فإن الحبوب لا بد من طحنها وذلك لا يتم إلا بأداة الحديد، وكذلك الفواكه فلا بد من تنظيفها عن قشورها وقطعها على الوجوه الموافقة للأكل ولا يتم ذلك إلا بالحديد، والحياسة فمعلوم أنه يحتاج في آلات الحياكة إلى الحديد ثم يحتاج إلى قطع الثياب وخطاؤها إلى الحديد، وأما البناء فمعلوم أن كمال الحال فيه لا يحصل إلا بالحديد، وأما أسباب السلطنة فمعلوم أنها لا تتم ولا تكمل إلا بالحديد، وعند هذا يظهر أن أكثر مصالح العالم لا تتم إلا بالحديد<sup>(١)</sup>.

وكذلك نرى استخدام (الحديد) في ظل سياق آية قرآنية أخرى والتي تبدو خارقة ليس من مألوف البشر في قوله تعالى : ﴿وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد بين لنا سيد قطب أنه : ((لم يكن الأمر تسخين الحديد حتى يلين ويصبح قابلاً للطرق، وإنما كان – والله اعلم – معجزة يلين بها الحديد من غير وسيلة اللين المعهودة، هكذا نلاحظ جواً من معجزات وظلال خوارق خارجة عن المألوف، وروي أن الله تعالى همّ داؤد (عليه السلام) أن يصنع (سابغات) أي الدروع، فكانت تصلب الجسم وتتقله، وصناعتها من رقائق متداخلة، متموجة لينة يسهل تشكيلها وتحريكها بحركة الجسم، وأمر بتضييق تداخل هذه الرقائق لتكون محكمة لا تنفذ منها الرماح وهذا التقدير في السرد، والأمر كله إلهام وتعليم من الله<sup>(٣)</sup>) هكذا نرى أن الحديد في سياق هذه الآية استخدم أداة وآلة نفعية شكّلت قوة بقدرة الله تعالى مع مادة الطين اللزجة المرنة، فمطاوعته لرغبات سيدنا داؤد (عليه السلام)، إنما هو آية تستحث العقول التي دعاها للإيمان أن تفكر بسر هذه القدرة التي تغالب صلة الحديد الذي لا يكون بتصور المخوفين إلا دليلاً على القوة والمتانة تلك القوة التي تخضع بتأييد الله لإرادة الأنبياء المصطفين فتصير لهم آية ترقق مشاعر الذين يدعوهم الأنبياء فيؤمنوا بهم، وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله : ((إن الحديد بهذا الاستعمال صار لغزاً للقوة التي تخضع إلى الأقوى، حينما ألان الله الحديد بيد سيدنا داؤد (عليه السلام) يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة<sup>(٤)</sup>)).

وعلق الرازي بقوله : ((وعلمه صنعة اللبوس وهي الدروع، وإنما اختار له الله ذلك لأنه وقاية للروح التي هي : من أمره وسعى في حفظ الادمي المكرم عند الله من القتل<sup>(٥)</sup>)).

(١) مفاتيح الغيب : ٢٤٣ / ٢٩ .

(٢) سورة سبأ : من الآية ١٠ .

(٣) في ظلال القرآن : ٢٢ / ٦٣٥ .

(٤) الكشف : ٣ / ٥٧١ .

(٥) مفاتيح الغيب : ٢٥ / ٢٤٧، وكذا في (سورة الحج الآية : ٢١)، (الكهف الآية : ١٨) .

ونخلص من هذا كله ان في قوله تعالى هو إخبار المولى بما انعم على عبده ورسوله داؤد (عليه السلام) حتى كان الحديد بين يديه كالعجين، يصنع منه الدروع السابغة التي تقي الانسان شر الحروب<sup>(1)</sup>.

أما قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾<sup>(2)</sup>، فقد استعملت لفظة — حديد — هنا ليس بدلالة الألة والأداة، وإنما خرجت إلى معنى بعيد وهو يعني ((أي علمك ومعرفتك بها قوية، من قولهم بصر بكذا أي علم، وليس المراد رؤية العين))<sup>(3)</sup>.

وهكذا نرى أن البصر شبه بالحديد، وذلك لصفة الصلابة والقوة المتمثلة في (الحديد) أي يجب أن يكون علمك ودرائتك بالأمر ومعرفتك بالأسباب والمسببات قوية صلبة كقوة أداة الحديد وباسه.

(1) ينظر : روائع البيان في تفسير آيات من القرآن، ص ٢٧٧ .

(2) سورة ق : الآية ٢٢ .

(3) الإتيان في علوم القرآن : ٣ / ٩٦ .

## ٦. حرف الخاء

### ٦ - ١ : الخزائن

للجذر (خزن) أصل يدل على صيانة الشيء يقال خزنت الدرهم وغيره خزناً وخزنت السر<sup>(١)</sup>. قال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان

هنا كنى باللسان عن السر الذي يحفظه ويذيعه<sup>(٢)</sup>. وقيل : ((خزانتني قلبي وخازني لساني قال لقمان لابنه : إذا كان خازنك حفيظاً وخزانتك أمينة سُدت في دنياك وآخرتك. يعني اللسان والقلب. والخزانة الموضع الذي يخزن فيه الشيء))<sup>(٣)</sup> وذكر الجوهري : ((والخزانة بالكسر : واحدة الخزائن))<sup>(٤)</sup>. وقيل الخزانة : ((صندوق مربع توضع فيه النقود. وقيل أيضاً خزانة : القسم الأعلى من الآلة الموسيقية المسماة كمنجة. وخزانة الكتب : مكتبة. والخزانة تعني : صوان، تخت، دولا ب وخيمة وكذلك تعني الخزانة : مخزن الأمتعة، وخزان السلاح، ترسانة))<sup>(٥)</sup>.

وتحليل لفظة — خزائن — في القرآن الكريم يأتي على أربعة أوجه :

**الأول :** الخزائن يعني المفاتيح في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾<sup>(٦)</sup>، يعني مفاتيح الرزق، ومثلها في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾<sup>(٧)</sup>، يعني بفاتحين.

**الثاني :** الخزائن يعني النبوة والكتاب في قوله تعالى : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾<sup>(٨)</sup>، يعني النبوة والكتاب.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ١٧٨، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ١٦١ .

(٢) ديوان امرؤ القيس، ص ٩٠ .

(٣) العين : ٤ / ٢٠٩ .

(٤) الصحاح : ٥ / ٢١٠٨، وينظر: المفردات، ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٥) تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة : د. محمد سليم النعيمي (دار الرشيد للطباعة، بغداد :

١٩٨١م)، ٣ / ٨٦-٨٧ .

(٦) سورة الإسراء : من الآية ١٠٠ .

(٧) سورة الحجر : من الآية ٢٢ .

(٨) سورة ص : الآية ٩ .

**الثالث :** الخزائن المطر والنبات كقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>، يعني المطر والنبات.

**الرابع :** خزائن الخراج في قوله تعالى : ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، يعني على خراج ارض مصر<sup>(٣)</sup>.

وردت لفظة خزائن في سبعة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>، وبدلالات متعددة في قوله تعالى : ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾<sup>(٥)</sup>، وقد فسر الطوسي قوله تعالى : ((يعني أرضك، وأراد بذلك أديم الأرض التي هي ملكه ويجمع منها ماله وطعامه، طلب إليه ذلك ليحفظ ذلك عمن لا يستحقه، ويوصله إلى الوجوه التي يجب صرف الأموال لها، فلذلك رغب إلى الملك فيه، لان الأنبياء لا يجوز أن يرغبوا في جمع أموال الدنيا إلا لما قلناه))<sup>(٦)</sup>، أما قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾<sup>(٧)</sup>، ولسيد قطب رأي في ذلك بان محمداً (ﷺ) يؤمر من ربه أن يقدم لهم نفسه بشراً مجرداً من كل الأوهام التي سادت الجاهليات عن طبيعة النبي والنبوة، وان يقدم لهم كذلك هذه العقيدة بذاتها مجردة من كل اغراء.. ولا ثراء ولا ادعاء.. إنها عقيدة يحملها الرسول (ﷺ)، لا يملك إلا هداية الله، تنير له الطريق.. وانه لا يقعد على خزائن الله ليغدق منها على من يتبعه، انه يؤمر أن يقدم عقيدة خالية من كل زخرف ويعرف من يفيئون إلى ظلها انهم لا يفيئون إلى خزائن قال، ولا إلى وجاهة دنيا، ولا إلى تميز على الناس بغير التقوى، إنما يفيئون إلى هداية الله وهي اكرم واغنى<sup>(٨)</sup> وبهذا يتبين أن الخزائن في هذه الآية هي إشارة إلى النبي نوح (عليه السلام) حيث يقول : لا ادعي الاستغناء المطلق هذا أولاً وثانيها : أني لا املك العلم التام وإليه الإشارة بقوله (ولا اعلم الغيب) ولا ادعي أيضاً القدرة التامة الكاملة، فالمقصود من ذكر هذه الأمور الثلاثة بيان انه ما حصل عند النبي من هذه المراتب الثلاثة إلا ما يليق بالقوة البشرية والطاقة الإنسانية فأما الكمال المطلق فانا لا ادعيه، واذا كان الامر كذلك فقد ظهر ان قوله : ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ

(١) سورة المنافقون : من الآية ٧ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٥٥ .

(٣) ينظر : قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه النظائر، ص ١٥٥ .

(٤) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٢٣١ .

(٥) سورة يوسف : من الآية ٥٥ .

(٦) التبيان : ١٥٧ / ٦ .

(٧) سورة الأنعام : من الآية ٥٠ .

(٨) ينظر : في ظلال القرآن : ٧ / ٢٢٦ .

إِنِّي مَلَكٌ... ﴿١﴾ يدل على انهم اكمل من البشر، وايضاً يمكن جعل هذا الكلام جواباً عما ذكروا من الشبهة فانهم طعنوا في اتباعه بالفقر فقال : ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ ﴿٢﴾ حتى اجعلهم أغنياء ﴿٣﴾، وبذلك فقد دلت كلمة خزائن على المال الوافر الكثير فقد قال الرسول ﷺ لا أقول لكم عندي المال الوافر الكثير حتى تتبعوني لغنائي ﴿٤﴾، وكذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ﴾ ﴿٥﴾، قيل : إن خزائن هنا تعني المطر والرزق، وقيل أيضاً تعني مفاتيح ربك بالرسالة يضعونها حيث شاؤوا، وضرب المثل بالخزائن؛ لأن الخزانة بيت/ يهياً لجمع أنواع مختلفة من الذخائر؛ ومقدرات الرب كالخزائن التي فيها من كل الأجناس فلا نهاية لها ﴿٦﴾، ((ف (أم) هنا بمعنى (بل) الدالة على الإضراب، منضماً إليه معنى الاستفهام فيصير المعنى : بل عندهم...؟ أي : بل، عندهم خزائن رحمة ربك تفويضا من قبله فهم يتصرفون بها على ما يشاءون، حتى يعطوا منها أو يمسكوا بحسب أهوائهم، وهو الله عظم سلطانه الغلاب الذي لا يحتاج في كونه إلا أوصياء على خزائن رجته بحسب حكيمته، لا بحسب أهواء عباده ﴿٧﴾ وقد أشار صبحي الصالح بقوله : ((وهذا ما حرص عليه القرآن بالرمز والإيحاء أن يكني عن الحقائق الدينية الكبرى المتعلقة بذات الله وصفاته بأسلوب تزيده المبالغة حسناً، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ ﴿٨﴾، فنرى جمال الكناية عن أزلية الأرزاق والمقدرات بالخزائن كما في الآية السابقة)) ﴿٩﴾. هكذا نرى إن القرآن يجعلنا نرسم في خيالنا صورة ناطقة لا تقف عند الرمز الكنائي وإنما تتجاوز إلى التعريض أي تذكر اللفظ وتلوح به إلى ما ليس من معناه لا حقيقة ولا مجازاً ﴿١٠﴾.

(١) سورة الانعام : من الآية ٥٠.

(٢) سورة هود : من الآية ٣١ .

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٧ / ٢٢٥ .

(٤) ينظر : صفوة التفاسير : ٢ / ١٣، الأساس في التفسير : ٣ / ١٦٣٥ .

(٥) سورة الطور : من الآية ٣٧ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٧ / ٥٠، صفوة التفاسير : ٣ / ٢٦٨ .

(٧) معارج التفكير ودقائق التدبير : ٣ / ٥٠٢ .

(٨) سورة الحجر : الآية ٢١ .

(٩) مباحث في علوم القرآن، ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(١٠) م . ن، ص ٣٣٢ .

وكما هو معروف أن الخزانة بمعناها العام هي آلة وأداة لحفظ وصيانة وخرن كل أنواع الذخائر، لكن السياق القرآني يتجلى بوضوح بذلك العطاء غير المنقطع من لدن البارئ عز وجل متمثلاً بلفظة – خزائن – التي يفيض علينا منها بالخير الوافر لمن يشاء من عباده لأنه المتحكم المطلق.

٦ - ٢ : الخيام

للجذر (خيم) اصل واحد يدل على الإقامة والثبات، فالخيمة معروفة ؛ والخيم عيدان تُبنى عليها الخيمة، ويقال خيم بالمكان أقام به، ولذلك سميت الخيمة. والخيم : السجّية بكسر الخاء لان الإنسان يبني عليها، ويكون مُرجعه أبداً إليها<sup>(١)</sup>، وقال ابن دريد : وقالوا خيام وخيم وخيم الانسان خليفته يقال رجل حسن الخيم، وخام عن الشيء يخيم خيماً إذا احاد عنه<sup>(٢)</sup>.

ويقال ((خيم بمكان كذا، وتخيّم... وضربوا الخيام والخيم والخيم وهو كريم الخيم وخام عن الحرب ومن المجاز : خيمت البقر : أقامت في مراتبها لا تبرح، وتخيمت الريح في الثوب والبيت بقيت فيه))<sup>(٣)</sup>، وقيل خيم : الخيمة : ((بيت من بيوت الأعراب مستدير بينيه الأعراب من عيدان الشجر... وقيل هي ثلاثة أعواد وأربعة يلقى عليها الثمام ويستظل بها في الحر والجمع خيمات وخيام وخيم وخيم، وقيل الخيم ما يبني من الشجر والسعف يستظل به الرجل إذا أورد ابله الماء، والخيمة عند العرب : البيت والمنزل وسميت خيمة لان صاحبها يتخذها كالمنزل الأصلي، والخيام أيضاً الهوادج على التشبيه))<sup>(٤)</sup>، والخيم : ((تعريب خيم أي الطبيعة))<sup>(٥)</sup>، والخيمة أيضاً تعني ((خباء ومظلة وقد جمعت في معجم فوك على خوائم، وجمعت في معجم بوشر على خيم : والخيمة أيضاً تعني أبا العشيرة، أصل العشيرة))<sup>(٦)</sup>.

وقد وردت لفظة - الخيام - في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٧)</sup>، في قوله تعالى : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾<sup>(٨)</sup>، ((أي بيوت من لؤلؤ شبيهة بالخيام))<sup>(٩)</sup>. لكن الرازي ذهب إلى أن الخيام هي ((إشارة إلى عظمتهم فإنهن ما قصرن حجراً عليهن وإنما ذلك إشارة إلى ضرب الخيام لهن وادلاء الستر عليهن، والخيمة مبيت الرجل كالبيت من الخشب، حتى إن العرب تسمي البيت من الشعر خيمة لأنه معد للإقامة، إذا ثبت هذا، فنقول قوله ((مقصورات في الخيام)) إشارة إلى معنى في غاية اللطف، وهو أن المؤمن في الجنة لا

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ٢٣٦ .

(٢) ينظر : الجمهرة : ٢ / ٣٤٣-٣٤٤ .

(٣) أساس البلاغة، ص ١٨٠ .

(٤) لسان العرب : ١٢ / ١٩٣، مادة (خيم) .

(٥) الألفاظ الفارسية المعربة، السيد ادنى شير (المطبعة الكاثوليكية، بيروت : ١٩٠٨م)، ص ٥٩ .

(٦) تكلمة المعاجم العربية : ٤ / ٢٦٤ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٢٥٢ .

(٨) سورة الرحمن : الآية ٧٢ .

(٩) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ١ / ١٨٠ .

يحتاج إلى التحرك لشيء وإنما الأشياء تتحرك إليه، فالمأكل والمشروب يصل إليه من غير حركة منة منة،  
ويطاف عليهم بما يشتهون فالحور يكنّ في البيوت عند الانتقال إلى المؤمنين في وقت إرادتهم  
تسير بهن للارتحال إلى المؤمنين خيام وللمؤمنين قصور تنزل الحور من الخيام إلى  
القصور<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث ((إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية  
منها اهل الآخريين، يطوف عليهم المؤمنون))<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب سيد قطب إلى أن : ((الخيمة تمثل ظل البداوة، ونعيم بدوي أو ما يمثل  
مطالب أهل البداوة))<sup>(٣)</sup>، فالخيمة وما هو معروف في العرف الاجتماعي أداة ووسيلة لاستقرار  
الناس وحمايتهم من تغيرات الطبيعة حراً وبرداً أما في المعنى التفسيري فكانت إشارة ودلالة  
إلى الحياء الذي وصفن به النساء، وكذلك فهي تحتجز في داخلها حصة المؤمنين من نعيم  
الآخرة المادي هذا الستر أي (الخيمة) كان امتحاناً للمؤمن حتى يلقى مكافأته بذلك الجمال  
الإلهي عند كشفه، فهذه (الخيمة) تمثل الثبات والبقاء لنعيم الآخرة لدى المؤمنين الذين خصهم  
الله بنعيمه الإلهي.

(١) مفاتيح الغيب : ٢٩ / ١٣٦ .

(٢) صحيح البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري (دار الفكر، بيروت : ١٩٨٦م) : ٤ / ١٨٤٩ .

(٣) في ظلال القرآن : ٢٧ / ٦٨٩ .

٦ - ٣ : الخيط - الخياط

للجذر (خيط) أصل واحد يدل على امتداد الشيء في دقة ثم يحمل عليه فيقال في بعض ما يكون منتصباً فالخيط معروف، ويقال لما يسيل من لعاب الشمس خيط باطل<sup>(١)</sup>.

((فأما الخيط بالكسر، فالجماعة من النعام، وهو قياس الباب لان المجتمع يكون كالذي خيط بعضه إلى بعض))<sup>(٢)</sup>. قال الزمخشري : ((ومن المجاز اخذ الليل في طي الربط، وتبين الخيط من الخيط، وهو أدق من خيط باطل وهو الهباء المنبث في الشمس وقيل لعاب الشمس وقيل الخيط الخارج من فم العنكبوت الذي يقال له مخاط الشيطان))<sup>(٣)</sup>، والخيط أيضاً : ((السلك يخاط به جمع خيوط))<sup>(٤)</sup>، وكذلك قيل ((خيط : هو حبل رفيع يربط بمغلاق الباب يرفع إذا أريد فتحها، وخيط : شريط نظمت فيه خرز قلادة من اللؤلؤ أو من الجمان، وخيط أيضاً : مسبحة أيضاً. وخيط البناء : الإمام وهو الخيط الذي يمد على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساق البناء))<sup>(٥)</sup>.

وقد وردت لفظة (الخيط) في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٦)</sup> في قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾<sup>(٧)</sup>، فالخيط هنا ((كناية عن بياض الصبح وسواد الليل، فقد روي انه لما نزلت هذه الآية قال عدي بن حاتم<sup>(\*)</sup> أخذت عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي، وكنت أقوم من الليل فانظر إليهما فلم يتبين لي الأبيض من الأسود، فلما اصبحت غدوت إلى الرسول ﷺ فاخبرته فضحك. وقال ﷺ ((انك لعريض القفا)) انما ذلك بياض النهار وسواد الليل وبذلك يستدل به على بلاهة الرجل ونقول يدل قطعاً على انه تعالى كنى عن بياض أول النهار وسواد آخر

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ٢٣٣ .

(٢) م . ن : ٢ / ٢٣٤ .

(٣) أساس البلاغة، ص ١٧٩ .

(٤) لسان العرب : ٧ / ٢٧٨ مادة (خيط) وينظر : المصطلحات العسكرية، ١ / ٢٢٨ ومعجم لغة العرب : ١ / ٤١٦ .

(٥) تكملة المعاجم العربية : ٤ / ٢٥٧-٢٥٩ .

(٦) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٢٥١ .

(٧) سورة البقرة : من الآية ١٨٧ .

(\*) هو عدي بن حاتم بن سعد الطائي، أمير وصحابي وكان رئيس طي في زمن قبل الاسلام، كان اسلامه سنة ٩ هـ وشارك في حروب الردة توفي في الكوفة سنة ٦٨ هـ . ينظر : سير اعلام النبلاء، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، تحقيق : شعيب الارنؤوط (مؤسسة الرسالة، بيروت : د / ت) : ٣ / ١٦٢-١٦٥ .

للليل))<sup>(١)</sup>، وهذا ما أشار إليه الصابوني مؤكداً قول الرازي عندما قال : ((إن هذه استعارة عجيبة والمراد بها بياض الصبح وسواد الليل والخيطان ههنا مجاز وإنما شبههما بذلك لان بياض الصبح يكون في أول طلوعه مشرقاً خافياً، ويكون سواد الليل منقضياً مولياً، فهما جميعاً ضعيفان إلا أن هذا يزداد انتشاراً وهذا يزداد استمراراً))<sup>(٢)</sup>، وهناك من قال بان الخيط في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾<sup>(٣)</sup>، ((أريد به فجر الكاذب لا الليل))<sup>(٤)</sup> وثمة رأي يقول : ((إن الخيط يعني اللون))<sup>(٥)</sup>.

هكذا يوحي السياق القرآني بان لفظة (الخيط) خرجت من معناها الظاهر إلى معنى ابعد من كونه خيطاً هيناً بل كانت إشارة إلى بيان شرط من أحكام الله لركن من أركان الإسلام إلا وهو الصيام.

ومن (خيط) الخياط : الإبرة، (والخياط الفاعل)<sup>(٦)</sup> ((وكل شيء خطت به فهو مخيطاً وكل شيء خطته فهو مخيط))<sup>(٧)</sup> وقد ذكر الراغب الاصبهاني قائلاً : يقال قد خطت الثوب أخيطه خياطة... والخياط : الإبرة التي يخاط بها<sup>(٨)</sup>، والخياط والمخيط : ((ما خيط به وهما أيضاً الإبرة. وقيل : المخيط ونظيره مما يعتمل به مكسور الأول، كانت فيه الهاء أو لم تكن))<sup>(٩)</sup> وقيل أيضاً الخياط : ((آلة الخياطة كالإبرة ونحوها))<sup>(١٠)</sup> وذكر ان والخياط بوزن فعال من أوزان الآلة والأداة، ولعل هذا من الأبنية القديمة مثل أن يكون للآلة أبنية قياسية هي (فعل ومفعله ومفعال)<sup>(١١)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب : ٥ / ١١٨ .

(٢) صفوة التفاسير : ١ / ١٢٣ .

(٣) سورة البقرة : من الآية ١٨٧ .

(٤) في ظلال القرآن : ٣ / ٣٢١ .

(٥) مجاز القرآن : ١ / ٦٨ .

(٦) ينظر : العين : ٤ / ٢٩٣ .

(٧) جمهرة اللغة : ٢ / ٢٣٣ .

(٨) ينظر : المفردات : ٢٣٢، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ١٧٩ .

(٩) لسان العرب : ٧ / ٢٩٨ مادة (خيط) .

(١٠) معجم الفاظ القرآن : ١ / ٣٨٩ .

(١١) ينظر : من بديع لغة التنزيل : الدكتور ابراهيم السامرائي، ط ٢ (مؤسسة الرسالة، بيروت : ١٤٠٤هـ /

١٩٨٤م)، ص ٩٦ - ٩٧ .

وقد وردت لفظة (الخياط) في موضع واحد من القرآن الكريم.<sup>(١)</sup>، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾<sup>(٢)</sup>، وكما هو معلوم أن الخياط هو آلة الخياطة وهو (الإبرة) فقد فسر سيد قطب قوله تعالى بقوله : ((فقد مثل مشهد الجمل تجاه ثقب الإبرة، فحين يفتح ذلك الثقب الصغير لمرور الجمل الكبير فانتظر حينئذٍ - وحينئذٍ فقط - تفتح أبواب السماء لهؤلاء المكذبين، فيقبل دعاؤهم أو توبتهم، وقد فات الأوان، وان يدخلوا إلى جنة النعيم! أما الآن والى أن يلج الجمل في سمّ الخياط، فهم هنا في النار، التي تداركوا فيها جميعاً وتلاحقوا، وتلاوموا فيها وتلاعنوا، وطلب بعضهم لبعضهم سوء الجزاء ونالوا جميعاً ما طلبه الأولياء للأولياء))<sup>(٣)</sup>.

الا ان الرازي اشار إلى ان الجمل خص بالذكر من بين سائر الحيوانات لأنه اكبر الحيوانات جسماً عند العرب، فجسم الجمل اعظم الأجسام، وثقب الإبرة أضيق المنافذ وكان ولوج الجمل في تلك الثقب الضيقة محالاً<sup>(٤)</sup>، ومعنى القول انهم لا يدخلون يوم القيامة الجنة حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة، وهذا تمثيل لاستحالة دخول الكفار الجنة كالاستحالة دخول الجمل على ضخامته في ثقب الإبرة على دقته مبالغة في التصوير<sup>(٥)</sup>. هكذا اظهر السياق القرآني لفظة (الخياط) بأنها أداة تمثيل وتخيل على استحالة دخول الكفار الطواغيت إلى جنة الله تبارك وتعالى، وبهذا صارت برهاناً على عقاب العصاة والمارقين من بني آدم لقاء المعاندة والمكابرة التي تخلقوا بها وتحذوا قدرة الله ومشيتته.

(١) ينظر : المجمع المفهرس لألفاظ القرآن : ٢٥١ .

(٢) سورة الأعراف : من الآية ٤٠ .

(٣) في ظلال القرآن : ٥١٦ / ٨ .

(٤) ينظر : مفاتيح الغيب : ٨١ / ١٤ .

(٥) ينظر : صفوة التفسير : ٤٤٦ / ١ .

## ٧. حرف الدال

٧ - ١ : الدسر

للجذر (دسر) اصل واحد يدل على الدقع. يقال دَسَرْتُ الشيء دَسْرًا إذا دَفَعْتَهُ دفعًا شديدًا. ومما شذ عن الباب وهو صحيح : الدَسَارُ : خيط من ليف تشدّ به ألواح السفينة والجمع دُسْرٌ<sup>(١)</sup>، ويقال : ((جَمَلٌ دَوْسَرٌ وَدَوْسَرِيٌّ وَدَوْسَرَانِيٌّ : ضخم الهامة والمنكب))<sup>(٢)</sup> ويقال : ((واركبوا في ذات الألواح ومن المجاز، دَسَرُ المرأة : بضعها))<sup>(٣)</sup>. قال تعالى : ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾<sup>(٤)</sup>، والدُسْرُ : ((تعني المسامير))<sup>(٥)</sup>، فهي إذا مسامير تُشَدُّ بها ألواح السفينة<sup>(٦)</sup>، وقال ابن منظور : ((كل شيء يكون نحو السِّمْرِ وإدخال شيء في شيء بقوة، فهو الدُّسْرُ، يقال دَسَرْتُ المسمار أدُسْرُهُ، أدُسْرُهُ دِسْرًا))<sup>(٧)</sup>، وقيل إن المسمار ((إن كان من خشب فهو دِسار))<sup>(٨)</sup>، وقد ذكر الرصافي أن الدسار : الشرط التي تسد بها السفينة، والدسار يضم به كل من اللوحين إلى الآخر بانتشاب طرفيه فيهما جميعاً، ومنه قول علي (رضي الله عنه) ((رفعها بغير عمدٍ يدعمها ولا دسار ينتظمها))...<sup>(٩)</sup>، والدسار : ((مُعرب دُوسر واصل معناه نو رأسين))<sup>(١٠)</sup>.

وقد وردت لفظة (الدُسْر) في موضع واحد من القرآن الكريم وبصيغة الجمع<sup>(١١)</sup>، في قوله تعالى : ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾<sup>(١٢)</sup>، وقد بين الرازي أن الألواح في قوله تعالى : (ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ) كانت إشارة إلى أنها كانت مركبة موثوقة بدسر بدليل حذف

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ٢٧٨.

(٢) العين : ٧ / ٢٢٦ .

(٣) أساس البلاغة، ص ١٨٧ .

(٤) سورة القمر : الآية ١٣ .

(٥) المخصص : ٣ / ٢٥ (السفر العاشر) وينظر : المعجم الوسيط : ١ / ٢٨٢ .

(٦) ينظر : القرآن الكريم وبهامشه كلمات القرآن، حسنين محمد مخلوف (دار الخير للطباعة والنشر، دمشق : ٢٠٠٢م)، ص ٥٢٩ .

(٧) لسان العرب : ٤ / ٢٨٥ وينظر : معجم لغة العرب : ١ / ٤٣٨ .

(٨) المدخل إلى تقويم اللسان، حاتم الضامن، مجلة المورد، العدد (٣-٤)، مج ١٠ (بغداد : ١٩٨١م)، ص ٢٠٧ .

(٩) ينظر : الآلة وأداة، ص ٩٩ .

(١٠) الألفاظ الفارسية المعربة : ٦٤ .

(١١) ينظر : معجم المفهرس لألفاظ القرآن : ٢٥٧ .

(١٢) سورة القمر : الآية ١٣ .

الموصوف واقامت الصفة مقامه، وكان انفكاكها في غاية السهولة ولم يقع فهو بفضل الله))<sup>(١)</sup>، وقد ذكر الصابوني ان المقصود من ذلك ((حملنا نوحاً على السفينة ذات الألواح الخشبية العريضة المشدودة بالمسامير، ويفهم من هذا الوصف أنها (السفينة)، فهي صفة تقوم مقام الموصوف وتتوب عنه ونحوه، وهذا من فصيح الكلام وبديعه))<sup>(٢)</sup>، إذ ذكر الدسر كان كناية عن السفينة التي حملت نوح (عليه السلام) ومن معه من المؤمنين ... وهذا هو المعنى الذي يلائم سياق الطوفان الصعب الذي أحاط خطره وأحرق بكل حي<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من ان - الدُسُر - تعد أداة عيانية تشد وتقوى ألواح خشب السفينة وترصها جنباً إلى جنب إلا أنها في غاية السهولة بحيث تتفصل عن بعضها في أية لحظة لكن القدرة الإلهية بفضل الله سبحانه وتعالى تمنع ذلك لتنتقل الإيمان والمؤمنين إلى حيث النجاة، والظاهر من سياق اللفظة ((إنه أريد بها وصف فخامة وقيمة السفينة التي حملت المؤمنين من قوم نوح (عليه السلام) وتعظيم أمرها فهي توصف ولا تذكر لفخامتها وقيمتها))<sup>(٤)</sup>، ولسيد قطب إشارة أخرى في تفسير قوله تعالى : ﴿ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسُرٍ﴾<sup>(٥)</sup> بانها ذكرت لتصوير مدى القوة التي يملك رصيدها من يُغلب في سبيل الله... وان قوى الكون الهائلة كلها في خدمته وفي نصرته والله من ورائها بجبروته وقدرته))<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٩ / ٣٩ .

(٢) صفوة التفاسير : ٣ / ٢٨٥ - ٢٨٦، وينظر : الأساس في التفسير : ١٠ / ٥٦٠٨ - ٥٦٠٩ .

(٣) ينظر : الكناية في القرآن الكريم، احمد فتحي رمضان، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الاداب، جامعة الموصل : ١٩٩٥م، ص ٣٢١ .

(٤) قصص الرحمن في ظلال القرآن : ١ / ٦٦٥ .

(٥) سورة القمر : من الآية ١٣ .

(٦) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٧ / ٦٥٠ .

للجذر (دلى) اصل يدلُّ على مقارنة الشيء ومدانته بسهولة ورفق، يقال : أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر فاذا نزعت فقد دلوت، والدلو أيضاً ضربٌ من السيّر سهل<sup>(١)</sup>، ((والدلو معروفة مؤنثة وقد ذكرت في الشعر على معنى الغرب والسجل))<sup>(٢)</sup>، قال الجوهري : ((إن الدلو واحدة الدلاء التي يستقى بها وكذلك الدلا بالفتح، الواحدة دلّاة، وجمع الدلو في أقل العدد ادلّ... والكثير دلّاءٌ ودلّي... والدلو : برج من بروج السماء، والدلو : سمة الإبل. وقولهم جاء فلان بالدلو : أي الداهية))<sup>(٣)</sup>. قال تعالى : ﴿ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ﴾<sup>(٤)</sup>، يلاحظ ان استعارة الدلو كان للتوصل إلى الشيء<sup>(٥)</sup>، ومنه التدلّي : الدنو والاسترسال كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾<sup>(٦)</sup>، وكذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾<sup>(٧)</sup>، وقد ذكر الزمخشري النواعير تعني الدوالي بدليل القول ((وسقى أرضه بالدالية وبالذوالي وهي النواعير... ودلّي رجله من السرير، ودلاه بحبل من سطح أو جبل... ومن المجاز : دلا فلان ركابه دلوا إذا رفق بسوقها... ودلوت حاجتي : طلبتها... ودلوت بفلان إلى فلان : ممّت به وتشفّعت به إليه... وأدلى بحقه وحجته : أحضرها))<sup>(٨)</sup>، والدلو أيضاً ((الوعاء الذي يُخرج به الماء من البئر وغيرها))<sup>(٩)</sup>.

وقد وردت لفظة (الدلو) في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(١٠)</sup> ففي قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ﴾<sup>(١١)</sup>، قال الطوسي والمعنى : ((يعني أرسل دلوه ليملاً، يقال أدليت الدلو إذ أرسلتها لتملاً، ودلوتها إذ أخرجتها مملأه، وقيل انه لما أرسل

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ٢٩٣، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ١٩٠ .

(٢) جمهرة اللغة : ٢ / ٣٠٠ .

(٣) الصحاح : ٦ / ٢٣٣٨ - ٢٣٣٩ وينظر : لسان العرب : ١٤ / ٢٦٤ - ٢٦٧، مادة (دلى).

(٤) يوسف : من الآية : ١٩ .

(٥) ينظر : المفردات، ص ٢٤٧ .

(٦) سورة البقرة : من الآية ١٨٨ .

(٧) ينظر : المفردات، ص ٢٤٧ .

(٨) سورة النجم : الآية ٨ .

(٩) أساس البلاغة، ص ١٩٤ .

(١٠) معجم ألفاظ القرآن : ١ / ٤١٨ .

(١١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، ص ٢٦١ .

(١٢) سورة يوسف : من الآية ١٩ .

الدلو تعلق بها يوسف (ﷺ)، فقال المدلي : (يا بشراي) هذا غلام<sup>(١)</sup>، هكذا ظهر يوسف (ﷺ) قال المفسرون : ((لما أدلى الوارد دلوه كان يوسف (ﷺ) في ناحية من قعر البئر تعلق بالحبل فنظر الوارد إليه ورأى حسنه نادى فقال يا بشرى))<sup>(٢)</sup>، وقد اوضح ابن عاشور ان نداء البشرى في قوله تعالى (يا بشراي) مجاز : لان البشرى لا تتأدى، ولكنها شبيهت بالعاقل الغائب الذي احتيج فينادى كأنه يقال له : ان حضورك، والمعنى : انه فرح وابتهج بالعثور على الغلام<sup>(٣)</sup>، وعند خروج يوسف (ﷺ) من البئر بواسطة الدلو ظهرت صورته كالقمر ليلة البدر بدليل قول رسولنا محمد (ﷺ) في حديث الإسراء : (فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أعطى شطراً الحسن)<sup>(٤)</sup>.

نلاحظ أن الدلو على الرغم من وظيفته المادية التي بواسطته تنقل الأشياء من مكان إلى مكان إلا أن السياق القرآني أشار إلى معنى ابعد من كونه وعاء يخرج به الماء من البئر وغيرها، فقد اصبح برهاناً حققت نبوة يعقوب (ﷺ) الذي أنبأه الله تعالى قبل وقوعها أولاً، وكذلك صار هذا الوعاء - الدلو - أداة إنقاذ تقدمت على تحقيق المعجزة بشكلها العام حسبما وصفها القرآن الكريم. وكل هذا صورها القرآن بحركة مرهفة لحامل الدلو إلى عمق البئر.

(١) التبيان : ١١٣ / ٦ .

(٢) مفاتيح الغيب : ١٨ / ١٠٨ وينظر : صفة التفاسير : ٤٤ / ٢ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ٢٤١ .

(٤) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (دار احياء التراث العربي،

بيروت : د/ت) : ١ / ١٤٦، مصنف ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد، تحقيق : كمال يوسف الحوت

(مكتبة الرشيد، الرياض : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م) : ٧ / ١٣٣ وينظر : الجامع لأحكام القرآن :

١٠١ / ٩ .

## ٨. حرف الذال

### ٨ - ١ : الذراع

للجذر (ذرع) اصل واحد يدل على امتداد وتحرك إلى قدم ثم ترجع الذراع إلى الأصل، فالذراع الإنسان معروفة، والذرع مصدر ذرعت الثوب والحائط وغيره<sup>(١)</sup>.

وقال الفراهيدي ((الذراع من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، والذراع أيضاً الساعد كله وهو الاسم. والذراع من النجوم))<sup>(٢)</sup>، ومنه قوله ((ضاق ذرعي عن كذا وكذا إذا لم أطقه وضقت ذرعاً وذراعاً كذلك))<sup>(٣)</sup>. وقد ذهب الجوهري إلى ان ذراع اليد يذكر ويؤنث والذراع : ما يذرع به<sup>(٤)</sup>، وقال الزمخشري : ((ذرعت الثوب بذراعي وهي من طرف المرفق إلى طرف الوسطى ثم سمي بها العود المقيس بها، وذرع في سيره وباع فيه، إذا أمد ذراعه وباعه... وفرس ذريع : واسع الخطو... وامرأة ذراع وذراع : سريعة اليدين بالغزل... ومن المجاز : ضاق الأمر ذرعاً وذراعاً إذ لم يطقه، وأبطرت ناقتك ذرعها كلفتها ما لم تطق، واقصد بذرعك واربع على ظلعك : ارفق بنفسك، وما لك عليه ذراع أي طاقة... وقد اذرع في كلامه وهو يذرع فيه اذراعاً وهو الإكثار وفلان ذريعني إلى فلان، وقد تذرعت به إليه أي توسلت))<sup>(٥)</sup>، وقال ابن منظور الذراع : ((اسم جامع في كل ما يسمى يداً في الروحانيين ذوي الأبدان))<sup>(٦)</sup>، ومن ثم صار الذراع مقياساً يقدر به، وهو ((ست قبضات معتدلات))<sup>(٧)</sup>، وبهذا يطلق الذراع على ((ما يذرع به حديداً كان أو قضيباً، وهي مأخوذة من ذراع الحيوان مؤنثة))<sup>(٨)</sup>، وقيل أيضاً ان الخشبة التي يذرع بها تسمى الذراع مجازاً<sup>(٩)</sup>. أما الذراع في المساحة عند العرب ثلاثة : ((الشرعية وهي ذراع اليد وتقدر بأربعة وعشرين

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ٣٥٠ .

(٢) العين : ٢ / ٩٦، ٩٨ وينظر : معجم الالفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٠٠ .

(٣) جمهرة اللغة : ٢ / ٣٠٨ وينظر : الكليات : ٢ / ٤٦٣ .

(٤) ينظر : الصحاح : ٣ / ١٢٠٩، المفردات، ص ٢٥٨ .

(٥) أساس البلاغة، ص ٢٠٤ .

(٦) لسان العرب : ٨ / ٩٣ مادة (ذرع) .

(٧) معجم أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ : ١ / ٤٣٥ .

(٨) الآلة وأداة، ص ١٠٧ .

(٩) ينظر : المغرب في ترتيب المعرب، المطرزي، ص ١٧٤

إصبعاً أي ٤٨ عشيراً (سنتياً) والحديد السوداء وهي ٢٧ إصبعاً أي ٥٤ عشيراً، والهاشمية وهي ٣٢ إصبعاً أي ٦٤ عشيراً<sup>(١)</sup>.

وقد وردت لفظة - ذراع - في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>، في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ سَبْعُونَ ذِرَاعاً ﴾ فيه قولان : (أحدهما) انه ليس الغرض التقدير بهذا المقدار بل الوصف بالطول كما قال : إن تستغفر لهم سبعين مرة، يريد مرات كثيرة (والثاني) انه مقدر بهذا المقدار ثم قالوا لكل ذراع سبعون باعاً، وكل باع ابعدهما بين مكة والكوفة<sup>(٤)</sup>.

وقد قال القرطبي : ((سبعون ذراعاً بذراع الملك وان حلقة من السلسلة التي قالها الله تعالى ذرعها سبعون ذراعاً، وان حلقة منها، مثل جميع حديد الدنيا فاسلكوه))<sup>(٥)</sup>. وعلى هذا فالذراع في سياق الآية القرآنية يوحى إلى التطويل والتهويل الذي يستشف من وراء لفظ (السبعين) وصورتها ولعل هذا الإيحاء هو المقصود<sup>(٦)</sup>. وذكر محمد مبارك انه قد يأتي العدد في القرآن، وفي كلام العرب دون أن يراد منه مفهومه الدقيق، وإنما يراد مجرد الكثرة<sup>(٧)</sup>.

فاستخدام آلة القياس (الذراع) ضمن السياق القرآني يصور لنا صورة رهيبية مخيفة لمستحقي العقاب ومشاهد تبعث الرعب لفاعل الشر عندما يؤخذ ويقيد بالأغلال ثم يلقى في نار الجحيم ويلف بسلسلة طولها (سبعون ذراعاً).

(١) متن اللغة : ٢ / ٤٩٤ وينظر : المكايل والأوزان الإسلامية، فالتر هنتس، ترجمة : د. كامل العسلي

(منشورات الجامعة الاردنية، عمان : ١٩٧٠م)، ص ٨٣ - ٩٣ .

(٢) ينظر : المصطلحات العسكرية : ١ / ٢٧٠ .

(٣) سورة الحاقة : الآية ٣٢ .

(٤) مفاتيح الغيب : ٣٠ / ١١٤ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ١٧٦ وينظر : الأساس في التفسير : ١١ / ٦١١ .

(٦) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٩ / ٢٥٨ .

(٧) ينظر : دراسة ادبية لنصوص من القرآن الكريم، محمد المبارك (دار الفكر، بيروت : ١٩٦٤م)، ص ٢٦ .

للجذر (ذنب) أصول ثلاثة : أحدها الجُرم، والآخر مؤخر الشيء والثالث كالحظ والنصيب<sup>(١)</sup>، (والذَّنْبُ) : معروف أذنب يذنب اذنباً، وذنب الدابة معروف... والذنوب الدلو... وقيل ان الذنوب في التنزيل هو النصيب والله اعلم<sup>(٢)</sup>. والذنوب : ((الفرسُ الواسع هُلبُ الذَّنْبِ، والذنوب : مِلُّ دلو من ماء، ويكون النصيب من كل شيء))<sup>(٣)</sup>، والذنوب أيضاً ((لحم اسفل المتن، وقيل : فيها ماء قريب من المِلء تَوْنُث وتُذْكر، ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب، والجمع في ادنى العدد أذنبية، والكثير ذنائب))<sup>(٤)</sup>، ويقال : ((إن الفرق بين الدلو والذنوب، إن الدلو تكون فارغة وملاى، والذنوب لا تكون إلا ملاى ولهذا سمي النصيب ذنوباً))<sup>(٥)</sup>، والذنوب في كلام العرب على وجوه منها كما ذكرنا تعني الدلو العظيمة، وقد ذهب العرب به إلى معنى النصيب والحظ وبذلك فُسر قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>. أي حظاً من العذاب كما نزل بمن قبلهم<sup>(٧)</sup>، وهكذا جعل الذنوب مكان (الحظ والنصيب) على الاستعارة<sup>(٨)</sup>، ويقال أيضاً : (يوم ذنوب) أي طويل الشر لا ينقضي<sup>(٩)</sup>.

وقد وردت اللفظة - ذنوب - في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(١٠)</sup>، في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾<sup>(١١)</sup>.

وللرازي قول في ذلك : في أن الذنوب ((العذاب مصبوب عليهم، كأنه قال تعالى نصب من فوق رؤوسهم ذنوباً كذنوب صب فوق رؤوس أولئك، ووجه آخر، وهو إن العرب

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ٣٦١ .

(٢) ينظر : جمهرة اللغة : ٣ / ١٢٧ .

(٣) العين : ٨ / ١٩٠ .

(٤) الصحاح : ١ / ١٢٨-١٢٩ .

(٥) الفروق في اللغة، ابو هلال العسكري، تحقيق : لجنة احياء التراث العربي، طه (دار الافاق الجديدة، بيروت : ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ٣٠٩ .

(٦) سورة الذاريات : الآية ٥٩ .

(٧) ينظر : لسان العرب : ٣ / ٣٩٢، مادة (ذنب) .

(٨) ينظر : تفسير غريب القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق : احمد صقر، ط١ (دار الكتب العلمية، بيروت : ١٩٥٨م)، ص ٤٢٣ .

(٩) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٧ / ٣٩ .

(١٠) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٢٧٦ .

(١١) سورة الذاريات : الآية ٥٩ .

يستقون من الآبار على النوبة ذنوباً فذنوباً وذلك وقت عيشهم الطيب، فكأنه تعالى قال ﴿فان الذين ظلموا﴾ من الدنيا وطيباتها (ذنوباً) أي ملاء، ولا يكون لهم في الآخرة من نصيب، كما كان عليه حال أصحابهم استقوا ذنوباً وتركوها، وعلى هذا فالذنوب ليس بعذاب ولا هلاك، وإنما هو رغد العيش وهو أليق بالعربية<sup>(١)</sup>، وقد لمح الصابوني ان ذكر الذنوب من باب التشبيه المرسل المجمل، فقد حذف فيه وجه الشبه وهو مجمل<sup>(٢)</sup>، ومما هو ملاحظ بان لفظه — ذنوب — ضمن السياق القرآني جاءت على سبيل الاستعارة بدليل أن هذه الآية تفريع على جملة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٣)</sup>، باعتباره أن المقصود في سياقه إبطال عبادتهم غير الله، أي فإذا لم يفردي المشركون بالعبادة فان لهم ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم، وهو يلمح إلى ما تقدم من ذكر ما عوقبت به الأمم السالفة من قوله: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، والمعنى: فإذا ماثلهم الذين ظلموا فان لهم نصيباً عظيماً من العذاب مثل نصيب أولئك... والكلام تمثيل لهيئة تساوي حظ الذين ظلموا من العرب بحظوظ الذين ظلموا من الأمم السالفة بهيئة الذين يستقون من قليب [البئر] واحد اذ يتساوون من انصبائهم من الماء، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس. وهذا التمثيل قابل للتوزيع بان يشبه المشركون بجماعة وردت على الماء وتشبه الأمم الماضية بجماعة سبقتهم للماء، ويشبه نصيب كل جماعة بالدلو التي يأخذونها من الماء<sup>(٦)</sup>.

فالذنوب الآلة التي يستقى بها تفصح ضمن السياق القرآني عن نصيب كل إنسان في الآخرة، وأية مخالفة توقعه يوم القيامة على نصيبه من العقاب حسبما درجة إثمه وعصيانه، فإذا كان نصيب الكفار هذا العذاب الشديد، فان للمؤمنين نصيباً يترقى عليه في القيمة، والذنوب إذا إشارة إلى تخويف من مصير مؤذٍ يصيب في أجساد المعاندين ونفوسهم فهو معيار على كيفية بدون شرح أوزانها وطرقها وحجومها التي تشتد في كل يوم من أيام الآخرة.

(١) مفاتيح الغيب : ٢٨ / ٢٣٨ .

(٢) ينظر : صفوة التفاسير : ٣ / ٢٦٠ .

(٣) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٤) سورة الذاريات : الآية ٣٢ .

(٥) سورة الذاريات : من الآية ٤٦ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٠-٣١ .

٩. حرف الراء

٩ - ١ : الرباط

للجذر (ربط) اصل واحد يدل على شد وثبات من ذلك ربطت الشيء اربطه ربطاً. والذي يشدُّ به رباط، ومن الباب الرباط : وهو ملازمه ثغر العدو، ورجل رباط الجأش - أي شديد القلب والنفس... ويقال أيضاً الرباط من الخيل الخمس من الدوابِّ فما فوقها<sup>(١)</sup>، وقد ذكر الفراهيدي في هذا الصدد : ((المربطات : الخيول [التي ربطت]، وفي الدعاء "اللهم أنصر جيوش المسلمين وسراياهم ومرابطاتهم" يريد : خيلهم المرابطة... ويقال : هو المواظبة على الصلوات الخمس في مواقيتها. والرباط : المداومة على الشيء))<sup>(٢)</sup>، ويذكر ابن دريد : ((وربَّطت الشيء اربطه واربطه ربطاً إذا شدته والفرس الربيط المربوط الذي لا يردد... والرباط الحبل الذي يربط به والرباط المقام في الثغور وهي المرابطة. وذكر بعض اهل العلم انه قوله عز وجل (ورابطوا) أي اصبروا على الطاعة والله اعلم، ومربط الفرس موضعه الذي يربط فيه بكسر الباء))<sup>(٣)</sup>، والرباط ((هو ما تُشدُّ به القربة والدابة وغيرها والجمع رِبْط))<sup>(٤)</sup>.

وربما سميت الخيل أنفسها رباطاً... وفي الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : اسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط<sup>(٥)</sup>.

وقد أشار ابن منظور إلى ان الرباط في الأصل : ((الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها فثبته ما ذكر من الأفعال الصالحة به، وقيل : اصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهما في ثغر كل منهما مُعدِّ لصاحبه، فسمي المقام في الثغور رباطاً؛ ومنه قوله فذلكم الرباط أي إن المواظبة على الطهارة والصلاة كالجهاد في سبيل الله، فيكون الرباط

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١ / ٤٧٨، متن اللغة : ٢ / ٥٣٣ .

(٢) العين : ٧ / ٤٢٣ .

(٣) الجمهرة : ١ / ٢٦٢ .

(٤) الصحاح : ٣ / ١٢٢٧ .

(٥) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، حققه وشرحه : احمد محمد شاكر، ١٩٣٨، ١ / ٧٢ - ٧٣

(ابواب الطهارة، باب اسباغ الوضوء)، وينظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، نظمه لفيف من

المستشرقين، نشره أ. ي. وينسك (مطبعة برييل، ليدن : ١٩٦٩م) ٢ / ٢١٢، ولسان العرب : ٧ / ٣٠٢ .

مصدرَ رابطتْ أي لازمت، وقيل : هو ههنا اسم لما يُربط به الشيء أي يشدُّ، يعني أن هذه الخلال تَربُط صاحبها عن المعاصي وتكفُّه عن المحارم))<sup>(١)</sup>.

وقد وردت لفظة (الرباط) في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>، في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد أشار سيد قطب إلى ان (ظاهر النص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها ويخص (رباط الخيل) لأنه الأداة التي كانت بارزة عند الذين يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة، ولو أمرهم بإعداد أسباب لا يعرفونها في ذلك الحين، مما سيد مع الزمن لخاطبهم بمجهولات محيرة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، المهم هو عموم التوجيه، لأنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في (الأرض) لتحرير الإنسان))<sup>(٤)</sup>، وبهذا فان الله تعالى يوجه المسلمين أن يعدوا للكفرة بربهم قوة، متمثلة بالآلات من السلاح والخيل، فتكون عندئذ هذه العدة قوة لكم على الكفرة فقيل (ومن رباط الخيل) قيل الإناث<sup>(٥)</sup>.

وقد ذهب الرازي أيضاً في تفسيره للفظه -رباط- : إلى أن الرباط هو ((المرابطة أو جمع ربيط، ولا شك أن ربط الخيل من أقوى الآت الجهاد، فمعنى الرباط هاهنا - الخيل المربوطة في سبيل الله وفسر بالاناث لأنها أولى ما يربط بتناسلها ونمائها بالولادة، فارتباطها أولى من ارتباط الفحول، وقول آخر يقول : بل حمل هذا اللفظ على الفحول لان المقصود من رباط الخيل المحاربة عليها، ولا شك ان الفحول أقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة عليها اسهل فوجب تخصيص هذا اللفظ بها، ولما وقع التعارض بين هذين الوجهين حمل اللفظ على مفهومه الأصلي، وهو كونه خيلاً مربوطةً سواء كان من الفحول أو من الإناث))<sup>(٦)</sup>.

وهذا ما ذهب إليه البيضاوي في تفسيره للفظه فقال : هي ((اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فقال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به فيقال ربط رباطاً وربط مرابطة ورباطاً، أو جمع ربيط))<sup>(٧)</sup>. إلا أننا نرى الدلالة المعنوية للفظه (الرباط) في سياق الآية الكريمة تكمن من وراء اللفظة معنى يبين قيمة (الرباط) في لغة الخطاب إلى الجماعة المؤمنة أن تتحد

(١) لسان العرب : ٧ / ٣٠٢ - ٣٠٣ مادة (ربط) .

(٢) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ص ٣٠٠ .

(٣) سورة الأنفال : من الآية ٦٠ .

(٤) في ظلال القرآن : ٤٨ / ١٠ .

(٥) ينظر : جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٠ / ٣٦ - ٣٧ .

(٦) مفاتيح الغيب : ١٥ / ١٩١ - ١٩٢ وينظر : معجم ألفاظ القرآن : ١ / ٢١ .

(٧) انوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣ / ١١٨ وينظر : صفوة التفاسير : ١ / ٥١١ .

وتتأزر وتتفاعل لتشكل قوة تحطم كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، وهذا ما أشار إليه سيد قطب في ضلاله حين قال : ((بان معنى : ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾<sup>(١)</sup>، هو يعني تشكيل قوة لا يضاهيها قوة على الأرض، وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة، تحرير الإنسان وهذه القوة تُذهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على (دار الإسلام) التي تحميها هذه القوة))<sup>(٢)</sup>.

وكما هو معروف أن دلالة (الرباط) في العرف الاجتماعي المعاصر هو ما تشد به القربة والدابة وغيرها، أما في السياق القرآني للفظه فإن القرآن يشير إلى أداة جهادية متمثلة بالسلاح والخيل لتشكل قوة لتحرير الإنسان من براثن الكفر.

(١) سورة الأنفال : الآية ٦ .

(٢) في ضلال القرآن : ١٠ / ٤٩ .

٩ - ٢ : الرحل - الرحال

للجذر (رحل) اصل واحد يدل على مُضيٍّ في سفر يقال : رَحَلَ يَرَحَلُ رَحْلَةً ... والرحلة : الارتحال فأما الرحل في قولك هذا رَحْلُ الرَّجُلِ يطلق على منزله ومأواه، فهو من هذا لان ذلك إنما يقال في السَّفر لأسبابه التي إذا سافر كانت معه، يرتحل بها وإليها عند النزول هذا هو الأصل<sup>(١)</sup>، ((والرَّحَلُ : معروف رحل البعير والجمع رحال وادنى العدد ارحل))<sup>(٢)</sup>. والرحل أيضاً ((مسكن الرجل وما يستصحبه من الأثاث، أما الرحال فهي الطنائف الحيرية والراحلة الناقة التي تصلح لان نَرَحُلَ. وكذلك الرُّحُولُ. ويقال أيضاً الرَّاخِلَةُ : المَرَكَبُ من الإبل، ذكراً كانت أو أنثى))<sup>(٣)</sup>.

بينما ذكر الالفهاني ان الرحل : ((يطلق تارة على ما يوضع على البعير وتارة البعير نفسه، وتارة أخرى مما يجلس عليه في المنزل وجمعه رحال))<sup>(٤)</sup>، والرحال : ((الأوعية التي يضع فيها المسافر زاده ومتاعه وغيرها على ظهر الدواب وهي مثل السُرُج))<sup>(٥)</sup>، ومن المجاز : ((رَحَلْتُ الرَّجُلَ رَحْلًا، وارتحلته ارتحالاً : ركبته وعن النبي محمد ﷺ حين ركبته الحسين فابطئ في سجوده " إن ابني ارتحلني " ...))<sup>(٦)</sup>، ويقال أيضاً ((لأرْحَلَنَّك بسيفي، ورحله بسيفه : إذ أعلاه به ... ويقال استرحل الناس نفسه : أدلها لهم فهم يركبونها بالأذى... ومشت رواحله إذا شاب وضعف وحطَّ فلان رحله، وألقى رحله: أقام))<sup>(٧)</sup>، فالرحل إذا ((كل شيء للرحيل من وعاء للمتاع وغيره))<sup>(٨)</sup>.

وقد وردت اللفظة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٩)</sup>، في قوله تعالى : ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾<sup>(١٠)</sup>، وقد ذهب الطوسي إلى ان (الرحال هنا جمع وهو

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ٤٩٧ .

(٢) الجمهرة : ٣ / ١٤٢ .

(٣) الصحاح : ٤ / ١٧٠٦-١٧٠٧ .

(٤) المفردات، ص ٢٧٨ .

(٥) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢١٥ .

(٦) سنن النسائي، تحقيق : عبد الفتاح ابو غدة (مكتب المطبوعات الاسلامية، حلب : ١٩٨٦م) : ٢ / ٢٢٩،

رقم الحديث (١١٤١)، سنن البيهقي الكبرى، احمد بن حسين البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا

(مكتب دار الباز، مكة المكرمة : ١٩٩٤م) : ٢ / ٢٦٣ وينظر : أساس البلاغة، ص ٢٢٥ .

(٧) أساس البلاغة : ٢٢٥ .

(٨) متن اللغة : ٢ / ٥٦٣ .

(٩) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٠٤

(١٠) سورة يوسف : من الآية ٦٢ .

الشيء المعد للرحيل من وعاء المتاع أو مركب من مراكب الجمال، وجمعه في القليل أرحل وفي الكثير رحال، وإنما جعل بضاعتهم في رحالهم ليقوي دواعيهم في الرجوع إليه إذ رأوا إكرامه إياه، ورد بضاعتهم إليهم مع جدوب الزمان وشدته<sup>(١)</sup>، ومثيل اللفظ في قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ السَّفَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾<sup>(٢)</sup>، فالرحل هنا آلة السفر من وعاء أو مركب ففي الآية الكريمة قصد بها وعاء أخي يوسف (عليه السلام) الذي يحمل فيه طعامه<sup>(٣)</sup>، وتكتمل القصة في سياق قوله تعالى : ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾<sup>(٤)</sup>، فقد أوضح الرازي ذلك في قوله ((لقد كان الناس في ذلك الزمان يستعبدون كل سارق بسرقة وكان استعباد السارق في شرعهم يجري مجرى وجوب القطع في شرعنا، والمعنى جزاء هذا الجرم من وجد في رحله فهو جزاؤه))<sup>(٥)</sup>.

وكان هدف يوسف (عليه السلام) من كل ذلك أن يستبقي أخاه معه، وهو قد علم من قبل هذا الحكم، وهكذا تركهم يوسف (عليه السلام) يحكمون بأنفسهم الحكم الذي يصبو إليه، وهو بقاء أخيه معه<sup>(٦)</sup>.

فالرحل يعد آلة السفر سواء أكان لخرن الأشياء أم حملها تحول ضمن السياق القرآني إلى أداة برهان لتحقيق معجزة قادمة وصفتها لنا صورة يوسف (عليه السلام) بثوابت تحقيق نبوءة يوسف (عليه السلام) ونجاته من تأمر اخوته عليه هذا من طرف ومن طرف آخر، كانت هذه الأداة ذريعة تقرب بها يوسف إلى اخوته من دون أن يشعروا.

(١) تفسير التبيان : ١٦٢ / ٦ .

(٢) سورة يوسف : من الآية ٧٠ .

(٣) ينظر : التبيان : ١٦٩ / ٦ .

(٤) سورة يوسف : من الآية ٧٥ .

(٥) مفاتيح الغيب : ١٨٤ / ١٨ .

(٦) ينظر : تفسير الشعراوي : ٧٠٢٦ / ١١ .

للجذر (رق) أصلان أحدهما صفة تكون مخالفة للجفاء، والثاني اضطراب شيء مائع، فالاول : الرقة يقال : رق يرق رقة فهو رقيق، ومنه الرقاق وهي الأرض اللينة.

والرَّق : الذي يكتب فيه، معروف. ومما شذ عن البابين (الرَّق) : ذكر السِّلَاحِ إن كان صحيحاً<sup>(١)</sup>. و (الرَّق) : ((الصحيفة البيضاء، والرَّق من دواب الماء يشبه التمساخ))<sup>(٢)</sup>، وقد يكسر ويقال (الرِق) واصله من اللمعان<sup>(٣)</sup>، ومن المجاز : ((في حاله رِقَّة، وعجبت من قلة ماله ورقة حاله، وهو رقيق الذين ورقيق الحال... ورق له قلبي... ورقق كلامه... ورقق مثنيه إذا مشى مشياً سهلاً))<sup>(٤)</sup>، كما تطرق دوزي إلى انه عند قولنا : ((ورق غزال يعني جلد غزال رقيق يكتب فيه، وهو جلد مدبوغ لصغار المعز والغنم ولدت ميتة))<sup>(٥)</sup>. والرَّق أيضاً : ((هو ما يكتب فيه من ألواح وغيرها واصله الجلد الرقيق يكتب فيه))<sup>(٦)</sup>، وكذلك قيل الرَّق : ((الصحائف التي تخرج إلى بني آدم، فاخذ كتابه بيمينه، واخذ كتابه بشماله))<sup>(٧)</sup>، الا ان ابن السكيت قال : ((أما الرَّق من الملك ويقال عبد مرقوق))<sup>(٨)</sup>.

فقد وردت لفظة (الرَّق) في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴾<sup>(٩)</sup>، وذكر القرطبي ان معنى الرق هنا هو : ((الصحائف وتعني القرآن مكتوب يقرؤه المؤمنون من المصاحف ويقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾<sup>(١٠)</sup>، وقيل انه كان كل كتاب في رق ينشره أهله لقراءته، وأيضاً فسر بأنه هو ما كتب الله لموسى (عليه السلام) بيده من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل أيضاً صحائف الأعمال... فالرق ما رقق من الجلد ليكتب فيه... هكذا

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ٣٧٦ - ٣٧٧ .

(٢) العين : ٥ / ٢٤ .

(٣) ينظر : متن اللغة : ٢ / ٦٣٢ - ٦٣٣ .

(٤) أساس البلاغة، ص ٢٤٦ .

(٥) تكملة المعاجم العربية : ٥ / ١٨٠ - ١٨١ .

(٦) لسان العرب : ١٠ / ١٢١ - ١٢٣ مادة (رَقَق) .

(٧) معاني القرآن، الفراء : ٣ / ٩١ .

(٨) اصلاح المنطق : ص ٤ .

(٩) سورة الطور: الآية ٢، ٣ .

(١٠) سورة الواقعة : الآية ٧٧، ٧٨ .

تعددت الأقاويل والتفاسير في قوله تعالى : ﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾<sup>(١)</sup>، لكن المعنى المراد ما قاله الفراء والله اعلم : وكل صحيفة فهي رق لرقعة حواشيها<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما أشار إليه الصابوني أيضاً حين قال ((أي في أديم من الجلد الرقيق (منشور) أي مبسوط غير مطوي وغير مختوم عليه))<sup>(٣)</sup>.

والفائدة في قوله تعالى : ﴿ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾ هو ((الإشارة إلى الوضوح وذلك لان الكتاب المطوي لا يعلم ما فيه في (رق منشور) وليس كالكتب المطوية وعلى هذا المراد اللوح المحفوظ فمعناه هو منشور لكم لا يمنعكم أحد من مطالعته، وان قلنا بان المراد كتاب أعمال كل أحد فالتكبير لعدم المعرفة بعينه وفي رق منشور لبيان وصفه، كما قال تعالى : ﴿ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾<sup>(٤)</sup>، وذلك لان غير المعروف إذا وصف كان إلى المعرفة اقرب شبيهاً<sup>(٥)</sup>.

هكذا يظهر لنا السياق القرآني عمق محتوى ظاهر اللفظة - الرق - بصورة فنية رائعة تكشف لنا بان ما نزل الله من أحكام وشرائع ومعارف مدون في هذه الأداة الهيبة الشكل، ألا وهي الرق الجلد الرقيق الذي صار محتوى لدستور الله ومن ثم يصبح دستور الحياة فيا لعظمة الخالق وحكمته في ذلك.

(١) سورة الطور : الآية ٢،٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٤٠-٤١ .

(٣) صفوة التفاسير : ٣ / ٢٦٢ .

(٤) سورة الإسراء : من الآية ١٣ .

(٥) مفاتيح الغيب : ٢٨ / ٢٤٠-٢٤١ .

للجذر (رقم) اصل واحد يدل على خط وكتابة، وما أشبه ذلك، فالرَّقْمُ : الخَطُّ، والرَّقِيمُ : الكتاب<sup>(١)</sup>، وقد ذهب ابن دريد إلى ان كل نقش هو رقم وبه سمي الأرقم في الحيات للنقش في ظهره، والرقيم أيضاً الخط في الكتابة وبه سمي الكتاب رقيماً ومرقوماً<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب ابن منظور إلى ان الرِّقْمَ والترقيم : تعجيم الكتاب ورقم الكتاب يرقمه رقماً : اعجمه وبينه... والرقيم يعني اللوح وبه فسر قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾<sup>(٣)</sup>، وقيل أن الرقيم لوح من الرصاص كتبت فيه أسماءهم وأنسابهم وقصصهم<sup>(٤)</sup>.

وهذا ما أشار إليه ابن قتيبة بان الرقيم : ((يعني لوح كتب فيه خبر أصحاب الكهف، ونصب على باب الكهف))<sup>(٥)</sup>، أو ((اسم وادٍ دون فلسطين قريب من ابلة والكهف في ذلك الوادي))<sup>(٦)</sup>، وقد فسر المفسرون لفظة - الرقيم - بعدة دلالات مختلفة واختلفوا في معناها، فقال قوم : ((هو اسم قرية، وفي رواية أخرى انه وادٍ بين غضبان وابلة دون فلسطين، وقيل هو كتاب تبيانهم، وقيل هو لوح من حجارة كتب فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف، وقيل جعل ذلك اللوح في خزائن الملوك لأنه من عجائب الأمور))<sup>(٧)</sup>.

وهذا أيضاً ما أشار إليه الرازي بان في الرقيم أقوالاً كثيرة منها انه ((اسم القرية التي خرجوا منها، وكذلك يعني لوحاً من حجارة وقيل من رصاص كتبت فيه أسماءهم وقصصهم، وشد ذلك اللوح على باب الكهف، وهذا قول جميع أهل المعاني والعربية قالوا الرقيم الكتاب))<sup>(٨)</sup>، وهناك رواية أخرى عن انس بن مالك قال : ((الرقيم يعني الكلب))<sup>(٩)</sup>. غير ان القرطبي اشار إلى ان ((الفتية فقدوا فطلبهم أهلهم فلم يجدوهم فرفع ذلك إلى الملك، فقال :

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ٤٢٥، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٢٩ .

(٢) ينظر : جمهرة اللغة : ٢ / ٤٠٥ .

(٣) سورة الكهف : من الآية ٩ .

(٤) ينظر : لسان العرب : ١٢ / ٢٤٨، مادة (رقم) .

(٥) تفسير غريب القرآن : ص ٢٦٣ وينظر : القرآن الكريم وبهامشه كتاب نزهة القلوب، ص ٢٤٤ .

(٦) معجم ألفاظ القرآن : ١ / ٥١٣ .

(٧) التبيان : ٧ / ١٠ وينظر : تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، اعتنى به : احمد عبد السلام، ط (دار الارقم للطباعة والنشر، بيروت : ١٩٨٨م) : ٣ / ١٠١ - ١٠٢ .

(٨) مفاتيح الغيب : ٢١ / ٨٣ .

(٩) الإتيان في علوم القرآن : ٤ / ٧٦-٧٧ .

ليكونن لهم نبأ، واحضر لوحاً من رصاص فكتب فيه أسماءهم، وجعله في خزانته فذلك اللوح هو الرقيم<sup>(١)</sup>. وهذا أيضاً ما ذهب إليه الشعراوي حيث قال : ((الرقيم الشيء المرقوم أي : المكتوب عليه كحجر أو نحوه، ولعله حجر كان على باب الكهف رقم عليه أسماء هؤلاء الفتيّة))<sup>(٢)</sup>. وعلى الرغم من تعدد معنى اللفظ – الرقيم – واختلافه إلا أن السياق القرآني جسد معنى هذه اللفظة في كونها وسيلة وأداة تجسد حياة قوم مؤمنين وجعلها دليلاً وبرهاناً على عظمة الله وقدرته ومعجزته الإلهية التي صارت حديث الناس خالف عن سالف.

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٢٣٢ وينظر : صفوة التفاسير : ٢ / ١٨٣ .

(٢) تفسير الشعراوي : ١٤ / ٨٨٤٧ .

للجذر (رمح) اصل واحد ثم يَصْرَفُ منه، فالكلمة الرَّمْحُ وهو معروف، والجمع رماح، وارمَاح<sup>(١)</sup>، وقال الفراهيدي : ((والرمح [ واحد ] الرَّماح... أخذت البُهْمَى رِمَاحَهَا إذ امتنعت عن المراعي))<sup>(٢)</sup> وقد ذهب الجوهري إلى ان ((الرْمُحُ جمعه رِمَاح وارمَاح ورمحه فهو رامح طعنه بالرْمُح. ورجل رامح، أي ذو رُمح ؛ ولا فعل له))<sup>(٣)</sup>. ومن المجاز : ((طلع السَّمَاكُ الرامح. وركض الجُنْدُبُ ورمَح. ضرب الحصى برجله، وأخذت الإبلُ رِمَاحَهَا : منعت بحسنها أن تُتحرر.. وإصابته رماح الجن : الطاعون. وكسروا بينهم رمحاً : وقع بينهم شرٌّ، ومُنينا بيوم كظل الرَّمح : طويل وضيق))<sup>(٤)</sup> وقد عرف ابن منظور الرمح بقوله : ((والرْمُحُ من السلاح معروف واحد الرماح))<sup>(٥)</sup>، والرْمُحُ أيضاً : ((عود طويل في رأسه حربة للطعن به))<sup>(٦)</sup>، والرْمُحُ من السلاح : ((قناة يركب فيها سنان يطعن به))<sup>(٧)</sup>، وقيل أيضاً ان الرمح من المحراث الخشبية التي يمسك بها الحراث وهم على فلان رَمَحٌ واحدٌ : مُتَحِدِّون<sup>(٨)</sup>.

وقد وردت اللفظة - الرماح - في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٩)</sup>، وبصيغة الجمع في قوله تعالى : ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾<sup>(١٠)</sup> وقد فسر القرطبي قوله تعالى بان في الآية بياناً ((الحكم صغار الصيد وكباره، ... لان الأيدي تتال الفراخ والبيض ما لا يستطيع أن يفرّ، والرماح تتال كبار الصيد، وقيل أيضاً في تفسير هذه الآية بأنه كل شيء يناله الإنسان بيده أو برمحه أو بشيء من سلاحه فقتله فهو صيد كما قال تعالى ... وخص الرِّمَاحُ بالذكر لأنها عَظْمٌ ما يجرح به الصيد، وفيها يدخل السهم ونحوه))<sup>(١١)</sup>.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ٤٣٧ .

(٢) العين : ٣ / ٢٢٦ وينظر : المفردات : ١ / ٢٩٦ .

(٣) الصحاح : ١ / ٣٦٦ .

(٤) أساس البلاغة، ص ٢٥١ وينظر : متن اللغة : ٢ / ٦٤٥ .

(٥) لسان العرب : ٢ / ٤٥٢، مادة (رمح) .

(٦) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٣١ .

(٧) معجم ألفاظ القرآن : ١ / ٥١٧ والمصطلحات العسكرية : ١ / ٣١١ .

(٨) ينظر : المعجم الوسيط : ١ / ٣٧٢ .

(٩) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٤٢ والمصطلحات العسكرية : ١ / ٣١١ .

(١٠) سورة المائدة : من الآية ٩٤ .

(١١) الجامع لاحكام القرآن : ٦ / ١٩٤ وينظر : في ظلال القرآن : ٧ / ٤١-٤٢ .

وعلق الصابوني أيضاً حول تفسير الآية ذاتها بقوله : ((أي ليختبركم الله في حال إحرامكم بالحج أو العمرة بشيء من الصيد صغاره الأيدي وكباره الرماح))<sup>(١)</sup>.

إذا السياق القرآني يصور لنا المشهد حيث يتخيل لك منظر الوحوش والطيور تغشى المكان ويقدر كل إنسان أن يتناولها بيده ويصيدها بالرماح لقربها منه، وقد نهانا الله عنها ابتلاء منه، فنرى أن استخدام اللفظة ظاهرياً بوصفها آلة وأداة للصيد لكننا نستشف معنى ينطوي وراء ظاهر اللفظة أرادَهُ اللهُ، وهو الامتحان لصبر العباد وثباتهم وخوفهم من الله في كونهم انهم يمتلكون القدرة على الصيد بالرماح والأيدي لقرب الوحوش والطيور من رماحهم إلا انهم لا ينالونها خوفاً وخشيةً من الله.

الا ان الرازي اشار إلى معنى الخوف والخشية من الله حين أوضح تفسير قوله تعالى : ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾<sup>(٢)</sup> فقال : وفيه مسائل :

**المسألة الأولى :** ((إن هذا مجاز لأنه تعالى عالم لم يزل ولا يزال واختلفوا في معناه ف قيل نعاملكم معاملة من يطلب أن يعلم، وقيل ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هذا على حذف المضاف والتقدير : ليعلم أولياء الله من يخافه للغيب.

**المسألة الثانية :** قوله بالغيب فيه وجهان : الأول : من يخافه حال إيمانه بالغيب... والثاني : من يخاف بالغيب أي يخافه بإخلاص وتحقيق ولا يختلف الحال بسبب حضور أحد أو غيبته، كما في حق المنافقين الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم.

**المسألة الثالثة :** الباء في قوله بالغيب في محل النصب بالحال والمعنى من يخافه حال كونه غائباً عن رؤيته))<sup>(٣)</sup>.

نخلص من ذلك أن الرمح آلة للصيد ووسيلة للدفاع والهجوم، ولكن عند اجتماع قوة الرمح مع روح الدعوة التي تؤمن بها يمكن أن يكون لهذه الأداة الحكم النهائي في فصل المواقف.

(١) صفوة التفاسير : ١ / ٣٦٤ .

(٢) سورة المائدة : من الآية ٩٤ .

(٣) مفاتيح الغيب : ١٢ / ٩١-٩٢ .

١٠. حرف الزاي

١٠ - ١ : الزُّبْرُ

للجذر (زبر) اصلان أحدهما يدل على أحكام الشيء وتوثيقه، والآخر : يدل على قراءة وكتابة وما أشبه ذلك ... ويقال زَبَرْتُ الكتاب، إذا كتبت ومنه الزَّبُور وربما قالوا : زَبَرْتَهُ إذا قرأته<sup>(١)</sup>، وقيل الزُّبْرُ هي الكتب واحدا : زبور ويقال : زبرتُ وذبرتُ أي كتبت<sup>(٢)</sup>.

والزَّبُور أيضاً : ((طي البئر، تقول زَبَرْتَهَا أي طويتها، والزبور الكتاب، وهو اسم الكتاب الذي انزل على داود (عليه السلام)... أما الزُّبْرَةُ : قطعة من الحديد ضخمة، والزُّبْرُ : الشديد))<sup>(٣)</sup>، وقيل : ((وقد نطقت به الزُّبْرُ أي الكتب، ورايتُ في يده زُبْرًا وزبوراً، وأنا اعرف بزبرتي أي بكتبتني... ومن المجاز ماله زَبْرٌ : عقل وتماسك))<sup>(٤)</sup>.

ويقال أيضاً : ((الزُّبْرُ : هو وضع البنيان بعضه على بعض، ... والمزْبَرُ (بالكسر) : القلم))<sup>(٥)</sup>، وردت لفظة (زبر) وما اشتق منها في التنزيل العزيز على خمسة وجوه منها:

**الوجه الأول :** الزبر يعني حديث الأمم لمن أمرهم في الكتب فذلك قوله في آل عمران : ﴿ **بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبْرِ** ﴾<sup>(٦)</sup>، يعني الآيات التي كانت يجيء بها الأنبياء إلى قومهم، ما كان فيها من المواعظ وكذلك في سورة فاطر الآية (٢٥).

**الوجه الثاني :** الزبر يعني الكتب في قوله تعالى في الشعراء ﴿ **وانه لفي زُبر الأولين** ﴾<sup>(٧)</sup> يعني : نعت محمد (ﷺ) لفي كتب الأولين وقوله في الأنبياء : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ** ﴾<sup>(٨)</sup> يعني في الكتب كلها.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٤٤-٤٥ .

(٢) ينظر : مجاز القرآن : ١ / ٣٥٩ .

(٣) العين : ٧ / ٣٦٢، ٣٦٣ وينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٣٨ .

(٤) أساس البلاغة : ص ٢٦٦ .

(٥) لسان العرب : ٤ / ٣١٥، مادة (زبر) .

(٦) من الآية ١٨٤ .

(٧) من الآية : ١٩٦ .

(٨) سورة الأنبياء : من الآية ١٠٥ .

**الوجه الثالث :** الزبر يعني اللوح المحفوظ، في قوله (اقتربت) أي في سورة القمر : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾<sup>(١)</sup> يعني في اللوح المحفوظ.

**الوجه الرابع :** الزبر يعني القطع، فذلك قوله في الكهف : ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾<sup>(٢)</sup>، يعني قطع الحديد، وقوله في قد افلح : ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا﴾<sup>(٣)</sup>، يعني قطعاً.

**الوجه الخامس :** زبور داؤد (عليه السلام)، فذلك قوله عز وجل : ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾<sup>(٤)</sup>، يعني كتاب داؤد (عليه السلام) نظيرها في بني إسرائيل، يعني سورة الاسراء<sup>(٥)</sup>. وقد قال ابو هلال العسكري : ((والفرق بين الزبر والكتب أن الزبر الكتابة في الحجر نقراً ثم كثر ذلك حتى سمي كل كتابة زبراً، وقال ابو بكر : اكثر ما يقال واعرفه الكتابة في الحجر... واصل الكلمة الفخامة والغلظ وفيه سميت القطعة من الحديد زبرة... ويجوز أن يقال الزبور كتاب يتضمن الزجر عن خلاف الحق من قولك زبرة اذا زجره وسمي زبور داؤد لكثرة مزاجره))<sup>(٦)</sup>.

وردت لفظة (الزبر) وما اشتق منها في تسعة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٧)</sup>، وقد ذكرت وجوه اللفظة أنفاً، إلا إنه ما يعيننا من ورود اللفظة (الزبر) بوصفها أداة يمكن الانتفاع منها، في قوله تعالى : ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾<sup>(٨)</sup>، وقد فسر الزمخشري معنى قوله تعالى ((بالبينات والشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات (وبالزبر) وبالصحف (وبالكتاب المنير) نحو التوراة والانجيل والزبور، لما كانت هذه الأشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم إسناداً مطلقاً))<sup>(٩)</sup>.

وقد ذهب الرازي أيضاً إلى ان الزبر تعني الكتاب بقوله : ((يعني أنت جئتهم بالبينة والكتاب فكذبوك واذوك وغيرك أيضاً آتاهم بمثل ذلك وفعلوا بهم ما فعلوا بك وصبروا على ما كذبوا فكذلك نلزمهم بان من تقدم من الرسل لم يعلم كونهم رسلاً إلا بالمعجزات البينات وقد

(١) سورة القمر : الآية ٥٢ .

(٢) سورة الكهف : من الآية ٩٦ .

(٣) سورة المؤمنون : من الآية ٥٣ .

(٤) سورة النساء : من الآية ١٦٣ .

(٥) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى، ص ٢٠٠ .

(٦) الفروق في اللغة، ابو هلال العسكري، ص ٢٨٦ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٣٢٩ .

(٨) سورة فاطر : من الآية ٢٥ .

(٩) الكشف، الزمخشري : ٦٠٩ / ٣ .

آتيناها محمداً (ﷺ) ﴿وَبِالزُّبْرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾<sup>(١)</sup> والكل آتيناها محمداً<sup>(٢)</sup>، ويعني ذلك ((انهم كذبوا الرسل مع إن رسل ربهم قد جاعوهم بما يكفي لاقتناعهم بان ما دعوهم إليه هو الحق من ربهم، الذي لا شك فيه، ولا ريب يخدشهُ... فدللت هذه العبارة على أن بعض الرسل آتاهم الله عز وجل زبراً، وان بعضهم آتاهم الله كتاباً منيراً، والجمع في لفظ زبر دون لفظ (الكتاب المنير) يشعر بان اكثر الرسل كان ينزل الله على الواحد منهم (زبوراً) وان الأقل من الرسل كان ينزل الله عليه ﴿كِتَاباً مُنِيراً﴾ مثل التوراة والإنجيل والقرآن المجيد<sup>(٣)</sup>، وكذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبْرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾<sup>(٤)</sup>، فقد أوضح الصابوني قوله تعالى بان: ((المأ كذبوا الرسل مع انهم جاعوهم بالبراهين القاطعة والمعجزات الواضحة (والزبر والكتاب المنير) أي بالكتب السماوية المملوءة بالحكم والمواعظ والكتاب الواضح الجلي كالتوراة والإنجيل))<sup>(٥)</sup>، غير ان سعيد حوى قال: ((والملاحظ أن الزبر والكتاب بمعنى واحد، فما الفارق بينهما؟ قال النسفي، قيل: هما واحد في الأصل وإنما ذكرا لاختلاف الوصفين فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة، والكتاب المنير هو الكتاب الهادي))<sup>(٦)</sup>.

فالسباق القرآني يظهر جلياً دلالة اللفظ — الزبر — بأنها أداة وحجة تدين المعاندين والمارقين والمكذبين بالكتب الإلهية فالزبور هي للهداية والتقويم والإرشاد الروحي، ولا بد من الاقتداء بها مثل الإمام والطريق، فان هذه الأداة العلمية تحدد المسارات البشرية المستقيمة بما ابتنت عليه من تعاليم اكثر استقامة.

(١) سورة فاطر: من الآية ٢٥.

(٢) مفاتيح الغيب: ٢٦ / ١٨-١٩.

(٣) معارج التفكير ودقائق التدبر: ٧ / ٤٤١.

(٤) سورة آل عمران: من الآية ١٨٤.

(٥) صفوة التفاسير: ١ / ٢٤٩.

(٦) الأساس في التفسير: ٢ / ٩٥٢.

١٠ - ٢ : الزجاجاة

للجذر (زج) اصل يدل على رقة في شيء، من ذلك زُج الرمّح والسهم : وجمعه زجاج بكسر الزاء يقال زججته جعلت له زُجاً فإذا نَزَعْتَ زُجَّهُ قلت : ازججته<sup>(١)</sup>.

ويقال ((للقدح زُجاجة وزجاجة... وصانعه الزَّجَّاج وحرفته الزُّجَّاجَة))<sup>(٢)</sup>، وفي المجاز : ((اتكأ على زُجِّي مرفقيه و اتكاؤا على زجاج مرافقهم ... وعضه الفحل بزجاجه : بأنبيابه، وزج بالشيء : رمى به عن نفسه))<sup>(٣)</sup>.

والزجاج : ((جسم شفاف سهل الكسر يصنع من الرمل والقلي والقطعة منه زجاجة))<sup>(٤)</sup>، والزُّجَّاجَة أيضاً القطعة من الزُّجَّاجَة - والقارورة والقنديل. وزُّجَّاجَة ساعة : في (علم الطبيعة) : قطعة مستديرة مقعرة يوزن بها أو يوضع بها بعض المواد الكيماوية))<sup>(٥)</sup>. ويقال : ((للقدح زُّجَّاجَة مضمومة الأول، وان شئت فمكسورة، وان شئت فمفتوحة، وكذلك جماعها زُّجَّاج))<sup>(٦)</sup>.

وقد وردت لفظة (الزجاجاة) في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٧)</sup>، في قوله تعالى : ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَّاجَةٍ الزُّجَّاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾<sup>(٨)</sup>، وقد أشار الطوسي إلى أن الله منور السماوات بالشمس والقمر والنجوم فأراد الله تعالى في هذه الآية أن يوجه ضرب المثل لنوره الذي هو هدايته في قلوب المؤمنين بالمشكاة فيها، ويكون المصباح في زجاجة وتكون الزجاجاة مثل الكوكب الدرّي - فمن ضم الدال - منسوب إلى الدر في صفائه ونوره، ومن كسر الدال شبهها بالكوكب في سرعة تدفقه بالانقراض<sup>(٩)</sup>، وقد ذهب الرازي في شرح كيفية التمثيل إلى مسائل عديدة منها : ((إن المصباح إذا كان في زجاجة صافية فان الأشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجاة إلى بعض لما في الزجاجاة من الصفاء والشفافية وبسبب ذلك يزداد الضوء والنور والذي يحقق

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٧ .

(٢) المخصص : ٣ / ٨٦ (السفر الحادي عشر) .

(٣) أساس البلاغة، ص ٢٦٧ .

(٤) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٣٩ .

(٥) المعجم الوسيط : ١ / ٣٩٠ وينظر : معجم ألفاظ القرآن : ١ / ٥٣٣ .

(٦) اصلاح المنطق، ص ١٠٦ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ص ٣٣٠

(٨) سورة النور : من الآية ٣٥ .

(٩) ينظر : التبيان : ٧ / ٣٨٧، صفوة التفسير : ٢ / ٣٤٠ .

ذلك أن شعاع الشمس إذا وقع على الزجاج الصافية تضاعف الضوء الظاهر حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء، فان انعكست تلك الأشعة من كل واحد من جوانب الزجاج إلى الجانب الآخر كثرت الأنوار والأضواء وبلغت النهاية الممكنة<sup>(١)</sup>، وقد ذكر القرطبي ان سبب قوله تعالى (في زجاجة) -والله أعلم- لانه جسم شفاف والمصباح فيها أنور منه في غير الزجاج<sup>(٢)</sup>.

وقد اشار الزركشي إلى ان الله اراد تشبيه نوره الذي يلقيه في قلب المؤمن، ثم مثله بمصباح ؛ ثم لم يقنع بكل مصباح ؛ بل بمصباح اجتمعت فيه أسباب الاضاءة، بوضعه في مشكاة ؛ وهي الطاقة غير النافذة ؛ وكونها لا تنفذ ؛ لتكون اجمع للتبصر، وقد جعل فيها مصباح في داخل زجاجة، فيه الكوكب الدرّي في صفائها، ودهن المصباح من اصفى الادهان واقواها وقوداً، لانه من زيت شجر في أوسط الزجاج، وهذا مثل ضربه الله للمؤمن<sup>(٣)</sup>، وقد علق سيد قطب أيضاً مفسراً قوله تعالى : ﴿ الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ يبين أهمية الزجاج بكونها أداة تقّي المصباح من الريح وتصفي نوره فيتألق ويزداد ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾، فهي بذاتها شفافة رائعة مثيرة وصولاً بين المثل والحقيقة بين الأنموذج والأصل، حين يرتقي من الزجاج الصغيرة إلى الكوكب الكبير كي لا ينحصر التأمل في الأنموذج الصغير الذي جعل إلا لتقريب الأصل الكبير<sup>(٤)</sup>.

ومما هو ملاحظ أن تشبيه الزجاج بالكوكب فهو زيادة في صفة نور المصباح واضاعته ومبالغة في نعت إشراقه وتألقه<sup>(٥)</sup>. فالسياق القرآني هنا يظهر لنا هذا التدرج في العرض الصوري لأوصاف نور الله والكيفية المقربة للنور الذي عم السماوات والأرض بأدوات بسيطة قريبة إلى أذهان البشر وإدراكهم ومنها الزجاج التي هي أداة تقّي المصباح من الريح حتى لا ينطفئ نوره وتنقيه فيتألق ويزداد، ومن شفائيتها وصفائها وهي منيرة، وشبه نقاءها وصفاءها بالكوكب الدرّي.

(١) مفاتيح الغيب : ٢٣ / ٢٣٣ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٢ / ١٧١ .

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢ (مطبعة عيسى البابي وشركاؤه، د / م : د / ت) : ٣ / ٤٢٣، الاتقان في علوم القرآن : ٣ / ١٤٥ .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن : ١٨ / ١٠٥ .

(٥) ينظر : الجمان في تشبيهات القرآن، ص ١٦٦ .

١٠ - ٣ : الزرابي

الجذر (زرب) يدل على بعض المأوى فالزَّرْبُ زرب الغنم وهي حظيرتها<sup>(١)</sup> والزرابي : ((بساط طوله اكبر من عرضه))<sup>(٢)</sup>. والزرابي أيضا ((جمع زَرَب : وهو ضرب من الثياب محبر منسوب إلى موضع))<sup>(٣)</sup>.

والزرابي تعني أيضاً ((كل ما بُسَط واتكئ عليه، وقيل هي الطنافس، والواحد من كل ذلك زَرَبِيَّة بفتح الزاء وسكون الراء))<sup>(٤)</sup>، وقيل هي ((الوسائد الفاخرة يجلس عليها ومفردها زربية))<sup>(٥)</sup> والزرابي ((تعريب (زَرَاب) ومعناها ماء الذهب أو الماء الأصفر، ويطلق على كل ما صُبغ بالصفرة))<sup>(٦)</sup>.

إن الزرابي : ((النمارق، والوسائد أو البسط، والطنافس لها خمل رقيق، ولهذا خصصها مجمع مصر، وأطلق الطنافس والسجادات إطلاقاً عاماً))<sup>(٧)</sup>.

ومما هو واضح من ظاهر اللفظة - الزرابي - بأنها أداة للراحة نتداولها في حياتنا العامة ووسيلة للإتكاء في ارتياح، فقد استخدمها القرآن الكريم عن طريق التشبيه والاستعارة في موضع واحد. في قوله تعالى : ﴿ وَزَرَابِيٌّ مَبْتُوثَةٌ ﴾<sup>(٨)</sup>.

وقد أشار الطوسي إلى تفسير اللفظة في الآية الكريمة بأنها تعني ((البسط الفاخرة))<sup>(٩)</sup>. وكذلك فسرها ابن الجوزي بأنها : ((.. (الطنافس) التي لها خمل رقيق، وقال : قال : المفسرون : لما نعت الله سبحانه وتعالى ما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر، فنكره صنعه))<sup>(١٠)</sup>. أما القرطبي فقد أشار إلى اختلاف المفسرين في وصف شكل هذه الأداة إذ قال :

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٥١ .

(٢) المخصص : ١ / ٧٤، (السفر الرابع) .

(٣) المفردات : ص ٣١١ وينظر : معجم ألفاظ القرآن، ص ٥٣٥ .

(٤) لسان العرب : ١ / ٤٤٧ مادة (زرب) وينظر : الألة وأداة : ص ١٢٥ .

(٥) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٤٠ وينظر : المعجم الوسيط : ١ / ٣٩٢ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة : ص ٧٧

(٧) معجم متن اللغة : ١٠ / ٢٤ .

(٨) سورة الغاشية : الآية ١٦ .

(٩) التبيان : ١٠ / ٣٣٦ .

(١٠) زاد المسير في علم التفسير : ٩ / ٩٩ .

((منهم من قال أنها مصفوفة بعضها فوق بعض، ومنهم قال أنها كثيرة وغيرهم قالوا أنها متفرقة في المجالس، والاصوب أنها كثيرة ومتفرقة))<sup>(١)</sup>.

ومهما كان شكلها لا يعنينا بقدر ما توحيه إلينا هذه الأداة من أنها وجدت للارتياح وطلب النعيم للمقربين عند الله وللذين قسم لهم الله هذا النعيم الأبدي جزاء أعمالهم الطيبة والخيرة وشكرهم لنعمه الفضيلة عليهم، وهذا ما أشار إليه سيد قطب في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَرَبَّيْ مُبْتُوَّةٌ﴾<sup>(٢)</sup> إذ قال : ((مبتوثة هنا وهناك للزينة والراحة سواء ! وهي من مناعم مما يشهد له أشباها في الأرض، وتذكر لتقريبها إلى مدارك أهل الأرض، أما طبيعتها وطبيعة النعيم بها فهي موكولة إلى المذاق هنا للسعداء الذين يقسم الله لهم هذا المذاق ومن اللغو الدخول في طبيعة النعيم – أو طبيعة العذاب – في الآخرة فأدراك طبيعة شيء (ما) متوقف على نوع هذا الإدراك وأهل الأرض يدركون بحس مقيد بظروف هذه الأرض وطبيعة الحياة فيها))<sup>(٣)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠ / ٢٤ .

(٢) سورة الغاشية : الآية ١٦ .

(٣) في ظلال القرآن : ٣٠ / ٥٦٢-٥٦٣ .

١١ - حرف السين

١١ - ١ : السبب - الأسباب

للجذر (سَب) حَدَّهُ بعض أهل اللغة وأظنه ابن دريد فقال إن أصل هذا الباب القَطْع، ثم اشتق منه الشَّتْم وهذا الذي قاله صحيح، وأكثر الباب موضوع عليه، ومن ذلك السَّبَّ : الخمار، لأنه مقطوع من مَنْسَجِه<sup>(١)</sup>.

((وأما الحبل فالسَّبب، ممكن أن يكون شاذاً عن الأصل الذي ذكرناه، ويمكن ان يقال إنه أصل آخر يدل على طول وامتداد، ومن ذلك السَّبب<sup>(٢)</sup>))، ومنه السَّبُّ بلغة هذيل وفي قول أبي ذؤيب الهذلي :

تَدَلَّى عَلَيْهَا بَيْنَ سَبِّ وَخَيْطَةٍ      بَجَرْدَاءٍ مِثْلِ الْوَكْفِ يَكْبُ غُرَابُهَا<sup>(٣)</sup>

ويقال السَّبُّ : ((شَقَّةُ كَتَانٍ رَقِيقَةٍ، وَالسَّبِيْبَةُ مِثْلُهُ، وَالسَّبْبُ الْحَبْلُ وَالسَّبَبُ أَيْضاً : كُلُّ شَيْءٍ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ، وَالسَّبْبُ اعْتِلَاقُ قَرَابَةٍ وَأَسْبَابُ السَّمَاءِ : نَوَاحِيهَا فِي قَوْلِ الْأَعْشَى :

\* وَرُمِيَتْ أَسْبَابُ السَّمَاءِ بِسَلْمٍ \*

والله مُسَبَّبُ الْأَسْبَابِ وَمِنْهُ التَّسْبِيْبُ<sup>(٤)</sup>))، وجمع السبب أسباب وقيل الأسباب : ((تعني المودة، وقيل أيضاً الأسباب : تعني المنازل قال الشاعر: وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَاحُهَا. فِيهِ الْوَجْهَانُ مَعاً : الْمَوْدَةُ وَالْمَنَازِلُ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُسَبَّبُ الْأَسْبَابِ، وَأَسْبَابُ السَّمَاءِ : مَرَامِيْهَا ... وَقِيلَ : أَسْبَابُ السَّمَاءِ نَوَاحِيهَا))<sup>(٥)</sup>.

وقال الزمخشري : ((وإياك والمسببة والمسابة... وانقطع السبب أي الحبل، ومالي إليه سبب : طريق، ومن المجاز : خيل مُسَبَّبَةٌ، يُقَالُ لَهَا : قَاتَلَهَا اللَّهُ أَوْ أَخْزَاهَا إِذَا اسْتَجِدَّتْ...))

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٦٣ .

(٢) م. ن : ٣ / ٦٤ .

(٣) ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، تحقيق : التراث العربي (دار الكتب القومية للطباعة والنشر، القاهرة : ١٩٦٥م)، ص ٧٩ وينظر : جمهرة اللغة : ١ / ٣١ .

(٤) الصحاح : ١ / ١٤٥ .

(٥) لسان العرب : ١ / ٤٥٨، مادة (سبب) .

وامرأة طويلة السبائب وهي الذوائب وعليه سبائب الدم : طرائقه... وانقطع بينهم السبب والأسباب : الوصل... وسبب الله لك سبب خير))<sup>(١)</sup>.

وقيل أيضاً إن السبب ((هو ما يكون طريقاً ومفضياً إلى الشيء مطلقاً، وهذا يشمل الصلة والسبب. وفي الشريعة : عبارة عما يكون طريقاً للوصول للحكم غير مؤثر فيه، وقيل : ما يكون طريقاً إلى الشيء من غير أن يضاف إليه وجود أو لا وجود، ثم ما يضاف عليه اسم السبب سواء إن كان بطريقة الحقيقة أم المجاز أربعة أقسام :

سبب حقيقي ويسمى سبباً مهياً نحو ما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم من غير أن يضاف إليه وجوب الحكم أو وجوده، وسبب هو في معنى العلة : كقطع حبل القنديل المعلق : وسبب مجازي : كاليمين بالله فإنها سميت سبباً للكفارة باعتبار الصورة وتعليق الطلاق والعناق.

والسبب أيضاً : ما يكون وجود الشيء موقوفاً عليه كالوقت للصلاة<sup>(٢)</sup>، والسبب عند (العروضيين) : ((حرفان : متحرك فساكن أو متحركان، فالأول يسمى السبب الخفيف والثاني يسمى الثقيل... وأسباب الحكم في (القضاء) : ما تسوقه المحكمة من أدلة واقعية وحجج قانونية لحكمها))<sup>(٣)</sup>.

فقد وردت لفظة (السبب) في ثمانية مواضع من القرآن الكريم<sup>(٤)</sup> أفراداً وجمعاً وبمعان ودلالات متنوعة في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴾<sup>(٥)</sup>.

ذهب الرازي أن في لفظ السبب قولين (إحدهما) انه الحبل وقد اختلفوا في السماء فمنهم من قال هو سماء البيت، ومنهم من قال هو السماء في الحقيقة، فقالوا المعنى : من كان يظن انه لن ينصره الله، ثم يغيضه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه في ازالة ما يغيضه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلاً إلى سماء بيته فاخنتق. فليظن انه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه، وقال آخرون : المراد منه نفس السماء فانه يمكن حمل الكلام على السماء فهو أولى من حمله على سماء البيت لأنه أولى بان يكون هو

(١) أساس البلاغة، ص ٢٨١-٢٨٢ .

(٢) ينظر : الكليات، الكفوي : ٢ / ٥٠٣-٥٠٤ .

(٣) المعجم الوسيط : ١ / ٤١٣ .

(٤) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٣٨ .

(٥) سورة الحج : من الآية ١٥ .

المراد ومعلوم ان مد الحبل إلى سماء الدنيا والاختناق به ابعد من الإمكان مده إلى سقف البيت.

أما الذين قالوا السبب ليس هو الحبل فقد ذكروا وجهين (الأول) كأنه قال فليمدد بسبب إلى السماء، ثم ليقطع بذلك السبب المسافة ثم لينظر فانه يعلم انه معه تحمل المشقة فيما ظنه خاسر الصفقة كأنه لم يفعل شيئاً، (والثاني) كأنه قال فليطلب سبباً يصل به إلى السماء فليقطع نصر الله لنبيه، ولينظر هل يتهيأ الوصول إلى السماء بحيلة، وهل يتهيأ له بذلك إن يقطع نصر الله عن رسوله (ﷺ)، فان كان ذلك ممتنعاً لان غيظه عديم الفائدة، والمقصد على كل هذه الوجوه معلوم، فانه زجر الكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه<sup>(١)</sup>.

وهذا ما اشار إليه الفراء بقوله ((أي من كان منكم يظن ان الله لن ينصر محمداً بالغبلة حتى يُظهر دين الله فليجعل في سماء بيته حبلاً ثم ليختنق به فذلك قولهم (ثُمَّ لِيَقْطَعْ) اختناقاً))<sup>(٢)</sup>. وتأكيداً لقول الفراء فقد ذكر سيد قطب في تفسيره للآية القرآنية بقوله : ((أي فمن كان يظن انه لن ينصره الله في الدنيا والآخرة، فليمدد بحبل إلى السماء يتعلق به أو يختنق، ثم ليقطع الحبل فيسقط أو ليقطع النفس فيختنق...، ثم ينظر هل ينقذه تدبيره ذلك مما يغيظه))<sup>(٣)</sup>.

هكذا يوضح السياق أن استخدام لفظة (السبب) التي وردت في هذه الآية بمعنى الحبل بدليل أردفه بـ (ليقطع)، وكما هو معلوم فإن الحبل أداة ووسيلة يستعان بها للتوصل إلى شيء غير قريب عنا بالتعلق به، فجاءت اللفظة على سبيل الاستعارة، وهذا يعني أن سبيل الفرج لا يأتي إلا بالتوجه إلى الله، واحتمال الأذى لا سبيل إليه إلا بالرجاء في نصر الله، وكل حركة يائسة لا ثمرة لها ولا نتيجة إلا زيادة الكرب ومضاعفة الشعور به، والعجز عن دفعه بغير عون الله ... فليستبق المكروب تلك النافذة المضيئة التي تتعم عليه من روح الله<sup>(٤)</sup>.

فالسبب هنا جمع بين وظيفة الاستخدام (بوصفه الحبل) وحالة الإعجاز التي تعجز عن المساس بمناعتها الطاقات البشرية كافة، وأما استخدامه في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾<sup>(٥)</sup>، وهنا جاءت لفظة سبب بمعنى ((طريق ومسلك وسبيل، ولما حكى الله تعالى ما قاله ذو القرنين أن من اظلم نعذبه وان له

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٣ / ١٧ .

(٢) معاني القرآن، الفراء : ٢ / ٢١٨ .

(٣) في ظلال القرآن : ١٧ / ٥٨٧ وينظر : معجم ألفاظ القرآن : ١ / ٥٦١ .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن : ١٧ / ٥٨٧ .

(٥) سورة الكهف : من الآية ٨٩،٩٠ .

عند الله عذاباً نكراً، اخبر أن من صدق بالله وحده وعمل الصالحات التي أمر الله بها : ﴿ فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾<sup>(١)</sup>، أي قولاً جميلاً ثم قال : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾<sup>(٢)</sup> حتى ﴿ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ﴾ أي الموضع الذي تطلع منه مما ليس وراءه أحد من الناس فوجد الشمس تطلع على قوم لم نجعل من دونها ستراً، أي انه لم يكن بتلك الأرض جبل ولا شجر ولا بناء لان أرضهم لم يكن بينى عليها بناء : فكانوا إذا طلعت الشمس عليهم يغورون في المياه والأسراب وإذا غربت تصرفوا في أمورهم وقوله ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ يعني طريقاً ومسلكاً لجهاد الكفار، فالسبب هنا ((يعني الطريق أو السبيل))<sup>(٣)</sup> ومثيل اللفظ وبالذلالة نفسها في الآيات (٨٤، ٨٥، ٨٩، ٩٢) من السورة نفسها أي بمعنى ((الطريق الذي به يتوصل إلى تحقيق النبوة، والذين أنكروا كونه نبياً قالوا المراد به وأتيناها من كل شيء يحتاج إليه في إصلاح ملكه سبباً))<sup>(٤)</sup>، وقد ذكر الشعراوي قائلًا : ((أي لا يذهب بالغاية إلا بالوسيلة التي جعلها الله له، فقد مكن الحق لذي القرنين في الأرض، وأعطاه من كل شيء سبباً، ومع ذلك لم يكن لذي القرنين إلا ما أعطى، فلم يتقاعس، ولم يكسل، بل اخذ من عطاء الله له بشيء من كل سبب))<sup>(٥)</sup>.

وقد وردت اللفظة (الأسباب) بمعان أخرى منها : النواحي والفضل والدين وكذلك الأبواب في قوله تعالى : ﴿ فَلْيُرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾<sup>(٦)</sup>، فقد جاءت اللفظة بكل المعاني السابقة الذكر، أي في أبواب السماء إن كانوا صادقين قال زهير في معلقته :

ومن هاب أسباب المنايا ينننه  
ولو رام أسباب السماء بسلم

أي من تعرض للرماح نالته، ورام : معناه حاول، والأسباب : النواحي، وإنما عني بها كراهة إن تناله، لان المنايا تنال من يهابها<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الكهف : الآية ٨٨ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٨٩ .

(٣) التبيان : ٧ / ٧٨ والكشاف : ٢ / ٧٤٣ .

(٤) مفاتيح الغيب : ٢١ : ١٦٦ وينظر : قصص الرحمن : ٤ / ١٣٠-١٣١ .

(٥) الشعراوي : ٤ / ٨٩٨٢ .

(٦) سورة ص : من الآية ١٠ .

(٧) ينظر : شرح القصائد العشر، محمد بن علي الشيباني التبريزي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد

(د / م، القاهرة : ١٩٦٤م)، ص ٢٣٦ .

وكذلك اللفظ في سورة غافر ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله أيضاً : ﴿ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾<sup>(٢)</sup>، فقد ذهب الرازي في قوله بان الاسباب في كلتي الآيتين تعني ((المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يرتقوا إليه ويدبروا أمر العالم ... علماً أن حكام الإسلام استدلوا في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾<sup>(٣)</sup>، على أن الأجرام الفلكية وما أودع الله فيها من القوى والخواص أسباب بالحوادث في العالم السفلي لان الله تعالى سمي الفلكيات أسباباً))<sup>(٤)</sup>، وهذا ما أشار إليه محمد مخلوف عندما فسر قوله تعالى : (ابلق الأسباب)، وقوله (أسباب السماوات) أي : ((طرقها وأبوابها، وهو كل ما يتوصل به إلى الشيء))<sup>(٥)</sup>.

هكذا يتبين أن لفظة (السبب) تتعدد دلالاتها حسب السياق القرآني، فالسبب الذي يهون على البشر عندما يكون حبلاً، يستحيل عليهم حينما يتحول إلى طرق في السماء.

(١) الآية : ٣٦ .

(٢) سورة غافر : من الآية ٣٧ .

(٣) سورة ص : من الآية ١٠ .

(٤) مفاتيح الغيب : ٢٦ / ١٨٠ .

(٥) صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٥٩٩ .

للجذر (سجل) اصل واحد يدل على انصباب شيء بعد امتلائه من ذلك السَّجَل : وهو الدَّلْوُ العظيمة، ويقال سَجَلت الماء فانسَجَل، وذلك إذا صببته... فأما السَّجَلُ فمن السَّجَلِ والمُساجلة، وذلك انه كتابٌ يجمع كتباً ومعاني... ومن ذلك قوله : الحرب سِجَالٌ : أي مباراة مرةً كذا ومرةً كذا<sup>(١)</sup>، فقد قال ابن دريد: ((تساجل الرجلان إذا تفاخرا واصله من تساجلها في الاستقاء وهي المساجلة... والدلْوُ السَّجِيلُ الواسعة، وناقاة سجلاء عظيمة الضرع، اسجل فلان إذا كثر خيره وعطاؤه فهو مسجل، والسَّجَلُ الكتاب وزعم قوم انه فارسي معرب فقالوا سَكَلَّ (يعني سه كل) أي ثلاثة ختوم))<sup>(٢)</sup>، والسَّجَلُ : ((كتاب العُهْدَةِ ويجمع سِجَالَاتٍ))<sup>(٣)</sup>، اما السَّجَلُ فهو ((الصَّكُّ وقد سَجَلَّ الحاكم تسجيلاً))<sup>(٤)</sup>، كما في قوله تعالى : ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴾<sup>(٥)</sup>، وقيل السَّجَلُ : ((حجر كان يكتب فيه ثم سمي كل ما يكتب فيه سجلاً))<sup>(٦)</sup>، والسجل أيضاً ((الصحيفة وهو القرطاس الذي يدون فيه ما يراد حفظه أو هو الكاتب))<sup>(٧)</sup>، في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِ لِلْكَتُبِ ﴾<sup>(٨)</sup> وقد ذهب السجستاني إلى ان السجل يعني الكتاب أي الصحيفة فيها الكتاب أو قد يعني كاتب كان النبي (ﷺ) وتام الكلام للكاتب<sup>(٩)</sup>، وقد أشار ابن منظور ايضاً بقوله : ((وقيل السَّجَلُ بلغة الحبش الرَّجُلُ وفي حديث يعني الحساب يوم القيامة : فتوضع السَّجَالَاتُ في كِفِّهِ وهو جمع سِجَلٍ بالكسر والتشديد وهو الكتاب الكبير))<sup>(١٠)</sup> وقد قال المطرزي إنَّ ((السَّجَلُ مُعْرَبٌ دَخِيلٌ))<sup>(١١)</sup> والسَّجَلُ ((بكسرتين، وفي لغة سُجَلٌ بضمّتين كتاب العهد ونحوه وهو في الأصل الصَّكُّ أي كتاب الإقرار ونحوه ثم سمي كتاب الحكم للتشبيه، والسجل عند الفقهاء كتاب

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ١٣٦ .

(٢) الجمهرة : ٢ / ٩٤ .

(٣) العين : ٦ / ٥٤ .

(٤) الصحاح : ٥ / ١٧٢٥ .

(٥) سورة الفيل : الآية ٤ .

(٦) المفردات، ص ٣٢٩ وينظر : أساس البلاغة، ص ٢٨٦ .

(٧) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٨٥ .

(٨) سورة الأنبياء : الآية ١٠٤ .

(٩) ينظر : غريب القرآن، ص ١٨٧ .

(١٠) لسان العرب : ١١ / ٣٢٦، مادة (سجل).

(١١) المُعْرَبُ في ترتيب المعرب، ص ٢١٨ .

يكتب به القاضي صورة الدعاوي والحكم فيها وصكوك المبايعات نحوها لتبقى محفوظة عنده<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ أن لفظة (السَّجَل) قد وردت في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>، ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِّلِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد ذهب الطوسي في تفسيره الآية إلى أن ((الله تعالى شبهه طي السماء يوم القيامة بطي الكتاب، وقد ذكر للسجل معنى مغاير لما قبله وهو ملك يكتب أعمال العباد))<sup>(٤)</sup>.

وقد قال الرازي أيضاً : ((إن في السجل قولين : إحداهما : انه اسم للطومار الذي يكتب فيه والكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب، ومن جمع فمعناه للمكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة، فيكون معنى طي السجل للكتاب كون السجل سائراً لتلك الكتابة ومخفياً لها لان الطي ضد النشر الذي يكشف والمعنى نطوي السماء كما يطوى الطومار الذي يكتب فيه.

(والقول الثاني) انه ليس اسماً للطومار بل إن السجل اسم ملك يطوي كتب بني آدم))<sup>(٥)</sup>، وهذا ما ذهب إليه القرطبي أيضاً في تفسيره إذ قال ((أي كطي الصحيفة على ما فيها فاللام بمعنى (على)، وقيل أيضاً إن (السَّجَل) ملك هو الذي يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه، ويقال انه في السماء الثالثة، ترفع إليه أعمال العباد يرفعها إليه الحفظة الموكلون بالخلق في كل خميس واثنين))<sup>(٦)</sup> لكن الشعراوي ذهب إلى أن السجل هو ((القرطاس والورق الذي نكتب فيه يسمى سجلاً، ولذلك الناس يقولون : السجل كذا، أي : نكتبه في ورقة حتى يكون محفوظاً، والكتاب هو المكتوب))<sup>(٧)</sup>.

هكذا يظهر السياق من خلال تشبيه الله تعالى طي السماء على ما فيها بطي الصحيفة على ما فيها من الكتابة، فالسجل هنا أداة تنبيه لأذهان المخلوقين جميعاً على ان الأفعال والأقوال مسجلة في صحفنا الخاصة بنا نثاب عليها ونعاقب بها ولكن كل شيء محفوظ لا ينسى ولا يمحي.

(١) الآلة وأداة، ص ١٣٦ .

(٢) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٤٥ .

(٣) سورة الأنبياء : من الآية ١٠٤ .

(٤) التبيان : ٧ / ٣٥١ .

(٥) مفاتيح الغيب : ٢١ / ٢٢٨ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ١١ / ٢٣٠ وينظر : صفوة التفاسير : ٢ / ٢٧٦ .

(٧) الشعراوي : ١٦ / ٩٦٦٣ .

((القميص))<sup>(١)</sup>، وقد ذهب الجوهرى بقوله : ((وسَرَبَلْتُهُ فتسربل، أي البسته السربال))<sup>(٢)</sup> وأشار ابن دريد إلى ان السربال يعني القميص ويطلق كذلك على الدرع كما في قوله : ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>..<sup>(٤)</sup>، والسربال ايضاً : كل ما لبس فهو سربال وقد تسربل به وسربله إياه وفي حديث عثمان (رضي الله عنه) : ((لا اخلع سربالاً سربلنيه الله تعالى))<sup>(٥)</sup>، وقد ذكر ابن منظور ان السربال يعني القميص وكنى به عن الخلافة ويجمع على سراويل... وقد تطلق السراويل على الدروع<sup>(٦)</sup>، ومنه قول كعب بن زهير :

شُمُ العرانيين أبطال لبوسهمُ      من نسج داؤد في الهيجا سراويل<sup>(٧)</sup>

والسربال ((لباس وهو معروف معرب))<sup>(٨)</sup>، وقد وردت لفظة (سربال) في القرآن الكريم على وجهين : فوجه منها : ((السراويل تعني الدروع في قوله تعالى : ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾<sup>(٩)</sup>، والوجه الثاني : السراويل : القمص في قوله تعالى : ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ﴾<sup>(١٠)</sup> يعني قمصهم من قطران، وهي نار سوداء ويقال (من قطران) من صَفَرَ حاراً قد انتهى حره [أي نحاس]...))<sup>(١١)</sup>.

وهكذا نرى استعراضاً لبعض نعم الله المادية على الناس وهي بجانب تلك الأسرار وفي جوها نعم السكن والهدوء والاستئلال... والسراويل التي تقي الحر من الأريدة

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ١٦٢ وينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٦٣ .

(٢) الصحاح : ٥ / ١٧٢٩ .

(٣) سورة النحل : من الآية ٨١ .

(٤) ينظر : الجمهرة : ٣ / ٣٠٥ .

(٥) المعجم الكبير، سليمان بن احمد الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي (مكتبة العلوم والحكم، الموصل : ١٩٨٣ م) : ١ / ٨٢ .

(٦) ينظر : لسان العرب : ١١ / ٣٣٥ وينظر : تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، ط١ (المطبعة الخيرية، مصر : ١٣٠٦هـ) : ٧ / ٣٧٤، المعجم الوسيط : ١ / ٤٢٧ .

(٧) ديوان كعب بن زهير، رواية : ابي سعيد السكري (دار الفكر، بيروت : ١٩٦٨م)، ص ٢٣ .

(٨) الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٨٨ .

(٩) سورة النحل : من الآية ٨١ .

(١٠) سورة إبراهيم : من الآية ٥٠ .

(١١) قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر، ص ٢٣٤ .

والأغطية، وكذلك السراويل التي تقي البأس من الدروع وغيرها هي وقاية وحماية للخلق<sup>(١)</sup>، فالسياق القرآني يوحي ان استخدام اللفظة بوصفها أداة تولت مهمة الدفاع عن الجسد البشري في الحروب والقتال، وكذلك حمايته من عوامل الطبيعة المناخية.

وبما ان السراويل تمنعكم من الحر وخص الحر بالذكر مع قابلية السراويل في البرد اكثر لأمرين : احدهما : إن الذين خوطبوا في ذلك أهل حر في بلادهم فحاجتهم إلى ما يقي الحر اشد، والثاني : انه ترك ذلك لأنه معلوم، فكفى عن الشيء لم يذكره لأنه مدلول عليه.

واردف بقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>، أي كما انعم عليكم بهذه النعم ينعم عليكم بجميع ما تحتاجون إليه وهو إتمام نعمه في الدنيا وبين انه فعل ذلك لتسلموا بتلك الدروع من الجارحات<sup>(٣)</sup>.

اما اللفظ في قوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغَشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴾<sup>(٤)</sup>، فقد قال الرازي : ((السراويل جمع سربال وهو القميص، والقطران هو شيء يتخلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ ويطلّى به الإبل الجرب فيحرق الجرب بحرارته وحدثه، وقد تصل حرارته إلى الجوف ومن شأنه يتسارع فيه اشتعال النار، وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يصير ذلك الطلي كالسراويل، وهي القمص فيحصل بسببها أربعة أنواع من العذاب لذع القطران وحرقه، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، ومنتن الريح، وأيضاً التفاوت بين قطران القيامة وقطران الدنيا كالتفاوت بين النارين، ... والبدن جار مجرى السربال والقميص له. وكل ما يحصل للنفس من الآلام والغموم فإنما يحصل بسبب هذا البدن، فلهذا البدن لذع وحرقة في جوهر النفس ... فتشبه هذا الجسد بسراويل من القطران))<sup>(٥)</sup>.

وقد تكلم البيضاوي أيضاً في دلالة قوله تعالى ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ ﴾ فقال : ((قمصانهم : يحتمل أن يكون تمثيلاً لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب إليها أنواعاً من الغموم والآلام))<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ١٤ / ٢٦٦ .

(٢) سورة النحل : من الآية ٨١ .

(٣) ينظر : التبيان : ٦ / ٤١٣ وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ١٠٥، صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٣٥٣ .

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٥٠ .

(٥) مفاتيح الغيب : ١٩ / ١٥١-١٥٢ .

(٦) انوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣ / ٣٥٨ .

وهكذا نرى أن لفظة (السربال) على وصفها في السياق القرآني يظهر بان (السراويل) هي نوع من الثياب سواء أكانت قمصاً أم دروعاً فعلاقتها في الجسم هي الإحاطة بالجسد لكون الثوب وسيلة وأداة لحماية الجسد من الحر والبرد ومن البأس إذ كان يعني الدرع... ويوحى السياق أن هذه الأداة قد صارت وبالأعلى عليهم بدلاً من توفير الحماية لهم وكانت بياناً لعجز المجرمين وذلتهم في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ \* سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرِانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾<sup>(١)</sup>، ومن هنا ندرك بان الله تعالى يجزي كل انسان ما يستحقه بعمله وكسبه ولما كان كسب هؤلاء الكفار والمعصية كان جزاؤهم هو هذا العقاب المذكور.

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤٩ ، ٥٠ .

١١ - ٤ : السراج

للجذر (سرج) اصل صحيح يدل على الحسن والزيينة والجمال من ذلك السراج، سمي لضيائه وحُسنه، ومنه السرج للدابة، وهو زينته ويقال سَرَج وجهه، أي حسنه كأنه جعله له كالسراج، ومما يشدُّ عن هذا قولهم للطريقة سُرْجُونَةٌ<sup>(١)</sup>.

والسراج ((الزاهرُ الذي يَزْهُرُ بالليل والفعلُ منه : أُسْرَجْتُ السراجُ إِسْرَاجًا))<sup>(٢)</sup>، والسراج معروف ويقال : انف مسروج دقيق ... وقال آخرون مسرجاً أراد منيراً لكون السراج<sup>(٣)</sup>، والسراج أيضاً : ((الزاهر بفتيلة ودهن - ويعبر به عن كل مضيء))<sup>(٤)</sup>، وقد قال الزمخشري من المجاز أن نقول سرج الله تعالى وجهه، أي : حسنه وبهجه ونقول ايضاً وجةً مُسْرَج، والشمس سراج النهار، والهدى سراج المؤمنين، ومحمد رسول الله (ﷺ) السراج الوهاج<sup>(٥)</sup>، وفي الحديث : ((عمر سراج أهل الجنة))<sup>(٦)</sup>.

وقد اوضح ابن منظور معنى الحديث بقوله ((قيل : أراد أن الأربعين الذين تَمُّوا بعُمري كلهم من أهل الجنة، وعمر فيما بينهم كالسراج، لأنهم اشتدوا بإسلامه وظهروا للناس، واطهروا إسلامهم بعد أن كانوا مختفين خائفين، كما انه بضوء السراج يهتدي الماشي))<sup>(٧)</sup>، ومن السراج (المسرجة) : ((ما يوضع فيها الفتيلة والدُّهن للإضاءة جمع [مَسارِج]...))<sup>(٨)</sup>، وقد كان ورود اللفظة في التنزيل العزيز على وجهين :

فوجه منها : السراج الشمس في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾<sup>(٩)</sup>، يعني الشمس وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴾<sup>(١٠)</sup>.

(١) ينظر : مقياس اللغة : ٣ / ١٥٦ .

(٢) العين : ٦ / ٥٣ .

(٣) ينظر : الجمهرة : ٢ / ٧٦ .

(٤) المفردات، ص ٣٣٦ .

(٥) ينظر : أساس البلاغة، ص ٢٩٢ .

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب، ابو شجاع شيرويه بن شهردار الدليمي الهمداني، تحقيق : السعيد بن بيسيوني زغلول (دار الكتب العلمية، بيروت : ١٩٨٦م) : ٣ / ٥٥ وينظر : مجمع الفوائد، على بن ابي بكر الهيثمي (دار الريان للتراث، القاهرة : ١٩٨٦م) : ٩ / ٧٤ .

(٧) لسان العرب : ٢ / ٢٩٧، مادة (سرج) .

(٨) المعجم الوسيط : ١ / ٤٢٧ .

(٩) سورة الفرقان : من الآية ٦١ .

(١٠) سورة النبأ : الآية ١٣ .

الثاني : السراج يعني محمداً (ﷺ) في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً \* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ (١) ﴿٢﴾.

وردت لفظة (السراج) في أربعة مواضع من القرآن الكريم (٣)، وبدلالات مختلفة، إلا أنها مهما تنوعت دلالاتها فهي تنطوي على معنى الهداية وإضاءة طرق الحياة كما يضيء السراج بنوره للأنظار ويبدد الظلام سواء أقصد بالسراج النبي محمد (ﷺ) أم قصد به الآلة التي يستضاء بها، فالنور الذي يبعث عن السراج، والفعل منه الحُسْن والإضاءة التي تبدد الظلام وتهدي إلى الطريق الصحيح، كما كان الرسول (ﷺ) هادياً للناس كأنه السراج، وهذا ما يوحي به السياق القرآني في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ (٤) وعلى ذلك فقد بين الطوسي ان ((السراج هو جسم يركبه النور للاستصباح به فلما كانت الشمس قد جعل فيها النور للاستضاءة به كانت سراجاً وهي سراج العالم كما أن المصباح سراج هذا الإنسان)) (٥).

وقد أشار القرطبي أيضاً إلى ان : ((الشمس جُعِلَتْ مصباحاً لأهل الأرض ليتوصلوا إلى التصرف لمعايشهم)) (٦)، ولسيد قطب توجيه آخر فهو يرى إنما وجه نوح (ﷺ) قومه إلى السماء واخبرهم — كما علمه الله — أن السماء سبع طبقات فيهن القمر نور وفيهن الشمس سراج، وهذا هو الفضاء ذو اللون الأزرق، أما ما هو ؟ فلم يكن مطلوباً منهم... وهذا التوجه يكفي لإثارة التطلع والتدبر فيما وراء هذه الخلائق الهائلة من قدرة مبدعة، وهذا هو المقصود من ذلك التوجه (٧).

أما استعمالها في بقية الآيات فكان استعمالاً خاصاً على وجه الاستعارة في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً \* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ (٨)، وقيل إن السراج هنا ((صفة للنبي (ﷺ))، أي : هو هادياً كأنه سراج يهدي به في

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٥، ٤٦ .

(٢) قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر، ٢٣٤ .

(٣) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٤٨ .

(٤) سورة نوح : الآية ١٦ .

(٥) التبيان : ١٠ / ١٣٨ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ١٩٧ .

(٧) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٩ / ٣٠٢ .

(٨) سورة الأحزاب : الآية ٤٥، ٤٦ .

الظلم<sup>(١)</sup>، وعلى هذا فان تسمية الله تعالى لرسوله الأمين (سراجاً منيراً) مقصود بها انه يبلغ رسالة هدى تهتدي إلى طريق الحق، كما يهدى الضوء إلى سلوك الطريق، وان هذه الرسالة منزلة عليه غير مُفتراة منه وهو يبلغها، تشبيهاً بالضوء الذي يقع على الأجسام غير المضيئة ثم ينعكس من سطوحها ولا يكون ناشئاً منها، ولم يسم الله رسوله سراجاً مضيئاً أو وهاجاً، لئلا يفهم منه، بحسب تخصيصه معنى الضياء، أن رسوله يبلغ رسالة من ذاته واختراعه غير مبلغة إليه لأنه لا يطابق الواقع<sup>(٢)</sup>.

أما قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾<sup>(٣)</sup> فقد قال حسنين محمد مخلوف في تفسير الآية ((أي أنشأنا في السماء مصباحاً زاهراً مضيئاً وهو الشمس (وهَّاجاً) بالغاً في الحرارة، من الوهج وهو الحرارة من بعيد.. والشمس جامعة بين الإضاءة التي أشير إليها بالتعبير عنها بالسراج. وبين الحرارة التي أشير إليها بوصفه بالوهَّاج. امتنَّ الله على الخلق بإبداعها مضيئة حارة، لما في ذلك من المنافع العظمية التي لا يحيط بها الوصف، والتي تتوقف عليها الحياة على سطح الأرض))<sup>(٤)</sup>، ومثل اللفظ وبنفس الدلالة في سورة (الفرقان : الآية : ١٦).

فالسراج في العرف الاجتماعي آلة يستضاء بها، فإذا كان فعل الإنارة هو الذي ينبعث عن السراج فان حكمة سوقه من البارئ عز وجل ينطوي على دلالة اعمق تؤشر عمق الرسالة المحمدية الهادية التي بددت الظلام وأضاءت طرق الخلق وأقرت دستور الحياة.

(١) في ظلال القرآن : ٣ / ٤٢١ .

(٢) ينظر : التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، حنفي احمد (دار المعارف، مصر : ١٩٦٠م) ص ١٤٨ .

(٣) سورة النبأ : الآية ١٣ .

(٤) صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٧٧٦ .

((السين والراء يجمع فروعه إخفاء الشيء، وما كان من خالصه ومستقره لا يخرج شيء منه عن هذا... أما الذي ذكرناه من الاستقرار فالسرير وجمعه سرر وأسرّة))<sup>(١)</sup>.  
والسرير : ((مُسْتَقَرُّ العيش الذي اطمأنَّ عليه خَفْضُهُ ودَعْتُهُ))<sup>(٢)</sup>، والسرير أيضاً ((مستقر الرأس في العُنُق، وقد يُعْبَرُ بالسرير عن المُلْك والنعمة))<sup>(٣)</sup>، وقد ذكر الراغب الاصفهاني ان السرير يطلق أيضاً عن سرير الميت تشبيهاً به في الصورة، وللتفأول بالسرور الذي يلحق الميت برجوعه إلى جوار الله تعالى وخلصه من سجنه المشار إليه بقوله (ﷺ). ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))<sup>(٤)</sup>. وقد ذكر الرصافي بان السرير يطلق أيضاً على ((النَّعْشُ قبل أن يحمل عليه الميت، ويعني أيضاً التخت، ويغلب على تخت الملك، يقال زال من سريره أي ذهب عزه ونعمته وسمي به لأنه من جلس عليه من أصل الرفعة والجاه يكون مسروراً))<sup>(٥)</sup>.

وقد وردت لفظة (سرير) في ستة مواضع من القرآن الكريم وبصيغة الجمع<sup>(٦)</sup>، واستخدامها في جميع المواضع بنفس الدلالة يجعلها أداة للراحة والاستقرار والدعة والسرور الذي يناله أهل الجنة الذي هم أهل النعيم وهو مجلسهم الرفيع الذي وعدهم به الله عز وجل بوصف لمحاسن أهل الجنة بمحاسن أثاث قصورها في قوله تعالى : ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، وقال الطوسي ان سُرُر هي : جمع سرير وهو المجلس الرفيع موطاً للسرور، ويقال في جمعه أسرة أيضاً وهو مأخوذ من السرور<sup>(٨)</sup>. وكذلك فقد أشار القرطبي إلى علو

(١)مقاييس اللغة : ٣ / ٦٧ ، ٦٩ .

(٢) العين : ٧ / ١٨٩ مقاييس اللغة : ٣ / ٦٩ .

(٣) الصحاح : ٢ / ٦٨٢ .

(٤) صحيح مسلم : ٤ / ٢٢٧٢ وسنن الترمذي : ٤ / ٥٦٤ وصحيح بن حبان، محمد بن حبان التميمي، تحقيق : شعيب الارنؤوط (مؤسسة الرسالة : بيروت : ١٩٨٣م) : ٢ / ٤٦٣ : وينظر : المفردات، ص ٣٣٥ .

(٥) الآلة والأداة، ص ١٤٠ وينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٦٤، المعجم الوسيط : ١ /

٤٢٩، المصطلحات العسكرية : ١ / ٣٥٧ .

(٦) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٤٩ .

(٧) سورة الحجر : من الآية ٤٧ .

(٨) ينظر : التبيان : ٦ / ٣٣٩ .

وارتفاع هذه السُرر، ورُوي أنه كان ارتفاعها قدر ما بين، السماء والأرض ليرى ولي الله ملكه حوله<sup>(١)</sup>. وكذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد فسّر ابن الجوزي وصفاً تلك السُرر بقوله: ((إن ألواح السُرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدرّ والياقوت مرتفعة ما لم يجئ أهلها. فإذا أراد أن يجلس عليها صاحبها، تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترفع إلى موضعها))<sup>(٣)</sup>. وبهذا توصف مكانة السعداء في جنات النعيم بوصف للفظ (السُرر) المرفوعة وهذا الارتفاع يوحي بالنظافة. كما يوحي بالطهارة.. وهي من مناعم مما يشهده له أشباها في الأرض. وتذكر هذه الأشياء لتقريبها إلى مدارك أهل الأرض. أما طبيعتها وطبيعة المتاع بها فهي موكولة إلى المذاق هنالك للسعداء الذين يقسم لهم هذا المذاق<sup>(٤)</sup>.

وهذا الوصف (للسُرر) بأنها (مرفوعة) جاء لتصوير حُسْنها<sup>(٥)</sup>. هكذا يوحي السياق القرآني بأن لفظة (السُرر) بوصفها أداة للراحة تميل إلى الارتقاء والامتياز في الجلسة. فليس الجميع يجلسون على الأسرة فالناس كما هو معروف لهم منازلهم في الدنيا ودرجاتهم في الآخرة، فاستخدام السُرر في القرآن الكريم استخدام معنوي يكشف عن معنى التكريم فلا يجلس على الأسرة سوى أولئك الذين كانوا اهلاً لها – وهم أهل الجنة – وعلى هذا فالسياق العام للآية يعطي صورة مبتكرة للأسرة والتي بدورها عبرت عن الجلوس المترف الفاخر لأهل الجنة<sup>(٦)</sup>. وبهذا يظهر لنا أن هنالك مظاهر تكريمية أوسع من مداركنا لذلك فإن المراد من وصف السُرر في السياق القرآني إثارة الاشتياق إلى نعيم الجنة والتسابق للوصول إلى مراتبها العالية للحصول على عظيم قدر المؤمنين.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠ / ٢٤ .

(٢) سورة الغاشية: الآية ١٣ .

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ط ١ (المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق: ١٩٦٤م): ٩ / ٩٨ .

(٤) ينظر: في ظلال القرآن: ٣٠ / ٥٦٢-٥٦٣ وصفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٨٠١ .

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠ / ٣٠٢ .

(٦) ينظر: القيم الجمالية في السرر الملكية، ورفاء يحيى المعاضيدي، (كلية الآداب جامعة الموصل: ١٩٩٩م)، ص ٥٨ رسالة ماجستير .

للجذر (سفن) أصل واحد يدل على تنحية الشيء عن وجه الشيء، كالقشرة... وأصل الباب السفن، وهو القشر<sup>(١)</sup>، والسفن ((الجلد الذي يجعل على قوائم السيوف وإنما سمي سفناً لخشونته ومنه اشتقاق السفينة لأنها تسفن الماء كأنها تقشرة))<sup>(٢)</sup>، ((والسفينة معروفة والسفان صاحبها وسفانة بنت حاتم طيء وبها يكنى، والسفين : جمع سفينة))<sup>(٣)</sup>، وقد قيل ((سُفون... أما سفائن فعلى القياس وأما سفن فداخل عليه))<sup>(٤)</sup>، كذلك قيل إن السفن : ((الحديدة التي يسفن بها وباعتبار السفن سميت السفينة))<sup>(٥)</sup>، ويقال إن السفينة ((المركب في البحر، والجمع سُفُن))<sup>(٦)</sup>.

وردت اللفظة في أربعة مواضع من الذكر الحكيم<sup>(٧)</sup>، وبدلالة واحدة بوصفها آلة وأداة للتنقل عبر المياه والبحار ووسيلة من وسائل الإنقاذ، وقد أوضح الرازي أن موسى (عليه السلام) طلب تواضعاً من الخضر تعليمه بعض ما علمه الله، وهذا اعتراف بان الله علمه ذلك العلم من رجل ذات مناصب رفيعة ودرجات عالية شريفة، وهذا دال على كون موسى (عليه السلام) آتياً في طلب العلم بأعظم انواع المبالغة وهذا هو اللائق به...، فعندئذ تشارطاً على أن يصبر ولا يسأل عن الأمور إلا في حينها، عندئذ انتهيا إلى موضع احتاجا فيه إلى ركوب السفينة، فركباها واقدم ذلك العالم على خرق السفينة لتصير السفينة سبباً ذلك الخرق معيبة ظاهرة العيب لحكمة أرادها الله، تبينت فيما بعد لموسى (عليه السلام)<sup>(٨)</sup>، في قوله تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾<sup>(٩)</sup>، مشهد يتصور أمامك سفينة يحملها الماء وتحمل معها ركاباً وهم في وسط اللجة، ثم يجيء العبد الصالح - الخضر (عليه السلام) - فيخرق السفينة، أن ظاهر الأمر هنا إن هذه الفعلة تعرض السفينة وركابها لخطر الغرق ثم يأخذ السر بالتجلي فهذا العيب كان سبباً لنجاة السفينة من أن يأخذها ذلك الملك الظالم غصباً، وكان الضرر

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) الجمهرة : ٣ / ٣٩ وينظر : لسان العرب : ١٣ / ٢٠٩ ، مادة (سفن) .

(٣) الصحاح : ٥ / ٢١٣٦ وينظر : المصطلحات العسكرية : ١ / ٣١٥ .

(٤) المخصص : ٣ / ٢٣ السفر العاشر .

(٥) المفردات، ص ٣٤٣ .

(٦) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٦٩ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٥٢ .

(٨) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢١ / ١٥٢ ، ١٥٥ .

(٩) سورة الكهف : من الآية ٧١ .

الصغير الذي أصابها إنقاء للضرر الكبير الذي يكنه الغيب لها لو بقيت على سلامتها<sup>(١)</sup>، وهذا أيضاً ما ذهب إليه الشعراوي بقوله : ((وكان الحق - تبارك وتعالى - يريد أن يُعلمنا أن الكلام النظري شيء والعمل الواقعي شيء آخر... ونلاحظ أن موسى (عليه السلام) لم يكتفِ بالاستفهام (أخرقتها لتغرق أهلها) بل تعدى إلى إتهامه بأنه أتى أمراً منكراً فضيعاً، لأن كلام موسى النظري شيء ورؤيته لخرق السفينة وإتلافها دون مبرر شيء آخر، لان موسى (عليه السلام) استحضر بالحكم الشرعي إتلاف مال الغير، فضلاً عن إغراق ركاب السفينة فرأى الأمر ضخماً والضرر كبيراً هذا لأن موسى (عليه السلام) يأخذ من كيس والخضر يأخذ من كيس آخر))<sup>(٢)</sup>.

ومما هو ملاحظ ان هذه الأداة تعد وسيلة للتنقل مثلها مثل باقي الوسائط فهي ابتكار بشري طوعها، فصارت تحت خدمته لزوماً فهي تنقله حيناً وفي أحيان أخرى تتحول إلى معجزة بفعل الخالق المقدر لتحفظ الأنواع البشرية والحيوانية، كما حصل في قصة سيدنا نوح (عليه السلام) ضمن سياق الآية القرآنية : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد ذهب الرازي في تفسيره للآية بقوله : ((من الراجح في قوله (جعلناها) وجهان :

**الوجه الاول :** أنها راجعة إلى السفينة المذكورة وعلى هذا ففي كونها آية وجوه (أحدها) أنها اتخذت قبل ظهور الماء، ولولا أعلام الله لنوح (عليه السلام) وأنباؤه إياه به لما اشتغل بها فلا تحصل لهم النجاة. و (ثانيها) : أن نوحاً (عليه السلام) أمر بأخذ قوم معه ورفع قدر من القوت والبحر العظيم لا يتوقع أحد نضوبه، ثم أن الماء غيض قبل نفاذ الزاد ولو ذلك لما حصل النجاة فهو بفضل الله لا بمجرد السفينة. و (ثالثها) أن الله تعالى كتب سلامة السفينة عن الرياح المرجفة والحيوانات المؤذية، لولا ذلك لما حصلت النجاة.

**والثاني :** أنها راجعة إلى الواقعة أو إلى النجاة أي جعلنا الواقعة أو النجاة آية للعالمين))<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ١٥ / ٢٣٩٧ .

(٢) الشعراوي : ١٤ / ٨٩٦٠ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٥ .

(٤) مفاتيح الغيب : ٢٥ / ٤٣-٤٤ .

وهذا أيضاً ما أشار إليه القرطبي مفسراً قوله تعالى : (جعلناها) بأنها : فاما تعني السفينة، أو للعقوبة، أو للنجاة، ثلاثة أقوال<sup>(١)</sup>، فالسياق القرآني يظهر لنا نوح (عليه السلام) قد طوفت به سفينة في مجاهل هذا الطوفان المروع العاتي الذي أتى على كل شيء... وكانت السفينة فيه أشبه بالريشة في مهب ريح عاصف... وقد عاش نوح (عليه السلام) ومن معه في وسط هذا الإعصار العنيف بنفوس تصطمم بهذه القوة العاتية حتى إذا إن الله لهذه النعمة أن تنجلي، وأخذت السفينة تحتها إلى شاطئ الأمن والسلام... واستمع إلى سفينة نوح وهي تنتصب وتتكفأ إلى مطمئن الأرض (قيل يا نوح اهبط بسلام منا)، هكذا تجد أن وراء الكلمات حدثاً تتصارع فيه قوتان متماسكتان، تحاول إحداهما أن تفلت إلى مهرب لها بينما تجذبها الأخرى إليها وتمسك بها، ولكن يد مسترخية تلين شيئاً فشيئاً حتى تنفصل القوتان، وتصير كل منهما إلى وجهتها من السكون والاستقرار<sup>(٢)</sup>.

وهكذا تحيلنا لفظة السفينة في الاصطلاح القرآني إلى دلالة النجاة بفضل الله للمؤمنين الصابرين، وكذلك فهي كانت إعلام يقين لنبي من أنبيائه لحكمة أرادها الله أن تتكشف أمامه بعد معاينته للأمر لأنه ظن شيئاً ولقي شيئاً.

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٣ / ٢٢٢، : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، راجعه وضبطه

: ابراهيم محمد رمضان (دار القلم، بيروت : د / ت) : ٢ / ١٢٩٠ .

(٢) ينظر : أعجاز القرآن، ص ٢٧٤-٢٧٥ .

للجذر (سقى) أصل واحد وهو اشرب الشئ الماء وما اشبهه نقول : سقيته بيدي اسقيه سقيا، واسقينه، إذا جعلت له سقياً. والسقي : المصدر<sup>(١)</sup> ... وقد ذهب الفراهيدي إلى ان ((السقاء : القرابة للماء واللبن، والسقاية : الموضع يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها والسقاية : الصواع يشرب فيه الملك))<sup>(٢)</sup>، الا ان الجوهرى قال : ((والسقاء يكون للبن والماء، والجمع القليل أسقية وأسقيات والكثير أساق))<sup>(٣)</sup>.

والسقاية أيضاً : ((الإناء الذي يسقى به))<sup>(٤)</sup> وتطلق السقاية : ((على المكيال يكال به ويشرب فيه))<sup>(٥)</sup>، وهذا ما أشار إليه الراغب الأصفهاني في تفسيره الآية القرآنية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾<sup>(٦)</sup>، فهو المسمى صواع الملك فتسميته السقاية : تنبئها انه يسقى به وتسميته صواعاً تنبئها انه يكال به<sup>(٧)</sup>، وقد وصف الزمخشري (السقاية) بأنها ((كانت إناء مستطيلاً يشبه المكوك وقيل : هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الأعاجم))<sup>(٨)</sup>. وقيل : أيضاً أنها تسمى (جشمة) وجمعها سقايات<sup>(٩)</sup>.

وقد وردت لفظة (السقاية) في موضعين من القرآن الكريم<sup>(١٠)</sup>. بوصفها أداة للشرب والكيل معاً في قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾<sup>(١١)</sup>، وذكر الطوسي ان السقاية : ((صواع الملك الذي كان يشرب به، وقيل أنها كانت من فضة، وقول آخر بأنها كانت كأساً من ذهب، ومن ثم صيبر مكيالاً للطعام))<sup>(١٢)</sup>، إلا أن الرازي قد أنكر ان تكون السقاية في إناء

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٨٤-٨٥ .

(٢) العين : ٥ / ٨٩ .

(٣) الصحاح : ٦ / ٢٣٧٩ .

(٤) المخصص : ٢ / ١٥١ (السفر التاسع) .

(٥) غريب القرآن، أبو بكر محمد السجستاني (مطبعة التوفيق الادبية، د / م : ١٣٤٣هـ)، ص ١٨٧ وينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٧١ .

(٦) سورة يوسف : من الآية ٧٠ .

(٧) ينظر : المفردات :، ص ٣٤٥، لسان العرب : ١٤ / ٣٩٠-٣٩٤ مادة (سقى) .

(٨) الكشف : ٢ / ٤٩٠ وينظر : تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : ٢ / ٦٣٤ .

(٩) ينظر : الآلة والأداة، ص ١٢٥ .

(١٠) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ٣٥٣ .

(١١) سورة يوسف : من الآية ٧٠ .

(١٢) التبيان : ٦ / ١٦٩ .

يشرب به ثم جعلت صاعاً يكال به، لأن الإناء الذي يشرب الملك منه لا يصلح أن يجعل صاعاً، وقيل أيضاً إنها كانت من فضة مموهة بالذهب، وقيل : كانت مرصعة بالجواهر، وهذا أيضاً بعيد لأن الأنبة التي يسقى فيها الدواب لا تكون كذلك، والأولى أن يقال : كان ذلك الإناء شيئاً له قيمة، أما إلى هذا الحد الذي ذكره فلا<sup>(١)</sup>. إلا أن سيد قطب يشير إلى أن معنى السقاية هنا هو كأس الملك – وهي عادة من ذهب – وقيل : إنها كانت تستخدم للشراب، ويستخدم قعرها الداخل المجوف من الناحية الأخرى في كيل القمح لندرته وعزته في تلك المجاعة، وهكذا فقد دس يوسف (عليه السلام) السقاية في الرحل المخصص لأخيه، تنفيذاً لتدبير خاص الهمة الله له<sup>(٢)</sup>، والقصد من كل ذلك أن النبي يوسف (عليه السلام) أراد أن يُبقي أخاه معه في مصر. ولكن كيف يأخذه من اخوته ليُبقيه معه. وقد أخذ أبوهم ميثاقاً عليهم إلا يضيعوه كما فعلوا مع أخيه من قبل ؟ إذن : لابد من حيلة يستطيع بها أن يستبقي بها أخاه معه، وقد جند الله له فيها اخوته الذين كانوا يُعادونه، وكانوا يحقدون عليه وعلى أخيه، وجاءت عندئذ حكاية صواع الملك وجعلها في رحل أخيه<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا يتبين بان الإناء الذي يسقى به الناس ويكال به لهم يسمى مرة سقاية ومرة أخرى صواع<sup>(٤)</sup>، والسقاية هنا أطلقت على الأداة التي يُشرب منها وتستخدم مكيالاً – إلا أن السياق القرآني إعطاها دلالة ضمنية تحقق المراد الإعجازي لله في تحقيق معجزته ليوسف (عليه السلام) وردّه إلى أبيه بعد تأمر اخوته عليه هذا من جانب، ومن جانب آخر اعتراف أخوة يوسف (عليه السلام) لأخيه يوسف (عليه السلام) ... بالفضل والأثره عليهم في الخلق والخلق والسعة والمُلك وإقرارهم له بأنهم أساءوا إليه وخطأوا في حقه.

وقد وردت (السقاية) في موضوع آخر من التنزيل الحكيم وبدلالة أخرى هي إسقاء الناس والحجيج الماء في قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقد قال الرازي ((ذكر المفسرين اقوالاً في نزول الآية، قال : ابن عباس في بعض الروايات عنه أن علياً لما اغلظ الكلام للعباس، قال العباس : إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة، والجهاد فلقد كنا نعلم المسجد الحرام ونسقي الحاج فنزلت هذه الآية. وقيل إن

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٨ / ١٨٢ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ١٣ / ٣٢، صفوة التفاسير : ٢ / ٦١، قصص الرحمن في ظلال القرآن : ٢ / ٢٨١-٢٨٢ .

(٣) ينظر : الشعراوي : ١١ / ٧٠٢١ .

(٤) ينظر : معجم ألفاظ القرآن : ١ / ٥٩٩ .

(٥) سورة التوبة: من الآية ١٩ .

المشركين قالوا لليهود، نحن سقاة الحاج وعمار المسجد الحرام، فنحن افضل أم محمد وأصحابه ؟ فقالت اليهود لهم انتم افضل. وقيل : إن علياً (عليه السلام) قال للعباس (رضي الله عنه) بعد إسلامه : يا عمي ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فقال : الست في افضل من الهجرة ؟ أسقى حاج بيت الله وأعمار المسجد الحرام. فلما نزلت هذه الآية قال : ما أراني إلا تارك سقائتنا .... وأما الذين قالوا : إنها جرت بين المسلمين والكافرين، فقد احتجوا على صحة قولهم بقوله تعالى ﴿ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ وبين من آمن بالله وهذا هو الأقرب عندي<sup>(١)</sup>. وهذا أيضاً ما أشار إليه ابن كثير وسعيد حوى في قولهما بأن هنالك روايات تفيد أن الخطاب للمسلمين عندما اختلفوا فيما بينهم حول العمل لله تعالى فمنهم من قال : اسقى الحاج، ومنهم من قال : بل الجهاد في سبيله خير مما قلتم. وقد استفتوا رسول الله فيما اختلفوا عليه. فعنئذ انزل الله عز وجل ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ... ﴾<sup>(٢)</sup>، وعلى هذا فالسقاية هنا تعني ((سقيهم الماء وتدل على القيام بالعمل أي عملية سقي الحاج))<sup>(٣)</sup>، والمعنى ((أُتَسَوُّونَ أَهْلَ سِقَايَةِ الْحَجِّجِ وعمارَة المسجد الحرام منكم وانتم على هذا الشرك – بمن آمن بالله واخلص له العبادة، وجاهد في سبيله بالنفس والمال ؟ كلا ! وقد بين الله فضلهم وعظم منزلتهم))<sup>(٤)</sup>، وفي كل هذا إنكار لأن تجعل حرمة السقاية والعمارَة كحرمة من آمن وكحرمة الجهاد وهو بيان عجيب وقد كشف التشبيه بالإيمان الباطل والقياس الفاسد وفي ذلك دلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان وأنه لا يساوى به مخلوق على صنعته في القياس<sup>(٥)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب : ١٦ / ١٢-١٣ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٤٥١-٤٥٢، الأساس في التفسير : ٤ / ٢٢٣٦ .

(٣) معجم ألفاظ القرآن : ١ / ٥٩٩ .

(٤) صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٢٥٠ .

(٥) ينظر : ثلاث رسائل في أعجاز القرآن، ص ٨٥ .

للجذر (سكن) اصل واحد مطرد يدل على خلاف الاضطراب والحركة، يقال : سَكَنَ الشيء يسكنُ سُكُوناً فهو ساكن... والسكَّين معروف، قال بعض أهل اللغة هو فعيل لأنه يسكنُ حركة المذبح به<sup>(١)</sup>. قال الفراهيدي : ((والسكين [ المديّة ] يذكر ويؤنث ويجمع [ على ] السكاكين))<sup>(٢)</sup>، وقيل : ((هو مذكر ومنهم من ينكر التأنيث))<sup>(٣)</sup>، والسكين هي آلة القطع والذبح<sup>(٤)</sup>، وقد ذكر ابن دريد بأنه قد سمت العرب ساكناً وسكينا وسكنا... والسكين عربي معروف وهو من قولهم ذبحت الشيء حتى سكن اضطرابه<sup>(٥)</sup>.

وقد أشار الزمخشري إلى انه من المجاز ان تقول ((سكنت نفسي بعد الاضطراب، وعلمته علماً سكن النفس، وسكنت إلى فلان : استأنست به، وفلان سكني من الناس ومنه سميت النار سكيناً كما سميت مؤنسة وعليه سكينه ودعة ووقار))<sup>(٦)</sup>، الا ان المطرزي قال : ومن الباب [السكين] سمي ذلك لسكونه إلى الناس وكذلك [السكان] ذنب السفينة لأنه بها تقوم وتسكن، أي بمعنى الدفة التي تحركها<sup>(٧)</sup>.

وردت لفظة (السكين) في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٨)</sup>، بوصفها آلة للقطع في قوله تعالى : ﴿ وَآتَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا ﴾<sup>(٩)</sup>، وقد ذهب الطوسي في تفسيره للآية بأنه قيل : ((إن امرأة العزيز دعت النسوة وقدمت إليهن فاكهة واعطتهن سكيناً ليقطعن الفاكهة فلما رأينه يعني يوسف (عليه السلام) دهشن وقطعن أيديهن وقوله : ((أكبرنه) أي اعظمه وأجللنه))<sup>(١٠)</sup>.

وقد أشار الرازي في تفسيره للآية إلى عدة مسائل ومن بينها : الإشارة إلى ورود لفظة السكين ويعلل بان امرأة العزيز هيأت متكأ طعام يحتاج إلى أن يقطع بالسكين لان الطعام

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٨٨، المفردات، ص ٣٤٦ .

(٢) العين : ٥ / ٣١٣ .

(٣) المذكر والمؤنث، أبو بكر محمد الأنباري، تحقيق : طارق الجنابي (دار الرائد العربي، بيروت : د / ت) : ١ / ٣٨٧ .

(٤) ينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٧٢ .

(٥) ينظر : الجمهرة : ٣ / ٤٧ وينظر : المخصص : ٢ / ٣٦، السفر الخامس .

(٦) أساس البلاغة، ص ٣٠٤ .

(٧) ينظر : المغرب في ترتيب المعرب، المطرزي، ص ٢٣٠ .

(٨) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٥٤ ،

(٩) سورة يوسف : من الآية ٣١ .

(١٠) التبيان : ٦ / ١٣١ .

متى كان كذلك احتاج الإنسان إلى أن يتكأ عليه عند القطع، ثم حصل ذلك أنها دعت أولئك النسوة واعدت لكل واحدة منهن مجلساً معيناً واتت كل واحدة منهن سكيناً أي لأجل أكل الفاكهة أو لأجل قطع اللحم ثم إنها أمرت يوسف (عليه السلام) بأن يخرج إليهن ويعبر عليهن وأنه (عليه السلام) ما قدر على مخالفتها خوفاً منها<sup>(١)</sup>، فلما انحدر يوسف (عليه السلام) قالت لهنّ : اقطعن ما معكن بالمُدَى حتى بلغت السكاكين إلى العظم من شدة دهشتهن به<sup>(٢)</sup>.

وكما هو معروف فإن السكين آلة قطع اللحم وغيره وفسر قولها (اخرج عليهن) يقتضي انه كان في بيت آخر وكان لا يدخل عليها إلا بإذنها ... وتقطع أيديهن كان من الذهول أي أجرين السكاكين على أيديهن يحسبن أنهن يقطعن الفواكه وأريد بالقطع الجرح، أطلق عليه القطع مجازاً للمبالغة في شدته حتى انه قطع قطعة من لحم اليد<sup>(٣)</sup>.

وقد اوضح د. كامل البصير مبيناً جمال الصورة الفنية بقوله : ((وتجدد الصورة الفنية، فإذا أولئك النسوة اللاتي أنكرن على امرأة العزيز سوء التصرف يقعن في ما هو شر من ما وقعت فيه فإذا هن ذاهلات عن أنفسهن لدى رؤية يوسف (عليه السلام)، ويتجسد هذا الذهول في صورة فنية لازمة أدت عنها عبارة (وقطعن أيديهن) أي جرحها))<sup>(٤)</sup>.

هكذا تحليلنا قصة يوسف (عليه السلام) إلى لفظة السكين بوصفها إحدى ثوابت الأعجاز في القصة، لكنها على قساوتها بوصفها آلة للقطع أحوالتنا ضمن السياق القرآني إلى محورين :  
أولها : تحول الأداة الجارحة إلى حكم ينصف يوسف (عليه السلام)، ويعظم جماله الذي يذهب بالعقول ويثير الدهشة، هو السبب الذي فتح على امرأة العزيز باب الطعن فيها من النسوة.

وثانيها : تحول هذه الآلة بمفهومها الاعتباري آلة للقطع إلى دلالة ضمنية تمثلت في المكيدة التي افتعلتها امرأة العزيز ومقابلة للنسوة في احتيالهن على رؤية يوسف (عليه السلام) والتي أصبحت فيما بعد أداة تبرير لفعلة امرأة العزيز في مراودة فتاها.

ومما يعزز هذا التحليل السياقي للفظه قول احمد فائز الحمصي ((في أن المرأة رأت أنها انتصرت على نساء طبقتها، وأنهن لقين من طلعة يوسف (عليه السلام) الدهش والإعجاب والذهول، فقالت قولة المرأة المنتصرة، التي لا تستحي أمام النساء من بنات جنسها وطبقتها،

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٨ / ١٣٠ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ١١٨ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ٢٦٢-٢٦٣، التصوير الفني في القرآن، ص ١٦٩ .

(٤) بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص ٢٧٣ .

والتي تفخر عليهن بان هذا في متناول يدها، وان كان قد استعصى قياده مرة فهي تملك هذا القيادة مرة أخرى : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾<sup>(١)</sup>، فأخبرت عن جماله الباطن بعفتيه، فأخبرت عن جماله باطنه، وارتتهن جمال ظاهره<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سورة يوسف : من الآية ٣٢ .

(٢) قصص الرحمن في ظلال القرآن : ٢ / ٢٣٢ وينظر : الشعراوي : ١١ / ٦٩٣٣ .

١١ - ٩ : السلسلة - السلاسل

للجذر (سل) أصل واحد وهو مدّ الشيء في رفق وخفاء ثم يُحْمَلُ عليه، فمن ذلك سلّلت الشيء أسلته سلاً... ومما حُمِلَ عليه السُّلْسَلَةُ : سميت بذلك لأنها ممتدة في اتصال، ومن ذلك سُلْسَلُ الماء في الحلق إذا جرى وماء سُلْسَلٍ، وسُلْسَالٍ وسُلْسَالٍ : قال بعض اهل اللغة : والسُّلْسَلُ اتصال الشيء بالشيء وبذلك سُميت سِلْسِلَةُ الحديد وسِلْسِلَةُ البرق المستطيلة في عَرْضِ السحاب<sup>(١)</sup>. والسُّلْسَالُ ((جمع السُّلْسَلَةِ))<sup>(٢)</sup> والسلسلة أيضاً : ((مجموعة حلقات من الحديد ونحوه يدخل بعضها في بعض وجمعها سلاسل))<sup>(٣)</sup>. والسلاسلُ كذلك ((رملٌ ينعقد بعضه على بعض وينقاد))<sup>(٤)</sup>، إلا أن ابن منظور عرف السُّلْسَلَةَ : ((بأنها دائرة من حديد ونحوه من الجواهر مشتق من ذلك، وفي الحديث : [عَجَبَ رَبُّكَ مِنْ اقْوَامٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِالسُّلْسَالِ] : قيل هم الأسرى يقادون إلى الإسلام مُكْرَهِينَ فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة ليس أنْ تَمَّ سِلْسِلَةٌ، ويدخل فيه كل من حُمِلَ على عمل من أعمال الخير))<sup>(٥)</sup>.

وردت اللفظة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٦)</sup>، وبوصفها أداة تؤدي غرضاً (ما) كما في قوله تعالى : ﴿ تَمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ﴾<sup>(٧)</sup>، وقد أشار القرطبي إلى أن الله اعلم بأي ذراع كان قياس السلسلة، وقال ابن عباس : سبعون ذراعاً بذراع الملك، وقال مقاتل : لو حلقه منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص... وجاء في الخبر، أنها تدخل من دبر الكافر وتخرج من منخربيه وفي خبر آخر : تدخل من فيه وتخرج من دبره، فينادي أصحابه هل تعرفوني ؟ فيقولون لا، ولكن قد نرى ما بك من الخزي فمن أنت ؟ فينادي أصحابه أنا فلان بن فلان<sup>(٨)</sup>.

وقيل أن السلسلة المذكورة في الآية : ((كل حلقة منها كقدر حديد الدنيا... وقيل بذراع الملك، ثم تردف (فاسلكوه) : أي تدخل في أسنانه ثم تخرج من فيه، ثم ينظّمون فيها كما يُنظّم الجرارُ في العودِ حين يُسوى ويُسلَكُ في دبره حتى يخرج من منخربيه، حتى لا يقوم على

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٥٩-٦٠ .

(٢) العين : ٧ / ١٩٤ وينظر : الجمهرة : ١ / ١٥١ .

(٣) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ١ / ٢٧٤ .

(٤) الصحاح : ٥ / ١٧٣٢ وينظر : المفردات : ١ / ٣٤٧ .

(٥) لسان العرب : ١١ / ٣٤٥، مادة (سلسل) .

(٦) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ٣٥٤ .

(٧) سورة الحاقة : الآية ٣٢ .

(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ١٧٦ .

رجليه))<sup>(١)</sup>، وقد بين سيد قطب الحكمة من وراء ذكر لفظة [السبعين] بقوله ((ويلاحظ إحياء التطويل والتهويل ينضح من وراء اللفظ في السبعين وصورتها ولعل هذا الإحياء هو المقصود))<sup>(٢)</sup>، هكذا أوحى السياق القرآني لهذه لفظة بأنها تتحول إلى أداة عقابية مرعبة بطولها ثم بمادتها المشكلة من الحديد، ولأن الحديد يؤسر من النار فيمكن تصور شدة أذى هذه الحلقات ووقعها على نفوس الكافرين، وكذا اللفظ أيضاً في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup>، ويصف سيد قطب حالة الإنسان وهو على مفرق الطريق لتحذيره من طريق النار وترغيبه في طريق الجنة بكل صور الترغيب، وبكل هواتف الراحة والمتاع والنعيم والتكريم الذي نلمسه في سياق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا \* إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾<sup>(٤)</sup> (...))<sup>(٥)</sup>، وبهذا يلاحظ تبيان حال الفريقين - أهل الجنة وأهل النار - فقد أوضح القرطبي بقوله: ((فمن كفر فله العقاب بتصوير أدوات العقاب كما هو مبين بوصف السلاسل والأغلال ومن وَّحَدَّ وشكر فله الثواب بوصف أدوات النعيم والجزاء المتمثلة بكأس من الكافور))<sup>(٦)</sup> وعندما يقرأ الإنسان ويتأمل هذه الآية يشعر بأنه على الأرض يقضي فترة امتحان ويتصور هذه الحياة بما وراءها من نتائج الابتلاء! وما ينتظر الإنسان بعد الابتلاء بعد اختياره طريق الشكر أو طريق الكفران<sup>(٧)</sup>.

وكذا اللفظة في قوله تعالى: ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾<sup>(٨)</sup> وتفسيراً للآية يذهب ابن كثير إلى انها مخاطبة الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ): إلا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله، ويجادلون في الحق بالباطل، كيف تُصَرَّفَ عقولهم عن الهدى إلى الضلال، وهكذا تهديد شديد، ووعد أكيد، من الرب جل جلاله لهؤلاء، كما قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْيَوْمَنِذِرِينَ ﴾<sup>(٩)</sup>، وقوله: ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾<sup>(٨)</sup>

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٥٣٤ .

(٢) في ظلال القرآن : ٢٩ / ٢٥٨ .

(٣) سورة الإنسان : الآية ٤ .

(٤) سورة الإنسان : الآية ٤ ، ٥ .

(٥) في ظلال القرآن : ٢٩ / ٣٩٢ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ١٩ / ٨٠ ، ٨١ .

(٧) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٩ / ٣٩٦ .

(٨) سورة غافر : الآية ٧١ .

(٩) سورة الطور : الآية ١١ .

يُسْحَبُونَ ﴿١﴾، أي متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم<sup>(٢)</sup>، إلا ان سيد قطب يشير إلى ان ورود السلاسل هنا ((ليس لمجرد العذاب بل إشارة إلى الإهانة والتحقير في العذاب متمثلاً بسحبهم كما تسحب الأنعام والوحوش، فعلام التكريم ؟ وقد خلعوا على أنفسهم شارة التكريم))<sup>(٣)</sup>، فمنهم عن قريب يعلمون بطلان ما هم فيه إذا دخلوا النار وغلَّتْ أيديهم إلى أعناقهم<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا فالسلاسل في الاصطلاح القرآني تدل على كونها أداة من أدوات العقاب لأهل النار، إلا أن السياق القرآني للفظة أوحى أنها أداة مثلت الإهانة والتحقير لهؤلاء الكفرة في الكيفية التي يسحبون بها إلى النار كما تسحب الدواب لتلقى حتفها.

(١) سورة غافر : الآية ٧١ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٤ / ١١٠ .

(٣) في ظلال القرآن : ٢٤ / ٢٠٥ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ٢١٦ ، صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٦٠٢ .

للجذر (سلم) أصل واحد معظم بابه من الصحة والعافية، ويكون فيه ما يشدُّ، والشاذ عنه قليل، فالسَّلامَة : ان يسلم الانسان من العاهة والاذى... والسُّلْمُ معروف، وهو من السلامة أيضاً، لان النازل عليه يرجى له السلامة<sup>(١)</sup>، وقوله عز اسمه : ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ويقال : ((هي السُّلْمُ وهو السُّلْمُ : أي السبب والمرقاة والجمع : السَّلَالِيم))<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر ابن دريد ان والسُّلْمُ والسُّلْمُ : والسُّلْمُ وقد قرئ على ثلاثة أوجه والسُّلْمُ ضد الحرب ومنه اشتقاق السَّلامَة... والسُّلْمُ يذكر ويؤنث وهو في التنزيل مذكر<sup>(٤)</sup>، والسُّلْمُ أيضاً ((المرقاة))<sup>(٥)</sup>، ويقال أيضاً إن السُّلْمُ : ((ما يتوصل به إلى الأمكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسماً لكل ما يتوصل به إلى شيء رفيع كالسبب في قوله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٦)</sup>...))<sup>(٧)</sup>، وقيل في سبب تسمية السُّلْمُ سلماً لأنه يُسَلِّمُك إلى حيث تريد، والسُّلْمُ : السبب إلى الشيء سمي بهذا الاسم لأنه يؤدي إلى غيره كما يؤدي السُّلْمُ الذي يرتقى عليه<sup>(٨)</sup>. وقد قال الزمخشري ونقول من المجاز : وبات بليلةٍ سلِّم وهو اللديغ وسَلِمَتِ الصنِيعَة : خَلَصَتْ<sup>(٩)</sup>.

وردت لفظة (السُّلْمُ) في موضعين من القرآن الكريم<sup>(١٠)</sup> في قوله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١١)</sup>، وقد ذهب الرازي إلى أن هذه الآية تتميم لما قبلها : ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾<sup>(١٢)</sup>، أي فان من لا يكون خازناً ولا كاتباً قد يطلع على الأمر بالسمع من الخازن أو الكاتب، فقال انتم لستم بخزنة ولا

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٩٠-٩١ .

(٢) سورة الطور : الآية ٣٨ .

(٣) العين : ٧ / ٢٦٦ .

(٤) ينظر : الجمهرة : ٣ / ٤٩-٥٠ وينظر : المذكر والمؤنث : ١ / ٣٨٦ .

(٥) المخصص : ١ / ١٣٥، السفر الخامس .

(٦) سورة الطور : الآية ٣٨ .

(٧) المفردات، ص ٣٥٢ وينظر : المعجم الوسيط : ١ / ٤٤٨، معجم ألفاظ القرآن : ١ / ٦١٣ .

(٨) ينظر : لسان العرب ١٢ / ٢٩٩ ومادة (سلم) .

(٩) ينظر : أساس البلاغة، ص ٣٠٦ .

(١٠) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٥٧ .

(١١) سورة الطور : الآية ٣٨ .

(١٢) سورة الطور : الآية ٣٧ .

كتابة ولا اجتمعتم بهم، لأنهم ملائكة ولا صعود لكم إليهم ... وفي هذا مسائل منها : إن السلم لا يستمع فيه، وإنما يستمع عليه وكذلك المستمع هو الوحي، والمعنى : هل لهم سلم يستمعون فيه الوحي وماذا يقول، فليات مستمعهم بما سمع ويقول سمعت كذا وكذا فيفتري كذباً بل الواجب أن يأتي بدليل يدل عليه<sup>(١)</sup>.

وقد أشار القرطبي أيضاً إلى أن لفظة سلم تعني مصعداً وسبباً هكذا دعوا أن لهم مرتقى إلى السماء (يستمعون فيه) أي عليه الأخبار ويصلون به إلى علم الغيب، كما يصل محمد (ﷺ) بطريق الوحي<sup>(٢)</sup>.

ومما يؤيد هذه الأقوال قول ابن كثير بان السلم هنا يعني ((مرقاة إلى الملاء الأعلى، فليات الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال وليس لهم سبيل إلى ذلك ولا لهم دليل))<sup>(٣)</sup>.

وبهذا تتحول لفظة سلم — هذه الأداة الخدمية إلى أداة تحد عام للبشر وان ابتكرت من لدنه. كما في السياق الآلية القرآنية : ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(٤)</sup>، فهذا خطاب من الله تعالى إلى رسوله محمد (ﷺ) إن كان شق عليك إعراضهم عنك فاجعل لك سلماً في السماء فتصعد فيه فتأتيهم بآية أفضل مما أتيتهم به فافعل<sup>(٥)</sup>. فالمراد من قوله (إن استطعت) أي أنك لا تستطيع ذلك، لكن المراد من هذا تبيان حرص الرسول على إسلام قومه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض ومن فوق السماء لآتى بها رجاء إيمانهم ولكن لله مراداً<sup>(٦)</sup>.

وبهذا يظهر لنا السياق القرآني للفظه بان الله عز وجل يحرك البابنا نحو التفكير بقيمة هذه أداة التي أصبحت أداة حرص من الرسول الكريم على إسلام قومه ليستخدمها ويأتي بآية تجعلهم يؤمنون بالله ورسوله، لكن مهما بلغت هذه الأداة من قوة وعمق صنعة تعجز حتماً عن إدراك الارتقاء الأعلى الخاص بعلم الله تعالى نحو أسباب السماوات وطرقها، لان طرق

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٨ / ٢٦٢ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٧ / ٥١ ، صفة التفاسير : ٣ / ٢٦٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٣٠٦ .

(٤) سورة الأنعام : من الآية ٣٥ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٢ / ١٧٨ .

(٦) ينظر : الأساس في التفسير : ٣ / ١٦١٨ وتفسير غريب القرآن، ص ٤٢٦ .

السماء ملك لله وحده بدليل عز وجل : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ  
أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُوا لَا تَتَفَدُّونَ إِنَّا بِسُلْطَانٍ ﴿١﴾ .

---

(١) سورة الرحمن : الآية ٣٣ .

للجذر (سوط) أصل واحد يدل على مخالطة الشيء بالشيء، يقال سُطت الشيء : خلطت بعضه ببعض. وسَوَّط فلان أمره تسويطاً إذا خلطه، ومن الباب السَوَّط لأنه يُخَالِط الجِلْدَةَ ؛ يقال سَطَّنَهُ بالسَوَّط : ضربته. أما قولهم في تسمية النَّصِيبِ سَوَّطاً فهو من هذا قال الله تعالى جل ثناؤه : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَّطَ عَذَابٍ ﴾<sup>(١)</sup>، أي نصيباً من العذاب<sup>(٢)</sup> وقد ذكر الفراهيدي ان السَوَّط معروف : والمسَوَّط : الذي يُسَاطُ به<sup>(٣)</sup>، وقال ابن دريد : ((تَطَوَّسَت المرأة إذا تزيَّنت ومنه اشتقاق الطاووس))<sup>(٤)</sup>، والسَوَّط ((الذي يضرب به، والجمع اسواط وسياط))<sup>(٥)</sup> ومن المجاز : ((صب عليهم سوط عذاب، وساق الأمور بسوط واحد وهما يتعاطيان سوطاً واحداً إذا اتفقا على نجر واحدٍ وخُلِقَ واحدٍ وحنوا في هذا، وهو طريق دقيق بين شرفين، ووردنا على سوط من الماء وهي فضله غدير ممتد كالسوط، وعلى سيات... وفلان سَوَّط الحرب ويُسَوِّطها : يباشرها))<sup>(٦)</sup> وفي حديث علي (رضي الله عنه) مع فاطمة (رضي الله عنها) ((مَسَوَّطٌ لحمها بدمي ولحمي)، أي ممزوج ومخلوط، وسمي السَوَّطُ سَوَّطاً لأنه إذا يسيط به إنسان أو دابة خلط الدم باللحم وهو مشتق من ذلك... وفي الحديث ((عن ابي هريرة قال : قال رسول الله (ﷺ) صنفان من اهل النار لم ارهما. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس. ونساء كاسيات عاريات جميلات ماثلات رؤسهن كأسنمه البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا...))<sup>(٧)</sup> والسوط هو الذي يُجَلَّدُ به والأصل سِوَاطٌ بالواو فقلبت ياء لكسرة قبلها ويجمع على الأصل أسواطاً... وسَوَّطٌ باطلٌ : الضوء الذي يدخل من الكوة وقد حكيت فيه الشين<sup>(٨)</sup>.

وردت اللفظة (السوط) في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَصَبَّ

عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَّطَ عَذَابٍ ﴾<sup>(٩)</sup>.

(١) سورة الفجر : الآية ١٣ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ١١٥-١١٦ .

(٣) ينظر : العين : ٧ / ٢٧٨ .

(٤) جمهرة اللغة : ٣ / ٢٥٦ .

(٥) الصحاح : ٣ / ١١٣٥ .

(٦) أساس البلاغة، ص ٣١٣ .

(٧) صحيح مسلم : ٣ / ١٦٨٠ وسنن البيهقي : ٢ / ٢٣٤ .

(٨) ينظر : لسان العرب : ٧ / ٣٢٦، مادة (سوط) .

(٩) سورة الفجر : الآية ١٣ .

وقد أشار الرازي إلى أن السوط هو إشارة إلى ما احله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به<sup>(١)</sup>، أي إن السوط كان إشارة إلى نصيب عذاب، ويقال شدته، لأن السوط كان عنده نهاية ما يعذب به<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر الفراء أن هذه كلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب، تُدخل فيه السوط جرى به الكلام والمثل<sup>(٣)</sup>، وهذا ما أكده أيضاً ابن كثير في قوله : ((انزل عليهم رجلاً من السماء، واحل بهم عقوبة لا يردّها عن القوم المجرمين))<sup>(٤)</sup>، وقد بين الزركشي معنى [الصب] بقوله : ((فالصب ينبي عن الدوام والسوط ينبي عن الايلام، فيكون المراد - والله اعلم - تعذيبهم عذاباً دائماً مؤلماً))<sup>(٥)</sup>. وكذلك افاض صاحب الظلال عندما قال ((انه تعبير يوحي بلذع العذاب حين يذكر السوط))<sup>(٦)</sup>.

وهكذا نلمس في هذه الآية انه ((استعير لفظ (السوط) للأدوات الربانية التي اهلك الله بها هؤلاء الأقوام، إذ شَبَّهَ إنزال العذاب عليهم بتتابع بحركة الصَّبِّ، وشَبَّهَتْ أدوات التعذيب الربانية بالسَّوط، وأضيف لفظ (سوط) إلى كلمة (عذاب) لبيان أن هلاكهم لم يكن مجرد إماتة لم تقترن بشعورهم بآلام العذاب النازل عليهم، بل كانت مقرونة بإذاقتهم عذاباً شديداً))<sup>(٧)</sup>.

نخلص من كل هذا أن السوط في المصطلح القرآني اصبح كناية عن جزء من نصيب العذاب الذي يعاقب به العصاة والاثمون، وهذه الأداة التي تنزل العذاب على الكافرين المارقين ويكثر كميته عليهم على قدر جرمهم الدنيوي.

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ٣١ / ١٦٩ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٠ / ٣٣-٣٤ ومعاني القرآن، الفراء : ٣ / ٢٦١ .

(٣) ينظر : معاني القرآن، الفراء : ٣ / ٢٦١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٦٦٤ .

(٥) البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٤٤٤ وينظر : الاتقان في علوم القرآن : ٣ / ١٥٦ .

(٦) في ظلال القرآن : ٣ / ٥٧٢ .

(٧) معارج التفكير ودقائق التدبر : ١ / ٥٢٩ .

١٢ . حرف الصاد

١٢ - ١ : الصَّحْفَةُ وَالصَّحِيفَةُ

للجذر (صحف) أصل صحيح واحد يدل على انبساط الشيء وسَعَةً. ومن الباب الصَّحْفَةُ : القصة المُسَلَّنِطحة، وقيل أيضاً : الصَّحَافُ مَنَاقِعُ صغار تتخذ للماء<sup>(١)</sup>، والصحفة أيضاً : ((تعني شبه القَصْعَة وجمعه صحاف))<sup>(٢)</sup>، وقيل أيضاً : ((الصحفة كالقصة والجمع صحاف،... واعظم القصاع الجفنة، ثم القصة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة، ثم المئكلة تشبع الرجلين والثلاثة، ثم الصَّحِيفَةُ تشبع الرجل))<sup>(٣)</sup>، وقيل الصحفة : ((أنيّة الطعام))<sup>(٤)</sup>، وقيل أيضاً : هو مكيال مغربي يساوي (٤٨) قادوساً في تنس وكل قادوس (٣) أمداد من امداد النبي (٤، ٥١ لتر))<sup>(٥)</sup>.

وقد وردت اللفظة بصيغة الجمع في موضع واحد من القرآن<sup>(٦)</sup>، في قوله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾<sup>(٧)</sup>، وقد ذهب القرطبي في معنى قوله تعالى إلى أن المؤمنين لهم في الجنة أطعمة واشربة يطاف بها عليهم في صحاف ذهب وأكواب ولم يذكر الأطعمة والاشربة، لأنه يعلم إنه لا معنى للاطافة بالصحاف والأكواب عليهم من غير أن يكون فيها شيء<sup>(٨)</sup>.

وقيل إن ذكر الصحاف التي هي من ذهب هو حصر لأنواع النعم لأنها أما مشتبهيات في القلوب أو مستلذة في العيون<sup>(٩)</sup>، وقد فسرها أيضاً ابن عاشور بان الصحاف ((إناء مستدير واسع الفم ينتهي أسفله بما يقارب التكوير))<sup>(١٠)</sup>. وفي الصحيحين عن حذيفة إنه سمع

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٣٣٤ .

(٢) العين : ٣ / ١٢٠ ، المفردات : ١ / ٤٠٦ ، المُعْرَب في ترتيب المعرب، ص ٢٦٣ .

(٣) الصحاح : ٤ / ١٣٨٤ وينظر : لسان العرب : ١ / ١٨٧ ، مادة (صحف)، الآلة والأداة، ص ١٨٧ .

(٤) المعجم الوسيط : ١ / ٥٠١ وينظر : المصطلحات العسكرية : ٢ / ٨٥٤ .

(٥) المكييل والأوزان الإسلامية، ص ٦٤ .

(٦) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٤٠٣ .

(٧) سورة الزخرف : من الآية ٧١ .

(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ٧٥ ، صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٦٢٧ .

(٩) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣ / ٦٠٩ .

(١٠) التحرير والتنوير : ٢٥ / ٢٥٤ .

النبي (ﷺ) يقول : ((لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في أنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة))<sup>(١)</sup>.

وقد قال المفسرون أيضاً : إن الاطافة بهذه الصحاف من الذهب على أذنهم في الجنة منزلة سبعون ألف غلام يحملون سبعين ألف صفحة من ذهب في كل واحدة منها لون ليس في صاحبته يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشابه بعضه بعضاً<sup>(٢)</sup>، وبهذا يظهر كمال التكريم وجماله الذي يحظى به المؤمنون في الجنة من وراء ذكر (الصحاف) التي هي من ذهب، ومنها ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ العيون كمالاً وجمالاً في التكريم بالخطاب من العلي الكريم : ﴿ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> ...<sup>(٥)</sup>

وبهذا يظهر لنا ظاهر السياق القرآني للفظه (صحاف) أنها أداة متمثلة بإناء أو وعاء كبير جداً يوضع فيه الطعام ويشبع الكثير من الناس إلا أن هذه اللفظة تنطوي على دلالة ضمنية في المصطلح القرآني كما بينها المفسرون، وكذلك كما هو واضح في سياق الآية القرآنية التي تليها : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا ﴾ جعلها بمنزلة مرتبة من مراتب التكريم للعباد الصالحين في الآخرة، هذا التكريم الذي تتقوى وظيفته ورتبة التكريم فيه حينما يصنع من الذهب، وهذا ما يخص التكريم والثواب فيصبح حصراً لزمرة المؤمنين الصالحين.

ومن الباب أيضاً الصحيفة : وهي التي يكتب فيها والجمع صحائف والصحف أيضاً<sup>(٦)</sup>، والصحف أيضاً ((جمع الصحيفة يُخَفَّفُ وَيُثَقَّلُ مِثْلَ سَفِينَةٍ وَسَفْنِ نَادِرَتَانِ، وقياسه صحائف وسفائن و صحيفة الوجّه : بشرة جلدّه))<sup>(٧)</sup>. والصحيفة تعني أيضاً ((الكتاب))<sup>(٨)</sup>، ومن هذا المصحف : ((ما جعل جامعاً للصحف المكتوبة، وقيل غير

(١) صحيح البخاري : البخاري، تحقيق : مصطفى ديب البغا (دار ابن كثير، بيروت : ١٩٨٧م) : ٥ /

٢٠٦٩ وصحيح مسلم : ٣ / ١٦٣٨ وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ٧٥ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ٧٥ .

(٣) سورة الزخرف : من الآية ٧١ .

(٤) سورة الزخرف : الآية ٧٢ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٥ / ٣٥١ .

(٦) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٣٣١ .

(٧) العين : ٣ / ١٢٠ .

(٨) الصحاح : ٤ / ١٣٨٤ .

العربية<sup>(١)</sup>، وقبل الفرق بين الصحيفة والدفتر، الدفتر لا يكون إلا أوراقا مجموعة والصحيفة تكون ورقة واحدة، نقول مثلاً: عندي صحيفة بيضاء، فإذا قلت صحف أفدت أنها مكتوبة<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت لفظة (صحف) في ثمانية مواضع من القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>، بوصفها أداة يكتب فيها تعاليم وأحكام شريعة من جهة، ومن جهة أخرى يكتب فيها أعمال الخلق من طاعة ومعصية فتتشر عليهم يوم البعث، وهذا متمثلاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾<sup>(٤)</sup>، فقد ذهب الطوسي إلى أن ((الصحف جمع صحيفة يكتب فيها أعمال الخلق من طاعة ومعصية فتتشر عليه ليقف كل إنسان على ما يستحقه))<sup>(٥)</sup>. وهذا أيضاً ما أشار إليه القرطبي بقوله: ((يقف كل إنسان على صحيفته، فيعلم ما فيها فيقول: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾<sup>(٦)</sup>، فإذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش، فتقع صحيفة المؤمن في يده ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾<sup>(٧)</sup> إلى قوله ﴿الْيَوْمِ الْخَالِيَةِ﴾<sup>(٨)</sup>، وتقع صحيفة الكافر في يده ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾<sup>(٩)</sup> إلى قوله ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾<sup>(١٠)</sup>)).<sup>(١١)</sup>

وهكذا يظهر لنا سياق الآية أن جميع أفعالنا مرصودة في الدنيا من الله سبحانه وتعالى وتسجيل تلك الأفعال (بصحائف) لا يمكن نكران ما فيها، وبهذا يوحى السياق بأنها أداة كشف ومعرفة لأعمال البشر الدنيوية وأفعالهم والتي توقفه على ما يستحقه من ثواب أو عقاب. هذا ما ذهب إليه سيد قطب في تفسيره للآية عندما قال: ((صحف الأعمال، ونشرها يفيد كشفها ومعرفتها، فلا تعود خافية ولا غامضة، وهذه العلنية اشد على النفوس وان هذا النشر والكشف لون من ألوان الهول في ذلك اليوم، كما إنه سمة من سمات الانقلاب حيث يكشف المخبوء ويظهر المستور، ويفتضح المكنون في الصدور))<sup>(١٢)</sup>، وفي الوقت نفسه تتحول لفظة

(١) معجم ألفاظ القرآن: ٥٨ / ٢ .

(٢) ينظر: الفروق في اللغة، ص ٢٨٧ .

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٤٠٣ .

(٤) سورة التكويد: الآية ١٠ .

(٥) التبيان: ١٠ / ٢٨٣ وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣ / ١٩٣١ .

(٦) سورة الكهف: من الآية ٤٩ .

(٧) سورة الحاقة: الآية ٢٢ .

(٨) سورة الحاقة: من الآية ٢٤ .

(٩) سورة الواقعة: الآية ٤٢ .

(١٠) سورة الواقعة: من الآية ٤٤ .

(١١) الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ٨٥٣ .

(١٢) في ظلال القرآن: ١٩ / ١٥٣ .

(الصحيفة) من أداة كشف ملأتها أعمالنا إلى سبيل من سبيل الهداية البشرية المتكاملة التي يكمل بعضها بعضاً بما فيها من إحالة إلى قصص الأمم الماضية والكتب التي نزلت على النبيين مع مخالفة بان صحف النبيين خُطت بوحى من الله سبحانه وتعالى، وكما في سياق الآية القرآنية ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾<sup>(١)</sup>، وقيل (رسول من الله) أي محمد (ﷺ) وهو بدل من البينة (يتلو) يقرأ عليهم (صحفاً) قراطيس (مطهرة) من الباطل (فيها) في الصحف (كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل<sup>(٢)</sup>، وقيل ان هذه الصحف من القرآن منزّهة عن الباطل والكفر والزور<sup>(٣)</sup>، إذا الصحف هنا تعني (القرآن) وهذا ما أشار إليه السيوطي حين قال : ((فقد جعل من معجزات هذا الكتاب إنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجم بحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه والآلات الدنيوية عن استيفائه))<sup>(٤)</sup>، ومثيل اللفظ في قوله تعالى : ﴿أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾<sup>(٥)</sup>.

وقد أشار النسفي إلى أن الصحف الأولى ((تعني الكتب المتقدمة يعني انهم اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي أم الكتاب وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها))<sup>(٦)</sup>، فعلى هذا الصحف الأولى هي كتب الأنبياء السابقين... الصحيفة : قطعة من ورق أو كاغد أو خرقة يكتب فيها، ولما كان الكتاب مجموع صحف أطلق الصحف على الكتب علماً وان جميعه حواه القرآن، فكان كل جزء من القرآن آية ودليلاً، وهذه البينة هي محمد (ﷺ) — وكتابه القرآن لأن الرسول موعود به في الكتب السالفة<sup>(٧)</sup>.

وبهذا نلمس بان الصحيفة التي هي إحدى أدوات العلم تبين معجزة الخالق الذي وهبها لإنسان لا يقرأ ولا يكتب، وأصبحت حجة في الدنيا، وتبين هذا في قوله تعالى : ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾<sup>(٨)</sup>، وقد أشار سيد قطب إلى قوله تعالى المعنى

(١) البينة : ٢ .

(٢) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣ / ١٩٨٦ .

(٣) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٨١٨ .

(٤) الإتيان في علوم القرآن : ٤ / ٣٦ .

(٥) سورة طه : من الآية ١٣٣ .

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣ / ١٩٨٦ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٤٤ - ٣٤٥، معارج التفكير ودقائق التدبير : ٨ / ٣٧٩ .

(٨) سورة المدثر : الآية ٥٢ .

الحسد للنبي (ﷺ) أن يختاره الله تعالى ويوحى إليه، والرغبة الملحة أن ينال كل منهم هذه المنزلة، وان يؤتى صحف تنشر على الناس وتعلن، واختار الله لها ذلك الإنسان الكريم العظيم، فكان الحنق الذي يغلي في الصدور والذي يكشف عن القرآن<sup>(١)</sup>.

وبهذا يصور لنا الإعجاز القرآني للآية ويبين ويرسم صور النفوس الضعيفة من الداخل بما ابتليت عليه من طمع وحسد كان حصيلتها الجود والأعراض، وكانت الصحف تردع ذلك الطمع الذي لا يستند إلى سبب من صلاح.

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٩ / ٣٧٢ .

١٢ - ٢ : الصواع

للجذر (صوع) أصل صحيح وله بابان : أحدهما يدل على تفرق وتصدع والآخر إناء... فأما الإناء فالصّاع والصّواع وهو إناء يشرب به، وقد يكون مكيال من المكييل صاعاً وهو من ذات الواو وسمي صاعاً لأنه يدور بالمكييل<sup>(١)</sup>.

والصّاعُ : ((مكيال يأخذ أربعة إمداد))<sup>(٢)</sup> وكذلك ((فهو مكيال معروف والجمع صيعان واصوع في أدنى عدد والصّوع مصدر صاعت المرأة لقطنها موضعاً لتندفه تصوعه صوعاً، والصاع أيضاً الموضع الذي يلعب فيه بالكرة))<sup>(٣)</sup>.

وقيل : الصواع يذكر ويؤنث واجتمعوا في التذكير بقوله تعالى : ﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلٌ بَعِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup>، واجتمعوا في التأنيث بقوله تعالى : ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾<sup>(٥)</sup>، وبعضهم قيل : بأنهم لا يروون التذكير والتأنيث اجتماعاً في اسم الصّواع وإنما اجتماعاً لأنه سمي باسمين : إحداهما مذكر والآخر مؤنث فالمذكر الصّواع والمؤنث السّقاية، وقد اختلف الناس في معنى الصّواع، فمنهم من قال : ((الصّواع جام كهيأة المكوك من فضة كانوا يشربون فيه في الجاهلية، وقال غيرهم : الصواع الطزجّهالة (بلغّة حمير : إناء يشبه الفجانة) وقال غيرهم أيضاً الصّواع : ((المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه وفيه أربع صّواع، وصّوع وصاع وصّوع))<sup>(٦)</sup>.

والصّواع : ((هو آلة الكيل وبمعنى المشربة أو الجام الذي يشرب فيه والمعبر عنه بالسّقاية))<sup>(٧)</sup>، ومن المجاز : ((الراعي يصّوع ابله ومنه : انصاع القوم إذا مروا سراعاً))<sup>(٨)</sup>، وقد اشار الكفوي إلى بيان قيمة الصاع بقوله ((كل صاع مُدّان وكل من رطلان كل رطل عشرون أستاراً وكل أستار ستة دراهم ونصف، فيكون كل صاع ألف وأربعين

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٣٢١ .

(٢) العين : ٢ / ١٩٩ وينظر : الصحاح : ٣ / ١٢٤٧، المكييل والأوزان الاسلامية، ص ٦٣ .

(٣) الجمهرة : ٣ / ٢٦٠ .

(٤) سورة يوسف : من الآية ٧٢ .

(٥) سورة يوسف : من الآية ٧٦ .

(٦) ينظر : المذكر والمؤنث : ١ / ٤٤١-٤٤٢، معجم المؤنثات السماعية العربية الدخيلة، ص ١٢٧، ١٢٩ وغريب القرآن، ٢٠٨ .

(٧) معجم الألفاظ والاعلام القرآنية : ٢ / ١٩ .

(٨) أساس البلاغة، ص ٣٦٤ وينظر : لسان العرب : ٨ / ٢١٤-٢١٥، مادة (سوع) .

درهماً<sup>(١)</sup>. وعلى ذلك فالصاع ثمانية ارطال عند اهل العراق وعند اهل الحجاز خمسة ارطال وثلاث<sup>(٢)</sup>.

وردت لفظة الصَوَاع في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>، بوصفها أداة في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعِ الْمَلِكِ ﴾<sup>(٤)</sup>، وهو السقاية المذكورة في الآية (٧٠) من سورة يوسف<sup>(٥)</sup>.

وقد ذهب القرطبي إلى أن ((السقاية والصواع شيء واحد، إناء له رأسان في وسطه مقبض، كان الملك يشرب منه من الرأس الواحد، ويكال الطعام من الرأس الآخر، واختلف في جنسه، قيل: كان صواع الملك شيء من فضة يشبه المكوك من فضة مرصع بالجواهر يجعل على الرأس، وكان للعباس واحد في الجاهلية...، وكان من ذهب، وبه كال طعامهم مبالغة في إكرامهم، وقيل: إنما كان يكال به لعزة الطعام))<sup>(٦)</sup>، ومعنى الآية عامة انه ضاع منا مكيال الملك المرصع بالجواهر<sup>(٧)</sup> والمعروف، إن اخوة يوسف (عليه السلام) اقبلوا على من يتهمونهم بالسرقة متسائلين: ماذا فقدتم؟ ولماذا تتهموننا؟ (قالوا نفقد صواع الملك...) أي إن الذين أعلنواهم بالسرقة قالوا لهم: لقد ضاعت سقاية الملك ويقال لها صواع، ومن سيخرجها من المكان المختفية به سوف ينال مكافأة قدرها وزن حملٍ بغير، فلعل صواع الملك قد خبئت في حملٍ أحدكم دون قصد، وأكد رئيس المنادين انه الضامن لمن يخرج صواع الملك، ويحضرها دون تفتيش أن ينال جائزته، وهي حملٍ بغير من الميرة والغذاء<sup>(٨)</sup>. وينكشف السر الالهي عن سبب تهمة يوسف لآخيه بالسرقة بقول الحمصي: ((ولكن القوم مستيقنون من براءتهم، فهم لم يسرقوا وما جاءوا ليسرقوا وليجتروا هذا الفساد الذي يخلخل الثقة والعلاقات في المجتمعات... وهنا ينكشف طرق التدبير الذي ألهمه الله ليوسف (عليه السلام)، فقد كان المتبع في دين يعقوب، أن يؤخذ السارق رهينة أو أسيرا أو رقيقاً في مقابل ما سرق،

(١) الكليات: ٩٧ / ٢ .

(٢) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب، ص ٢٧٤ .

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٤١٧ .

(٤) سورة يوسف: من الآية ٧٢ .

(٥) معجم ألفاظ القرآن: ٩٧ / ٢ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٥٠ / ٩ .

(٧) ينظر: صفوة التفسير: ٦٢ / ٢ .

(٨) ينظر: الشعراوي: ١١ / ٧٠٢٤-٧٠٢٥ .

ولما كان اخوة يوسف (عليه السلام) موقنين بالبراءة، فقد ارتضوا تحكيم شريعتهم فيمن يظهر انه سارق، ذلك ليتم تدبير الله ليوسف (عليه السلام) وأخيه<sup>(١)</sup>.

وكما هو معروف فإن الصواع آلة وأداة يوزن به ويحمل به ما يوزن من مكان إلى مكان آخر، فضلاً عن قيمته الشرعية الدقيقة، إلا أن دلالة الصواع في السياق القرآني للآية تلميح من طرف خفي إلى أن الله سبحانه وتعالى ألقى في روع يوسف (عليه السلام) أن تذر بحجة - آية حجة - تتهم الاخوة وتشعرهم بمعنى الظلم حينما يكون الإنسان بريئاً، وهذا يأتي ضمن سياق قوله تعالى : ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، والوجه الآخر الطرف الخفي الذي أراد يوسف (عليه السلام) أن يحققه، هو الوصول إلى براءته من تهمة حصر محبته الخالصة من أبيه له، والوصول إلى معرفة أخبار أبيه واللقاء به كي تتحقق المعجزة الإلهية الواردة في مطلع السورة : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) قصص الرحمن في ظلال القرآن : ٢ / ٢٨٢-٢٨٣ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٧٥ .

(٣) سورة يوسف : الآية ٤ .

للجذر (صور) كلمات كثيرة متباينة الأصول، ومما ينفاس منه قولهم صورَ يَصَوِّرُ إذا مال، وَصَرَّتْ الشيءَ أَصْوَرَهُ، وَأَصْرَتْهُ، إذا أَمَلْتَهُ اليك، ويجيء قياسه تَصَوَّرَ لِمَا ضُرِبَ، كأنه مال وسقط فهذا هو المنقاس، وسوى ذلك فكل كلمة منفردة بنفسها<sup>(١)</sup>. وقد ذكر ابن دريد ان الصُّور جمع صورة، وقال غيره الصور قرن ينفخ فيه لغة يمانية<sup>(٢)</sup> ويقال أيضاً الصور بالضم ((القرن ينفخ فيه، قلت يصح إطلاقه على كل ما ينفخ فيه للتصويت سواء كان قرناً أو غيره))<sup>(٣)</sup>، وقد ذكر ابن نايقا بأن : ((الصور عند أهل اللغة جمع صورة ينفخ منها روحها فتحيا، وجاء في التفسير : إن الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل (عليه السلام) والله اعلم))<sup>(٤)</sup>.

وردت لفظة (الصور) في عشرة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٥)</sup>، وقد التزم فيها كلها بكلمة النفخ في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾<sup>(٦)</sup>، فقد قيل : ((هو مثل قرن وينفخ فيه، فيجعل الله سبحانه تعالى ذلك سببا لعودة الصُّور والارواح إلى أجسامها))<sup>(٧)</sup>.

وقد ذهب الطوسي إلى أن النفخ يعني إخراج ريح الجوف من الفم، ومنه أيضاً : نفخ الزق والنفخ في البوق ونفخ الروح في البدن يشبه بذلك لانها تجري فيه كما يجري الريح مجرى الريح في الشيء، والصور أيضاً : قرن ينفخ فيه<sup>(٨)</sup>. وكذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾<sup>(٩)</sup>، وقد أشار الرازي إلى أن الله سبحانه تعالى ما ذكر أحوال البعث في القيامة إلا وقرر فيه اصلين : إحداهما : كونه قادراً على كل الممكنات، والثاني : كونه عالماً بكل المعلومات ... أما إذا ثبت بالدليل حصول هاتين الصفتين

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٣١٩-٣٢٠ .

(٢) ينظر : الجمهرة : ٢ / ٣٦٠ وينظر : معجم الألفاظ والاعلام القرآنية : ٢ / ١٩ .

(٣) الألة وأداة، ص ١٨٨ ودراسة ادبية لنصوص القرآن الكريم، ص ٢٥ .

(٤) الجمان في تشبيهات القرآن، لابن نايقا : ص ١٧٧ وينظر : من بديع لغة التنزيل : ص ٨٠-٨١، كلمات القرآن تفسير وبيان حسنين محمد مخلوف، تعليق : محمود شاكر (دار احياء التراث العربي ، د/م)، ص ٨٠ .

(٥) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٤١٦، معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٩٧ .

(٦) سورة النبأ : الآية ١٨ .

(٧) المفردات : ١ / ٤٢٧ وينظر : لسان العرب : ٤ / ٤٧٥-٤٧٦، مادة (صور) .

(٨) ينظر : التبيان : ١٠ / ٢٤٢-٢٤٣ .

(٩) سورة الأنعام : من الآية ٧٣ .

كما الغرض والمقصود، فقله : (وله الملك يوم يُنفخ في الصور) يدل على كمال القدرة<sup>(١)</sup>، إلا أن سيد قطب وضح معنى الصور هنا هو (القرن المجوف كالبوبق)، وفي هذا اليوم أي الحشر والذي يكون فيه البعث والنشر بكيفية غيبية لا يعلمها البشر فهي من غيب الله الذي احتفظ به، والصور كذلك غيب من ناحية ماهيته وحقيقته، ومن ناحية أخرى كيفية استجابة الموتى له، إلا أن الروايات المأثورة تقول أن البوق هو بوق من نور ينفخ فيه ملك، فيسمع من في القبور حيث يهون للنشور — وهذه هي النفخة الثانية — أما الأولى فيصعق لها من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، كما جاء في سياق قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>(٢)</sup>، وكل هذه الأوصاف للصور ولآثار النفخة فيه تعطينا — عن يقين — إنه على غير ما يمكن أن يكون البشر قد عهدوه في هذه الأرض أو تصوروه، وهو بعد كل هذا غيب من غيب الله نعلم عنه بقدر ما أعطانا الله ولا نتجاوز هذا القدر الذي لا أمان في تجاوزه ولا يقين، إنما هي الظنون<sup>(٣)</sup>. وهذا أيضاً ما أشار إليه ابن عاشور بقوله ((تقول : الروايات — النفخ في الصور — مَثَلٌ ضَرْبٍ لِلأمر التكويني بحياة الأموات الذي يُعمّ سائر الأموات، فيحيون به ويحضرون للحشر كما يحضر الجيش بنفخ الأبواق ودَقَّ الطبول))<sup>(٤)</sup>، ويقال أيضاً : ((إن الملك الموكَّل بالصور الذي يُنفخ فيه بأمر الله عز وجل هو إسرائيل (عليه السلام) وهو ينفخ فيه النفخة الأولى لقيام الساعة الأولى التي تموت بها الأحياء، والنفخة الثانية لقيام الساعة الثانية التي يُبعثُ بها الخلائق إلى الحياة مرّةً أخرى، لاستكمال الخطة الربّانية المقرر للحياتين، في الدنيا دار الابتلاء، وفي الآخرة دار السؤال والحساب وفصل القضاء وتنفيذ الجزاء))<sup>(٥)</sup>، وهذا ما هو مبين في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>، وقد أشار النسفي إلى أن هذه النفخة هي النفخة الثانية، والصور القرن أو جمع صورة<sup>(٧)</sup>، أي هي نفخة البعث عندما يبعثون من القبور ويخرجون مسرعين<sup>(٨)</sup>، وتصوير النفخ في الصور هو تشبيهه حسي مادي من واقع ما يعرفه الناس ويشاهدونه، وحقيقة ما هو صور وكيف يكون النفخ ذلك كما قلنا من عالم الغيب الذي

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٣ / ٣٤ .

(٢) سورة الزمر : من الآية ٦٨ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن : ٧ / ٢٨٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ٧ / ٣٠٨ .

(٥) معارج التفكير ودقائق التدبر : ١ / ٩٣ .

(٦) سورة يس : الآية ٥١ .

(٧) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣ / ١٤٤٤ .

(٨) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٥٦١ .

لا شأن للإنسان أن يبحث فيه، ويكفيها يقيناً أن يصدق به<sup>(١)</sup>، ونخلص من كل هذه التفاسير والتعليقات والإشارات إلى أن آلة (الصور) تعد شكلاً من أشكال التذكير الإلهي لعبيده لتخبرهم بأنه ليس هناك خلود في الأرض، فهو الباقي الوحيد والأمر الوحيد الذي تجتمع بين يديه كافة المخلوقات بعد النفخ في الصور.

---

(١) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن، ص ٣٥٤.

١٣ . حرف الطاء

١٣ - ١ : الطَّبِق - طَبِاق

للجذر (طبق) أصل صحيح واحد يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يُغَطِّيَهُ، من ذلك الطبق نقول : أطبقت الشيء على الشيء، فالأول طبق الثاني، وقد تطابَقَا. ومن هذا قولهم : أطبق الناس على كذا<sup>(١)</sup>. والطبق أيضاً : ((عظم رقيق يفصل بين الفقارتين. والطبق : جماعة من الجراد إنما شبه ذلك بطبق يغطي الأرض))<sup>(٢)</sup> والطبقُ : ((كل غطاء لازم))<sup>(٣)</sup>. وقال الجوهري ان الطَّبَق ((واحد الإطباق... ويقال أتانا طبق من الناس، وطَبَق من الجراد، أي جماعة ... وطباق الأرض ما علاها))<sup>(٤)</sup>. ونقول (وافق شئ طبقة) : غطاءه. ووضع الطَّبِق على الحُبِّ وهو متاعه. ومن المجاز : مطرٌ طبقُ الأرض - وجراد طَبِقُ البلاد : قد غَطَّاهَا وَجَلَّهَا بكثرتة وفي مثل [إحدى بنات طبق شرِك على رأسك] وهي الداهية واصلها الحية لأنها تُشبهه الطبق إذا استدارت أو لان الحواء يمسكها تحت طبق السَّقَط أو لإطباقها على الملسوع<sup>(٥)</sup>، والطبقُ : ((الذي يؤكل عليه والجمع إطباق وقول العباس في النبي محمد ﷺ) : إذا مضى عالم بدا طبقٌ ؛ فإنه أراد إذا مضى قرنٌ ظهر قرنٌ آخر، وإنما قيل للقرن طَبِقُ لأنهم طبق للأرض ثم ينقرضون ويأتي طبق للأرض آخر))<sup>(٦)</sup>.

وردت اللفظة وما اشتق منها في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٧)</sup>. ولكن ليس بدلالة الطبق الذي يؤكل فيه بل بمعنى مغاير كما سيتبين في سياق قوله تعالى : ﴿لَتَرَكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ﴾<sup>(٨)</sup>، والمعنى الذي ذهب اليه الطوسي بأنه قال : ((منزلة عن منزلة وطبقة عن طبقة، وذلك أن من كان على صلاح دعاه إلى صلاح فوقه. ومن كان على فساد دعاه

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٤٣٩ .

(٢) م. ن : ٣ / ٤٣٩-٤٤٠ .

(٣) العين : ٥ / ١٠٨ وينظر : تاج العروس : ٦ / ٤١٤-٤١٧ .

(٤) الصحاح : ٤ / ١٥١١-١٥١٢ .

(٥) ينظر : أساس البلاغة : ٣٨٣ ، الفارابي اللغوي، د . احمد مختار عمر، ص ٧٠ .

(٦) لسان العرب : ١ / ٢١٠-٢١١ مادة (طبق) .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٤٢٥ .

(٨) سورة الانشقاق : الآية ١٩ .

إلى فساد فوقه. لأن كل شيء يحن إلى شكله وقيل : معنى (طبقاً عن طبق) جزاء عن عمل<sup>(١)</sup>.

وقد أشار الرازي أيضاً إلى قوله تعالى ﴿ طبقاً على طبق ﴾ بقوله : ((أي حالاً بعد حال كل واحد مطابقة لأختها في الشدة والهول، ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات، والمعنى لتركن أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من أهوال القيامة))<sup>(٢)</sup>.

ولسيد قطب قول في ذلك وهو ((تعانون حالاً بعد حال وفق ما هو مرسوم لكم من تقديرات وأحوال ويعبر عن معاناة الأحوال المتعاقبة بركوبها، والتعبير بركوب الأمور والأخطار والأهوال والأحوال مألوف في التعبير العربي كقولهم : (إن المضطر يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه)، وكأن هذه الأحوال مطايا يركبها الناس واحدة بعد واحدة، وكل منها تمض بهم وفق مشيئة القدر الذي يقودها في طريق، فتنتهي بهم عند غاية تؤدي إلى رأس مرحلة جديدة، مقدره كذلك مرسومة كتقدير هذه الأحوال المتعاقبة على الكون من الشفق والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق، هكذا تنتهي بهم إلى لقاء ربهم، الذي تحَدَّتْ عنه الفقرة السابقة))<sup>(٣)</sup>، وهذا أيضاً ما أشار إليه الشيخ حسنين مخلوف بقوله : ((أي لتلاقن أيها الكفار أحوالاً بعد أحوال، وهي طبقات ومراتب في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة، والمراد بالركوب : الملاقاة. و (عن) بمعنى بَعْد، وهو في المعنى قسمٌ على صحة البعث وما وراءه من أهوال وشدائد))<sup>(٤)</sup>.

وقد وردت اللفظة أيضاً في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾<sup>(٥)</sup>، وقد أشار الرازي إلى دلالة معنى طباقاً في التنزيل العزيز مؤكداً فيها على ((دليل قدرة الله ودلالة هذه السموات على القدرة من وجوه أحدها : من حيث أنها بقيت في جو الهواء معلقة بلا عماد ولا سلسلة، وثانيها : من حيث أن كل واحد اختص بمقدار معين مع جواز ما هو أزيد منه وانقص وثالثها: انه اختص كل واحد منها بحركة خاصة مقدره بقدر معين من السرعة والبطء إلى

(١) التبيان : ١٠ / ٣١٣ .

(٢) مفاتيح الغيب : ٣١ / ١١٠ .

(٣) في ظلال القرآن : ٣٠ / ٥٢١ وينظر : تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٦٣٧-٦٣٨ .

(٤) صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٧٩٤ .

(٥) سورة الملك : الآية ٣ .

جهة معينة، ورابعها : كونها في ذواتها محدثة وكل ذلك يدل على استنادها إلى قادر تام القدرة<sup>(١)</sup>، ومثل اللفظ أيضاً في سورة نوح (عليه السلام) : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾<sup>(٢)</sup> ((أي بعضاً على بعض))<sup>(٣)</sup>.

---

(١) مفاتيح الغيب : ٣٠ / ٥٧ .

(٢) سورة نوح : الآية ١٥ .

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣ / ١٨٧٠ .

## ١٤ . حرف العين

١٤ - ١ : العرش

للجذر (عرش) أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك، من ذلك العرش : سرير الملك ... وهذا صحيح، قال الله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ ... ﴾<sup>(١)</sup>، ثم استعير ذلك فقيل لأمر الرجل وقوامه : عرش وإذا زال ذلك عنه قيل نلَّ عرشه، ومن الباب : تعريش الكرم لأنه رفعه والتوثق منه، والعريش : بناء من قضبان يُرفع ويوثق حتى يظلل. وقيل : للنبي (ﷺ) يوم بدر ((الآنبي لك عريشاً))، وكل بناء يستظل به عرش وعريش، ويقال لسقف البيت عرش قال تعالى : ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾<sup>(٢)</sup>...<sup>(٣)</sup>.

ومما جاء في العريش قول الخنساء :

إنَّ أبا حسان عرشٌ هوى      مما بنى الله بكنٍّ ظليلٍ<sup>(٤)</sup>

وقيل العرش : ((عرشة وأعراش))<sup>(٥)</sup>، وقد ذهب ابن سيدة الى ان العرش يطلق أيضاً على بيوت مكة لأنها عيدان تُنصب ويظلل عليها<sup>(٦)</sup>، والعرش ((شبه هودج للمرأة شبيهاً في الهيئة بعرش الكرم ... وسمي مجلس السلطان عرشاً اعتباراً بعلوه قال تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ ﴾<sup>(٧)</sup> وكذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٨)</sup> وكُنِيَ به عن العز والسلطان والمملكة وعرش الله: ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلا بالاسم وليس كما تذهب إليه أوهام العامة))<sup>(٩)</sup>، وقد تطور المعنى اللغوي للفظ

(١) سورة يوسف : من الآية ١٠٠ .

(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٥٩ .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة : ٤ / ٢٦٤-٢٦٥ .

(٤) شرح ديوان الخنساء، طبعة جديدة محققة (دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت : ١٩٦٨)، ص ١٢١ .

(٥) العين : ١ / ٢٥٠ .

(٦) ينظر : المخصص : ١ / ١٢٨، السفر الخامس، المغرب في ترتيب المعرب، ص ٣١٠ .

(٧) سورة يوسف : من الآية ١٠٠ .

(٨) سورة النمل : سورة ٣٨ .

(٩) المفردات، ص ٤٩٣ وينظر : أساس البلاغة، ص ٤١٤ .

- حتى صار للعرش - عدة معان عن طريق المجاز، فصاروا يسمون سرير الملك عرشاً، ثم صارت الكلمة تحمل الدلالات التي تتعلق بسرير الملك من قوة وعزة وسلطان<sup>(١)</sup>.

وأما ما ورد في الحديث : [اهتز العرش لموت سعد (ā)]<sup>(٢)</sup>، فإن العرش ههنا الجنازة وهو سرير الميت واهتزازه فرحه بحمل سعد عليه إلى مدفنه، وقيل هو عرش الله تعالى لأنه جاء في رواية أخرى : اهتز عرش الرحمن لموت سعد وهو كناية عن ارتياحه بروحه حين صعد به لكرامته على ربه، والعرش : المُلْك، والعرش : البيت والمنزل<sup>(٣)</sup>.

وقيل : ((عرشُ القوم : رئيسهم المدبِّرُ لأموارهم، وعرشُ الطائر : عشهُ جمع عروش واعرش))<sup>(٤)</sup>، وردت اللفظة وما اشتق منها في تسعة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم<sup>(٥)</sup>، وفي هذه المواضع حملت الكلمة ثلاثة معانٍ هي :

**الأول :** المعنى اللغوي الأساس، وعليه ورد قول الله عز وجل : ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

**الثاني :** المعنى بمعنى الملك والقوة والعزة، وسرير وهو معنى معروف في العصر الجاهلي وفيه قال عز وجل : ﴿وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾<sup>(٨)</sup>، وقال تعالى : ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٩)</sup>.

(١) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص ٤٥٢ .

(ā) سعد بن معاذ بن الأوس الأنصاري وكان من اعظم الناس بركة، وكان من كبار الصحابة في الاسلام، وشهد بدرأ وشهد احدأ والخندق التي استشهد فيها سنة ٥ هـ . ينظر : اسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير، تحقيق : محمد ابراهيم البنا وآخرون (مطبعة الشعب، القاهرة : ١٩٧٠م) : ٢ / ٣٧٣-٣٧٤ .

(٢) صحيح البخاري : ٣ / ١٣٨٤ وينظر : لسان العرب : ٦ / ٣١٣، مادة (عرش) .

(٣) لسان العرب : ٦ / ٣١٣-٣١٤، مادة (عرش) .

(٤) المعجم الوسيط : ٢ / ٥٩٩ .

(٥) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٤٥٦-٤٥٧ .

(٦) سورة الأعراف : من الآية ١٣٧ .

(٧) سورة النحل : الآية ٦٨ .

(٨) سورة يوسف : من الآية ١٠٠ .

(٩) سورة النمل : الآية ٢٣ .

**والمعنى الثالث :** هو نسبة العرش إلى الله عز وجل والحديث عنه كما لو كان شيئاً مجسماً وله جرم. وله مكان معلوم، ويفهم هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً ﴾<sup>(٣)</sup>...<sup>(٤)</sup>. وما يعيننا بعد كل هذا القول هو استخدام لفظة العرش في القرآن بوصفه أداة استخدمت استخداماً وظيفياً لتحقيق أمر (ما) وهذا ما جاء ضمن السياق القرآني في مواضع من القرآن الكريم. لان الله يخاطب الناس من واقع ما يتكلمون وما يتصورونه، في قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(٦)</sup>،

وقوله تعالى : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾<sup>(٧)</sup>، و ﴿ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ﴾<sup>(٨)</sup>، وفي جميعها تعني ((أمر من أمرين أما السرير أو الملك أو الملك نفسه))<sup>(٩)</sup> وهذا ما ذهب إليه الطوسي في قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ ﴾<sup>(١٠)</sup>، العرش هنا : ((هو السرير الرفيع لأنه عندما اخبر الله تعالى إن يوسف (عليه السلام) حين حضر عنده أبواه واخوته رفع أبويه على العرش، والرفع يعني النقل إلى جهة العلو، ومثله الإعلاء وضده الوضع واصل الرفع في قوله : ﴿ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا ﴾<sup>(١١)</sup>...<sup>(١٢)</sup>، أما النسفي فقد اوضح ذلك بقوله : ((لما دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستوياً على سرير، واجتمعوا إليه اكرم أبويه فرفعهما على السرير، وخرروا له يعني اخوته الاحد عشر والأبوين سجداً، وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكريم كالقيام والمصافحة... وخرروا لاجل يوسف (عليه السلام) سجداً لله شكراً وفيه نبوة

(١) سورة الزمر: من الآية ٧٥ .

(٢) سورة طه : الآية ٥ .

(٣) سورة الحاقة : الآية ١٧ .

(٤) التطور الدلالي، بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص ٤٥٣-٤٥٤ .

(٥) سورة يوسف : من الآية ١٠٠ .

(٦) سورة النمل : من الآية ٢٣ .

(٧) سورة النمل : من الآية ٣٨ .

(٨) سورة النمل : من الآية ٤٢ .

(٩) الجامع لاحكام القرآن : ٩ / ١٧٩ .

(١٠) سورة يوسف : من الآية ١٠٠ .

(١١) سورة البقرة : من الآية ٢٥٩ .

(١٢) التبيان : ٦ / ١٩٧ .

أيضاً، واختلف في استنبائهم (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها، أي الرؤيا (ربي حقا) (...))<sup>(١)</sup>.

وهذا أيضاً ما فسره الشعراوي في قوله تعالى ﴿ورفع أبويه على العرش ...﴾<sup>(٢)</sup>، فقال : (العرش هو سرير الملك الذي يدير منه الحاكم أمور الحكم وهم قد خروا سجداً لله من أجل جمع شمل العائلة)<sup>(٣)</sup>، هكذا نرى أن ورود لفظة - العرش - في هذه الآية توحى من طرف خفي إلى مشهد رائع بعد كر الأعوام وانقضاء الأيام وبعد اليأس والقنوط وبعد الشوق المضني يحقق الله المعجزة موصولة بمطلع القصة في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، ذلك في ضمير الغيب وهذا في واقع الحياة، ويوسف (عليه السلام) بين هذا وكله يذكر الله ولا ينساه<sup>(٥)</sup>، فلفظة العرش هنا تميظ اللثام عن حالة تكريمية أفاضها الله على نبيه يوسف (عليه السلام)، وهو يذكر رؤياه ويرى تأويلها بين يديه في سجود اخوته لهم، وقد رفع أبويه على السرير الذي يجلس عليه، وكذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى : ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشِهَا﴾<sup>(٧)</sup>، وقوله تعالى : ﴿أَهْكَذَا عَرْشُكَ﴾<sup>(٨)</sup>، علماً أن لفظة - العرش - في هذه الآيات معناه الظاهري تعني سرير الملك<sup>(٩)</sup>، وقيل : ((انه كان للملكة بلقيس من أسباب الدنيا ما يليق بحالها ومنه سرير عظيم كبير قيل كان ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً وطوله في الهواء ثمانون ذراعاً، وكان من ذهب وفضة وكان مرصعاً بأنواع الجواهر وقوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها إلى حال سليمان (عليه السلام)، فاستعظم عرشها لذلك وقد أخفى الله تعالى على سليمان (عليه السلام) ذلك لمصلحة يراها...، ووصف عرش بلقيس تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك))<sup>(١٠)</sup>.

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٢ / ٧٩٢ .

(٢) سورة يوسف : من الآية ١٠٠ .

(٣) الشعراوي : ١٢ / ٧٠٧٧ وينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٣١٦ .

(٤) سورة يوسف : الآية ٤ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ١٣ / ٤٧ .

(٦) سورة النمل : من الآية ٢٣ .

(٧) سورة النمل : من الآية ٣٨ .

(٨) سورة النمل : من الآية ٤٢ .

(٩) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٤٨٣ .

(١٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٢ / ١٦٢٦-١٦٢٧ .

وبهذا يظهر أن المعنى البعيد للفظة (العرش) يرجح أن يكون وسيلة لعرض مظاهر القوة الخارقة التي تؤيد النبي سليمان (عليه السلام) لتؤثر في قلب الملكة وتقودها إلى الإيمان بالله والإذعان لدعوته<sup>(١)</sup>.

وهكذا يوحي سياق اللفظة في هذه الآيات إلى القوة الإلهية العجيبة التي كان يملكها النبي سليمان (عليه السلام) وتسخير كل المخلوقات له والعمل بأمره، هذه القوة التي لا يملكها أي مخلوق مهما بلغ من الرفعة والملك، وهذا يؤكد بأنها معجزة الخالق يوهبها لأتباعه المكرمين ليعزز دعواتهم ويطوع قلوب الناس إليهم بما يرون منهم من معجزات يعجز أي مخلوق بالقيام بها، عندئذ يدركون بان هذه الخوارق لا تكون إلا بفعل خالق وقدرة الهية عظيمة في طاقتها العظمى والمدمرة لكل ما عداها.

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ١٩ / ٢٧٤.

للجذر (عرو - عري) اصلان صحيحان متباينان يدلُّ إحداهما على ثبات وملازمة وغشيان، والآخر يدل على خلو ومفارقة... ومن الباب العروة عروة الكوز ونحوه، والجمع عريّ : وعريتُ الشيء : اتخذت له عروة، وانما سميت العروة لأنها تمسك وتلزمها الإصبع<sup>(١)</sup>، قال الفراهيدي : ((والعروة من النبات ما تبقى له خضرة في الشتاء تتعلق بها الإبل حتى تدرك الربيع وهي العُلقة))<sup>(٢)</sup>، والعروة أيضاً من الشجر : ((الشيء الذي لا يزال باقياً في الأرض ولا يذهب، وجمعه عريّ، ويشبهه به البُنك<sup>(٣)</sup> من الناس، والعروة : الأسد وبه سمي الرجل عروة))<sup>(٤)</sup>، وكنى بها العباس بن عبد المطلب (ﷺ) ويقال : عراه بهم اعتراه أي أصابه (وعروت) الرجل أُنيتَه طالباً<sup>(٥)</sup>، وقد ذكر الزمخشري ان العروة والعروة تستعار لما يوثق به، ويُعوّل عليه فيقال للمال النفيس والفرس الكريم : لفلان عروة وللاّبل عروة من الكلاء وعلقة : لبقية تبقى منه بعد هيحّ النبات تتعلق بها لأنها عصمة لها تراغم إليها، وقد أُكل غيرها<sup>(٦)</sup>، وقيل : إن العروة الوثقى تعني العقدة المحكمة الوثاق<sup>(٧)</sup>.

وفي الحديث : ((لا تُشدُّ العُري إلا إلى ثلاثة مساجد))<sup>(٨)</sup>. هي جمع عروة يريد عري الأحمال والرواحل، وقيل : العروة الوثقى قول لا اله إلا الله، وقيل : معناه فقد عقد لنفسه من الدين عقداً وثيقاً لا تحلُّه حجة... ويقال أيضاً : الطوق القلادة : عروة<sup>(٩)</sup>.

وقد وردت لفظة العروة في موضعين من القرآن الكريم<sup>(١٠)</sup> في قوله تعالى : ﴿مَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾<sup>(١)</sup>، وقد ذهب الرازي

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٤ / ٢٩٥ .

(٢) العين : ٢ / ٢٣٥ .

(٣) البُنك : هو أصل الشيء .

(٤) الصحاح : ٦ / ٢٤٢٣ .

(٥) ينظر : المغرب في ترتيب المعرب، ص ٣١٣ .

(٦) ينظر : أساس البلاغة، ص ٤١٨، معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٢١٢ .

(٧) ينظر : معجم الألفاظ والاعلام القرآنية : ٢ / ٥٩ .

(٨) لسان العرب : ١٥ / ٤٥-٤٦ . وعند مراجعنا لتخريج الحديث وجدناه على النحو التالي (لا تُشدُّ الرحال

إلا إلى ثلاثة مساجد) ينظر : صحيح البخاري : ١ / ٤٠٠، صحيح مسلم : ٢ / ١٠١٤ .

(٩) لسان العرب : ١٥ / ٤٥-٤٦، مادة (عرا) وينظر : المعجم الوسيط : ٢ / ٦٠٣ .

(١٠) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٤٥٩ .

في تفسيره للآية فقال : ((انه من أراد إمساك شيء يتعلق بعروته، فكذا ههنا من أراد إمساك هذا الدين تعلق بالدلائل الدالة عليه لما كانت دلائل الإسلام أقوى الدلائل وأوضحها لا ضير من وصفها بـ (العروة الوثقى))<sup>(٢)</sup>.

والاستمساك بالعروة الوثقى تمثيلي (شبهت هياة المؤمن في ثباته على الإيمان بهياة من امسك بعروة وثقى من حبل وهو راكب على صعب أو في سفينة هول البحر، وهي هياة معقوله شبهت بهياة محسوسة)<sup>(٣)</sup>، وقد أطلقت لفظة العروة للدلالة على الثبات والملازمة سواء في الإيمان أو القرآن أو الاعتقاد أو السبب الموصل إلى رضا الله تعالى، وكما هو معلوم أن العروة من الدلو والكوز : مقبضه، ومن الثوب : مدخل زره، استعملت في المعاني المذكورة على سبيل التجوز<sup>(٤)</sup>، ومثيل اللفظة في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾<sup>(٥)</sup>، معنى القول انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالماً لله، أي خالصاً له، ومعناه راجع إلى أن سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا رفع إليه، والمراد التوكل عليه والتفويض إليه<sup>(٦)</sup>.

وقد ذهب سيد قطب إلى أن العروة الوثقى هنا : ((الصلة الوثيقة المطمئنة بين قلب المؤمن المسلم وربّه، وهي الطمأنينة إلى كل ما يأتي به قدر الله في رضى وثقة وفي قبول، طمأنينة تحفظ للنفس هدوءها وسكينتها، والعروة الوثقى هي عروة الإسلام لله والاستسلام والإحسان))<sup>(٧)</sup>، وقال حسنين مخلوف : ((شبه المتوكل على الله في جميع أموره، المحسن في أعماله بمن ترقى في جبل شاهق، أو تدلى منه فاستمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه))<sup>(٨)</sup>، فالعروة إذا أداة من أدوات الاتصال والثبات والتواصل، والإسلام بحد ذاته عروة قوية في جميع وجوهه، وبدون هذه العروة تتفكك وحدته وتختلف جماعته، فالعروة تدل على الوجه الصحيح المستقيم وهي مخالفة حتماً لما عداها من عرى في معانيها لاستخدامية<sup>(٩)</sup>.

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٥٦ .

(٢) مفاتيح الغيب : ١٧ / ٧ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٣ .

(٤) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٦٣ .

(٥) سورة لقمان : الآية ٢٢ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٥١ / ١٤ .

(٧) في ظلال القرآن : ٤٩٢ / ٢١ .

(٨) صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٥١٩ .

(٩) ينظر : القيم الجمالية في السور المكية، ص ١٢٧ .

١٤ - ٣ : العصا

للجذر (عصو) و (عصى) اصلان صحيحان إلا انهما متباينان يدل إحداهما على التَّجَمُّع، ويدل الآخر على الفُرْقَة، فالأول العصا، وسميت بذلك لاشتغال يد مُمَسِّكها عليها، ثم قيس ذلك فقبل للجماعة عَصَاً ويقال : العَصَا : جماعة الإسلام فمن خالفهم شقَّ عصا المسلمين ... والجمع من غير عددٍ عَصٌ وَعُصٌّ، ويقيسون على العصا فيقولون : عَصَيْتُ بِالسَّيْفِ<sup>(١)</sup>، وقد ذكر الفراهيدي ان العصا انثى فيقال عصا وعَصَوَان وعِصِيٌّ... وعصا يعصو لغة ... ونقول : عَصَى يَعِصِي عَصِيَاناً وَمَعْصِيَةً، والعاصي : اسم الفصيل خاصة إذا عصى أمه في اتباعها<sup>(٢)</sup> قال جرير :

تَصِفُ السِّوْفَ وَغَيْرَكُم يَعْصَبُ بِهَا يَا ابْنَ الْفَيَّوْنِ وَذَاكَ فِعْلُ الصَّيْقَلِ<sup>(٣)</sup>

ومن الباب : ((عَصَوْتُ الْجِرْحَ اعْصُوهُ، أي داويته وهو القياس لأنه يتلائم أي يتجمع... ومن الباب قوله (ﷺ) : ((لَا تَرْفَعِ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ))<sup>(٤)</sup>، لم يُردِ العصا التي يُضْرَبُ بِهَا ولكنه أراد الأدب، وقيل : أصل العصا الاجتماع والائتلاف وهذا يُصَحِّحُ ما قلناه في قياس هذا البناء، والأصل الآخر : العَصِيَانُ والمَعْصِيَةُ يقال : عَصَى وَهُوَ عَاصٍ : والجمع عَصَاةٌ وَعَاصُونَ))<sup>(٥)</sup>، وفي المثل : (العَصَا مِنَ الْعُصْيَةِ) أي بعض الأمر من بعض. وقيل : أول لحن سمع بالعراق : هذه عَصَاتِي))<sup>(٦)</sup>، وقيل : ((والعصا : اصله من الواو لقولهم في تنثيته عَصَوَانٌ ويقال في جمعه عِصِيٌّ))<sup>(٧)</sup> والعصا أيضاً : ((العود والعصا، مقصور : مصدر قولك عَصَى بِالسَّيْفِ يَعْصَبُ إِذَا ضَرَبَ بِهِ ... وروى عن بعض البصريين قال : سميت

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٤ / ٣٣٤، العصا في اللغة والادب، علي الجندي، مجلة مجمع اللغة العربية (مطبعة مصر، القاهرة : ١٩٧٠م) : ٢٦ / ٨٠-٨١ .

(٢) ينظر : العين : ٢ / ١٩٧-١٩٨ .

(٣) ديوان جرير، ص ٣٥٩ وينظر : مقاييس اللغة : ٤ / ٣٣٥ .

(٤) مقاييس اللغة : ٤ / ٣٣٥ . وعند مراجعتنا لتخريج الحديث وجدناه على النحو التالي (لا تضع عصاك عن اهلك) . ينظر : الاحاديث المختارة، محمد بن عبد الواحد الحنبلي، تحقيق : عبد الملك بن عبدالله بن

دهيش (د / م، مكة المكرمة : ١٩٨٩م) : ٨ / ٢٨٨ .

(٥) مقاييس اللغة : ٤ / ٣٣٥ .

(٦) الصحاح : ٦ / ٢٤٢٨ .

(٧) المفردات، ص ٥٠٤ .

العصا عصا لان اليد والأصابع تَجْتَمِعُ عليها مأخوذ من قول العرب : عَصَوْتُ الْقَوْمَ اعصوهم إذا جَمَعْتَهُمْ على خير أو شر<sup>(١)</sup>، ويقال أيضاً العصا : ((هي اللسان وعظم الساق))<sup>(٢)</sup>، وقيل : إن من المعنى الحسي العصا، وَمَنْ عَصَى فخرج عن الطاعة، فكأنه يتمنع بالعصا، وقد يكون من معنى الصلابة في العصا<sup>(٣)</sup> وقيل أيضاً : ((العصا : ما يتخذ من خشب وغيره للتوكؤ عليه أو الضرب به وجمعها عَصِي))<sup>(٤)</sup>.

وردت لفظة (العصا) في اثني عشر موضعاً من القرآن الكريم<sup>(٥)</sup>، أفراداً وجمعاً، واستخدامها في هذه المواضع كان لأمر ديني وبيان معجزة من معجزات الخالق، وليس كما تستخدم (العصا) في الدنيا لأغراض خدمية، وهذا ما سنلاحظه ضمن سياق قوله تعالى : ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾<sup>(٦)</sup>، وقد ذهب الزمخشري إلى أن سؤال الله لنبيه موسى (عليه السلام) عن العصا ((إنما سأله ليريه عظم ما اخترعه عز وجل في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة، وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه، وينبهه على قدرته الباهرة))<sup>(٧)</sup>.

كما أشار الرازي إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾\* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى<sup>(٨)</sup>، ويذكر الرازي في تفسيره للفظ أن قوله تعالى ﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ ﴾ لفظتان فقوله (وما تلك) إشارة إلى العصا، وقوله (بيمينك) إشارة إلى اليد، ومن هذا نكت (إحداها) انه سبحانه لما أشار إليهما جعل كل واحدة منها معجزاً وبرهاناً باهراً، ونقله من حد الجمادية إلى مقام الكرامة. فاذا صار الجماد بالنظر الواحد حيواناً، وصار الجسم الكثيف نورانياً لطيفاً ... (وثانيها) أن بالنظر الواحد صار الجماد ثعباناً يبتلع سحر السحرة، فأى عجب لو صار القلب بمدد النظر الالهي بحيث يبتلع

(١) لسان العرب : ١٥ / ٦٤ مادة (عصا) .

(٢) الكليات : ٢ / ٦٥٣ .

(٣) ينظر : معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٢٢٤ .

(٤) معجم الالفاظ والاعلام القرآنية : ٢ / ٦٥ .

(٥) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ٤٦٣ .

(٦) سورة طه : الآية ١٨ .

(٧) الكشف : ٣ / ٥٧ .

(٨) سورة طه : الآية ١٧، ١٨ .

سحر النفس الأمانة بالسوء. (وثالثها) كانت العصا في يمين موسى (ﷺ) فبسبب بركة يمينه انقلبت ثعباناً وبرهاناً<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فان مقصود السؤال من الله تعالى لموسى (ﷺ) تقرير الأمر حتى يقول موسى : هي عصاي، ليثبت الحجة عليه بعد ما اعترف وإلا فقد علم الله ما هي في الأزل ... وكان جواب السؤال بأكثر مما سئل ؛ لأنه لما قال : ﴿ وَمَا تَلَكَّ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾<sup>(٢)</sup>، ذكر معاني أربعة وهي : إضافة العصا إليه، وكان حقه أن يقول عصا والتوكؤ، والهش، والمآرب المطلقة، فذكر موسى (ﷺ) من منافع عصاه عظمتها وجمهورها واجمل سائر ذلك<sup>(٣)</sup>. ولسيد قطب أيضاً توجيه في ذلك فقال : ((السؤال إنما كان عما في يمينه ولكنه أدرك أن ليس عن ماهيتها يسأل فهي واضحة، إنما عن وظيفتها معه فأجاب... وذلك أقصى ما يعرفه موسى (ﷺ) عن تلك العصا.. أن يتوكأ عليها وان يضرب بها أوراق الشجر لتتساقط فتأكلها الغنم... وانه يستخدمها في أغراض أخرى من هذا القبيل أجملها ولم يعددها لان ما ذكره أنموذجاً منها، ولكن هاهي ذي القدرة القادرة تصنع بتلك العصا في يده ما لم يخطر له على بال، تمهيداً لتكليفه بالمهمة الكبرى في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى \* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى \* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾<sup>(٤)</sup>...<sup>(٥)</sup>.

وقيل : ((اسم العصا نبعة وقيل في المآرب : كانت ذات شعبتين ومحجن، فإذا طال الغصن حناه بالمحجن، وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه معلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها، وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيهما وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصله بها، وكان يقاتل بها السباع عن غنمه. وقيل : كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوأ، وتكونان شمعتين بالليل، وإذا ظهر عدو حاربت عنه، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت، وكان يحمل عليها زاده وسقاءه، فجعلت تماشيه، ويركزها فينبع الماء، فإذا رفع نضب، وكانت تقيه الهوام))<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٢ / ٢٤-٢٥ .

(٢) سورة طه : الآية ١٧ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١١ / ١٢٥ .

(٤) سورة طه : الآية ١٩، ٢٠، ٢١ .

(٥) في ظلال القرآن : ١٦ / ٤٦٨ - ٤٦٩ وينظر : قصص الرحمن في ظلال القرآن : ٣ / ٧٤ - ٧٥ .

(٦) الكشف : ٣ / ٥٨ وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١١ / ١٢٦ .

بعد كل هذه الصفات والمآرب والمعجزات التي تميزت بها عصا موسى (ﷺ) يظهر لنا السياق القرآني كيف أن هذه الخشبة تسعى وتتحرك وتدبّ وتصبح حيةً وتتحرك في خفية في قوله تعالى: ﴿فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾<sup>(١)</sup>، ونقع المعجزة ولم تعد عصا موسى التي صاحبها طويلاً، والتي يعرفها معرفة اليقين، إنها حية تدب في سرعة وتتحرك في خفة...<sup>(٢)</sup>، وبهذا يتبين أن الله جمع لموسى (ﷺ) في عصاه من البراهين العظام والآيات الجمة ما آمن به السحرة<sup>(٣)</sup>، وعندئذ يأتي النداء العلوي بقوله تعالى: ﴿قَالَ خذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾<sup>(٤)</sup>، وبعد كل هذا يتبين لنا أن لهذه العصا في القرآن الكريم صوراً مختلفة ففي موضع توصف بأنها حية تسعى كما هو مبين في سياق سورة طه الآية (٢٠)، وفي موضع آخر توصف بأنها: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ﴾<sup>(٥)</sup>، ومثيل اللفظ في سورة النمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا﴾<sup>(٦)</sup>، وفي موضع ثالث توصف بأنها ثعبان مبین، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٧)</sup>. كذلك بنفس اللفظة في سورة الأعراف: (١٠٧) ((وهذه الأوصاف المتغايرة على شيء واحد إنما اقتضتها داعية الحال يجيء الوصف مطابقاً لهذا المقتضى جارياً على حكمة يقع موقعه من الغرض الذي دعى له، ففي الموضع الأولى بدت العصا لموسى (ﷺ) حية تسعى وذلك قبل أن يلتقي فرعون بهذه المعجزة، وإنما كان ذلك أول اختبار للعصا التي في يده وقد دعاه الله سبحانه وتعالى أن يلقيها لتظهر له المعجزة والتي تضرها في كيانها، فظهرت تلك المعجزة ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾، وفي الموضع الثاني وهو امتحان شخصي أيضاً بين موسى (ﷺ) والعصا ليطمئن إليها ويعتاد المنظر المخيف الذي يطلع عليه منها في هذا الموضع تبدوا والعصا (كأنها جان)...<sup>(٨)</sup>)).

والنظر في الترتيب الزمني لنزول الآيات الكريمة والتي حملت أوصاف (العصا) يكشف لنا أعجاز كلام الله سبحانه وتعالى، وعمّا انطوى عليه من أسرار لا تنتهي... فتجربة العصا مع موسى (ﷺ) قبل أن يدخل بها على فرعون كانت تجربة المتحدي بتلك

(١) سورة طه : الآية ٢٠ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ٣ / ٧٥ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١١ / ١٢٦ .

(٤) سورة طه : الآية ٢١ .

(٥) سورة القصص : من الآية ٣١ .

(٦) من الآية : ١٠ .

(٧) سورة الأعراف : الآية ١٠٧ .

(٨) أعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة، ص ٢٩٥-٢٩٧ .

المعجزة<sup>(١)</sup>، وبهذه الأداة الهيبة – العصا – انتصر النبي موسى (ﷺ) بإرادة الله على السحرة واستخلص بني إسرائيل، وعبر بهم البحر ثم ذهب إلى ميعاد ربه على الطور<sup>(٢)</sup>.

وقد التمسنا ضمن سياق الآيات القرآنية المذكورة أنفاً بأن هذا العود البسيط المتمثل بـ (العصا) اذهل وابطل صنيع السحرة والجان، واصبح أداة برهان على انتصار الأنبياء الذين تنصرهم إرادة الله سبحانه وتعالى التي جعلت بطانة فرعون يؤمنون بعصا موسى (ﷺ)، لأنهم أيقنوا أن هذه الأداة تحركها إرادة أعلى من إرادة موسى (ﷺ) وليس عامل السحر المخادع المؤلف لديهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا ألمح إليه ابن تيمية عندما قال: ((انه يجب في آيات الأنبياء أن لا يعارضها من ليس نبي، فكل ما عارضها (صادراً) من ليس من جنس الأنبياء فليس من آياتهم، ولهذا طلب فرعون أن يعارض ما جاء به موسى لما ادعى انه ساحر، أي المدّعين هو فرعون: زعم إن ما جاء به موسى (ﷺ) سحر وانه (ﷺ) ساحر فجمع السحرة ليفعلوا ما يفعل موسى، فلا تبقى حجته مختصة بالنبوة وأمرهم موسى (ﷺ) أن يأتوا أولاً بخوارقهم فلما أتت وابتلعتها العصا التي صارت حية، علم السحرة أن هذا ليس من جنس مقدورهم فأمنوا إيماناً جازماً، ولما قال لهم فرعون: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾<sup>(٤)</sup>، فكان من تمام علمهم بالسحر أن السحر معتاد لامثالهم، وان هذا ليس من هذا الجنس، بل هو مختص بمثل هذا فدّل على صدق دعواه<sup>(٥)</sup>.

(١) أعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة، ص ٣٠٠ .

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن، ص ١٦٥ .

(٣) سورة الأعراف: الآية ١١٧ .

(٤) سورة طه: من الآية ٧١ .

(٥) النبوات، تقي الدين ابي العباس احمد بن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان (المجلس الاعلى

في الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة: ٢٠٠٠م)، ص ١٦٩-١٧١ .

للجذر (عمد) أصل كبير فروع كثيرة ترجع إلى معنى، وهو الاستقامة في الشيء منتصباً أو ممتداً، والعمود من الخشب أو حديد، والجمع أعمدة، ويكون ذلك في عمِد الخباء<sup>(١)</sup>. وقد ذكر ابن دريد قائلاً: ((والعمدُ ضد الخطأ عمدت للأمر إذا قصدته أعمده عمداً وعمدت الشيء أعمده عمداً إذا أسندته والشيء الذي يسند إليه عماد... وعمود الصبح ابتداء ضوءه، ورجل عميد سيد، يعتمد عليه))<sup>(٢)</sup>، وقال ابن منظور: ((ومنه العماد: الأبنية الرفيعة يذكر ويؤنث، الواحدة عمادة، ويقال أيضاً ان العمود يعني العصا))<sup>(٣)</sup>، ويقال: ((أنت عمدتنا أي الذي نَعْمُدُه لحوائجنا، ويقال: الزم عمُدتك أي قصدك وفلان معمود أي مقصود بالحوائج))<sup>(٤)</sup>.

وقيل ان ((من المعنى الحسي العمود والعماد، ما يقام عليه الخباء والجمع عمُد وعمَد، ومن المعنوي عمود الأمر: قوامه، والعماد الشريف الرفيع، والعمد: أن تكابد أمراً بجِدٍ ويقين وتعمده كعمد إليه))<sup>(٥)</sup>.

وردت اللفظة وما اشتق منها في سبعة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٦)</sup>، ففي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ...﴾<sup>(٧)</sup>، وكذلك اللفظ في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾<sup>(٨)</sup>، وقوله: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾<sup>(٩)</sup>، وقوله: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾<sup>(١٠)</sup>. وفي هذه الآيات نرى أن أداة (العمد) تمثل تارة مدى العذاب والمشقة والمصير المؤلم الذي يلاقيه الإنسان المذنب والعاصي لأوامر الله، وهذا يتمثل بقوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾<sup>(١١)</sup>. أي إن هذه العمد مغلقة مطبقة عليهم، وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنما دخلوا في عمد ثم مدّت عليهم تلك العمد بعماد، وقيل أيضاً:

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٤ / ١٣٧، معجم ألفاظ القرآن: ٢ / ٧٣.

(٢) ينظر: الجمهرة: ٢ / ٢٨٢، المخصص: ٢ / ١٢٩ (السفر الخامس).

(٣) لسان العرب: ٣ / ٣٠٣، مادة (عمد).

(٤) أساس البلاغة: ص ٤٣٤.

(٥) معجم ألفاظ القرآن: ٢ / ٢٤٧ وينظر: لسان العرب: ٣ / ٣٠٢-٣٠٦، مادة (عمد).

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٤٨٢.

(٧) سورة الرعد: من الآية ٢.

(٨) سورة لقمان: من الآية ١٠.

(٩) سورة الهمزة: الآية ٩.

(١٠) سورة الفجر: الآية ٧.

(١١) سورة الهمزة: الآية ٩.

أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد وفي أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب، وقيل : هي عمد يضربون بها، وهكذا اختلف أهل التأويل في معنى الآية، إلا أن أولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : معناه انهم يضربون بعمدٍ في النار — والله اعلم<sup>(١)</sup>.

وقد أشار الرازي إلى أن في الآية وجهين : (أولهما)، أنها عمد أغلقت بها تلك الأبواب وفي بمعنى الباء أي أنها عليهم مؤصدة بعمد مدت عليها، ولم يقل بعمد والسبب لكثرتها (القول الثاني) أن يكون المعنى ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّصَدَّةٌ﴾ حال كونهم موثقين ﴿فِي عَمَدٍ مُّمدَّةٍ﴾ مثل المقاطر التي تقطر فيها للصوص<sup>(٢)</sup>. وقد ذهب أيضاً سيد قطب في وصفه لحال الإنسان في هذه النار فقال : ((إن هذه النار مغلقة عليه، لا ينقذه أحد، ولا يسأل عنه فيها أحد! وهو موثق فيها إلى عمود كما توثق البهائم بلا احترام!))<sup>(٣)</sup> وقد أوضح الفراهيدي قوله تعالى : ﴿فِي عَمَدٍ مُّمدَّةٍ﴾<sup>(٤)</sup>، قائلاً : ((أي في شبه أخبية من نار ممدودة، ويقرأ في عُمَد لغة وهما جماعة عمود، ... ويقال هي أوتاد أطباق تطبق على أهل النار ولا يدخل جهنم بعد ذلك ريح ولا يخرج منها تنفس))<sup>(٥)</sup>، وكل هذا هو تمثيل تقريب لشدة العذاب بما هو متعارف في أحوال الناس، وحال جهنم اشد مما يبلغه تصور العقول المعتاد<sup>(٦)</sup>، فأداة — العمد — في هذه الآية تمثل أداة تعذيب حركية تدركها الجوارح والحواس لكن سياقها القرآني يوحي بالتعبير عن التهديد بالعذاب لما سيحل بالمذنبين والعاصين لأوامر الله وتصور وتمثل مدى هذا العذاب والمشقة ومأساوية المصير المؤلم والذي بدوره يخيف الإنسان ويجعله يتصور مصيره فيتجنبه، وتارة أخرى نجد أن أداة (العمد) تتحول من تصور المخيف في مخيلة الخلق إلى تصور اعتباري إعجازي لا تدركه الحواس والجوارح، كما في سياق قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾<sup>(٧)</sup>، وفي هذه الآية ((ما يدل على وحدانية الله وكونه على صفات لا يشاركه فيها أحد من المخلوقين لأنه قال تعالى هو الذي

(١) ينظر : التبيان : ٣٠ / ٥٤١ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب : ٣٢ / ٩٥ .

(٣) في ظلال القرآن : ٣٠ / ٦٦٣ .

(٤) سورة الهمزة : الآية ٩ .

(٥) العين : ٢ / ٥٧ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٠ / ٥٤١ .

(٧) سورة الرعد : من الآية ٢ .

رفع السماوات بغير عمد ترونها و (عمد) جمع عمود يقال هذا الجمع قليل والعمود السارية من ضمنه التعميد والاعتماد<sup>(١)</sup>.

وهذا أيضاً ما أشار إليه الرازي عندما قال : ((إن هذه الأجسام العظيمة بقيت واقفة في الجو العالي بغير عمد، لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام ليكون حجة على وجود الآله القادر... وقال ان العماد ما يعتمد عليه وقد دللنا على أن هذه الأجسام إنما بقيت واقفة في الجو العالي بقدره الله تعالى، وحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله تعالى، فنتج عن هذا أن يقال انه رفع السماء بغير عمد ترونها أي لها عمد في الحقيقة، إلا أن تلك العمدة هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدييره وابقاؤه إياها في الجو العالي، والكل لا يرى ذلك التدبير ولا يعرف كيفية ذلك الإمساك<sup>(٢)</sup>، ومثيل ذلك اللفظ : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾<sup>(٣)</sup>، أي كَوْنٍ وَسَوَى تعالى السموات من اجزائها بعمد لا ترى أصلاً بطبيعتها (أي غير مادية) والمعنى أي بغير دعائم أو عمد وهي ما يعتمد به أي يسند به البناء<sup>(٤)</sup>.

ونخلص من ذلك أن الله تعالى خلق السماء ورفعها من غير حاجة إلى أساس ولا عمد ولا قواعد... وهذا دليلٌ دامغٌ حتى يعتبر الناس والخلق ويعرفوا قدرة الله تعالى التي تتحدى حدود تصورنا، هذه القدرة والقوة التي تمدنا بين الحين والحين بجزء يسير من علمه — أي علم الله — الشامل لكل شيء والمحيط بحركة المخلوقات والتي تعجز عقولنا عن إدراكه مهما بلغنا من علم أو معرفة.

(١) التبيان : ٢ / ٢١٣ .

(٢) مفاتيح الغيب : ١٨ / ٢٣٧، الشعراوي : ١٢ / ٧١٦٠-٧١٦١ .

(٣) سورة لقمان : من الآية ١٠ .

(٤) ينظر : التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، ص ٢٣٨-٢٣٩ .

١٥ . حرف الفاء

١٥ - ١ : الفتيل

للجذر (فتل) أصل صحيح يدل على ليّ شيء من ذلك : فَتَلْتُ الحبل وغيره. والفتيل : ما يكون في شقّ النواة كأنه قد فُتِل، ويقال : بل الفتيل ما يُفْتَل بين الإصبعين<sup>(١)</sup> وقيل أيضاً الفتيل ((القشرة في النواة، ويقال هو ما فتلته باصبعيك من وسخ اليد وعروقتها))<sup>(٢)</sup> وقد ذكر الجوهري ان الفتيلة تعني الذبالة، وقلنا وذبال مُفْتَل ما شدد للكثرة<sup>(٣)</sup>، وقيل أيضاً : ((إن الفتيلة في بعض اللغات هو لسان السراج يعني ما رَقَّ واستطال))<sup>(٤)</sup>، وقد أشار ابن منظور إلى ان الفتيل حبل دقيق من خزم أو ليف أو عرق أو قد يُشدُّ على العنان<sup>(٥)</sup>.

الا ان الزمخشري قال : ((ومن المجاز : الرجل مفتول الساعد كأنه فُتِل فتلاً لقوته، ونقول ناقة فتلاء الذراعين، وفي ذراعها فتلٌ وهو تباعدها عن الجنبين كأنهما فتلا عنها، وما يُغني عنك فتيلاً وفتلةً وفتلةً، وجاء فلان وقد فُتِلت ذؤابته أي خُدع وصُرِف عن رأيه، وفتلته عن حاجته : صرفته فانفتل وانفتل من الصلاة))<sup>(٦)</sup>

وردت لفظة (فتيل) في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٧)</sup>، في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾<sup>(٨)</sup>، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ مَنَاعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾<sup>(٩)</sup>، وقوله تعالى في نفس السورة : ﴿ بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾<sup>(١٠)</sup>، وورودها في المواضع الثلاثة تمثيل للشيء الضئيل القليل، فعلى سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾<sup>(١١)</sup>، فقد فسر الطوسي معنى الآية بقوله : ((لا يبخص أحد حقه ولا يظلم شيئاً سواء كان مستحقاً للثواب والعقاب، فان المستحق للثواب لا يبخص منه شيئاً

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٤ / ٤٧٢، مجمل اللغة : ٤ / ٧٧ .

(٢) تفسير غريب القرآن، ص ١٢٩ وينظر : معاني القرآن، الفراء : ١ / ٢٧٣ .

(٣) ينظر : الصحاح : ٥ / ١٧٨٨ .

(٤) المخصص : ٣ / ٣٩، السفر الحادي عشر

(٥) ينظر : لسان العرب : ١١ / ٥١٤ مادة (فتل) .

(٦) أساس البلاغة، ص ٤٦٣ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٥١١ .

(٨) سورة النساء : من الآية ٤٩ .

(٩) سورة النساء : من الآية ٧٧ .

(١٠) سورة النساء : من الآية ٤٩ .

(١١) سورة الاسراء : من الآية ٧١ .

والمستحق للعقاب لا يفعل به أكثر من استحقاقه، فيكون ظملاً له<sup>(١)</sup>، وقيل أن الفتييل : ((الخبيط الذي في شق نواة التمرة، وقيل : القشرة التي حول النواة بينها وبين البُسرة، وقيل أيضاً : هو ما يخرج بين إصبعيك أو كفيك من الوسخ إذا فتلتها، فهو فعيل بمعنى مفعول، وهذا كله يرجع إلى كناية عن تحقيق الشيء وتصغيره، وإن الله لا يظلمه شيئاً<sup>(٢)</sup>))، وذكر الشعراوي أن الله سبحانه وتعالى يضرب الأمثال في القرآن بالمألوف عند العرب وفي بيئتهم، ومن مألوفات العرب، التمر، وهو غذاؤهم المفضل والعكف لماشييتهم، ومن التمر اخذ القرآن النقيير والقطمير والفتيل، وهي ثلاثة أشياء تجدها في نواة التمرة، وقد استخدمها القرآن في تمثيل الشيء الضئيل القليل... ومعنى القول : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾<sup>(٣)</sup>، أي : إنه سبحانه وتعالى لا يظلم الناس أبداً، فهو سبحانه وتعالى مُنزَه عن الظلم مهما تناهى في الصَّغَر<sup>(٤)</sup>، وكذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾<sup>(٥)</sup>، وقيل أن ((دعوة اليهود انهم شعب الله المختار... وقد اختارهم الله فعلاً لحمل الأمانة وأداء الرسالة، وفضلهم على العالمين في ذلك الأوان، واهلك لهم فرعون وملأه، وأورثهم الأرض المقدسة ولكنهم بعد كل هذا انحرفوا بعد ذلك عن منهج الله وعتوا في الأرض عتواً كبيراً... وظلوا يزعمون انهم أبناء الله وأحباؤه، وإن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، وإنه لا يهتدي ولا يقبل عند الله إلا من كان هوداً! كأنَّ المسألة مسألة قرابة ونسب ومحاباة بينهم وبين الله تعالى... فالله لا تصل بينه وبين أحد من خلقه قرابة ولا نسب، إنما تربط عباده به العقيدة المستقيمة والعمل الصالح والاستقامة على منهج الله... إذا ليس الناس هم الذين يزكون أنفسهم، ويشهدون لها بالصلاح والقرب من الله، إنما هو الذي يزكي من يشاء منهم اعلم بالقلوب والأعمال ولن يظلم الناس شيئاً، إذا هم تركوا هذا التقدير لله سبحانه وتعالى واتجهوا إلى العمل لا إلى الادعاء<sup>(٦)</sup>)) ومما هو ملاحظ أن في الكلام جملة مطوية، أي يعاقبون على تلك التزكية الكاذبة عقاباً عادلاً، ولا يظلمون فيه أدنى ظلم واصغره<sup>(٧)</sup>.

(١) التبيان : ٥٠٤ / ٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٦٠ / ٥ وينظر : صفوة التفاسير : ١٧٠ / ٢، في ظلال القرآن : ٥ / ٣٩٩ .

(٣) سورة النساء : الآية ٤٩ .

(٤) ينظر : الشعراوي : ١٤ / ٨٦٨٣-٨٦٨٤ .

(٥) سورة الإسراء : الآية ٧١ .

(٦) في ظلال القرآن : ٥ / ٣٩٩ .

(٧) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن : ١١٨ .

ونخلص من ذلك أن لفظة (فتيل) التي لا تثير انتباهنا في شق النواة لأنها شيء صغير جداً يتحول في أذهاننا داخل السياق القرآني للآيات المذكورة آنفاً إلى أن الله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة في حياتنا حتى ولو كانت بمقدار هذا الفتيل (فالفتيل) عند الله تصوير للشيء الحقيق الصغير جداً، ولكنه أصبح أداة في نيل المستحقات سواء أكانت عقابية على أفعال السوء أم كانت ثوابية على أفعال الخير.

للجذر (فرش) أصل صحيح يدل على تمهيد الشيء وبسطه يقال : فرشت الفراش فرشته، والفَرش مصدر والفَرش المفروش أيضاً : وسائر كلم الباب يرجع إلى هذا المعنى<sup>(١)</sup>.

وقيل : ((فراش اللسان : لحمته تحته، وفراش الرأس، طرائق من القحف وفراش القاع والطين : ما يبس بعد نُضوب الماء من الطين على وجه الأرض))<sup>(٢)</sup>، وللفرش معانٍ أخرى منها : ((المفروش من متاع البيت، والزرع إذا فرش والفضاء الواسع، وصغار الإبل))<sup>(٣)</sup>، وقال ابن سيده : ((الفراش : ما افترشته، والجمع أفرشة وفروش وان شئت خففت وهي لغة بني تميم))<sup>(٤)</sup>، ومن المجاز : ((فلان مُفَرَّش للناس : يفرش لهم نفسه براً بهم، وفرش الطائر وتفرش : رفر على الشيء باسطاً جناحيه ولم يقع، وفرش الزرع : انبسط ... وافترش لسانه : يتكلم كيف يشاء، وافرش صاحبه : اغتابه))<sup>(٥)</sup>، وقد ذهب الراغب الاصبهاني انه كنى بالفراش عن كل واحد من الزوجين كما قال الرسول (ﷺ) : ((الولد للفراش))<sup>(٦)</sup>، وفلان كريم المفارش - أي النساء<sup>(٧)</sup>، غير ان ابن منظور قال : ان الفراش يطلق أيضاً على البيت وعلى عش الطائر كذلك<sup>(٨)</sup>، ولفظة (فرش) في القرآن الكريم جاءت على أربعة أوجه هي :

**الوجه الأول :** الفراش - بكسر الفاء - البساط في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾<sup>(٩)</sup>، يعني بساطاً ونحوه.

**الوجه الثاني :** الفراش - بنصب الفاء - الصغار من الجراد قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾<sup>(١٠)</sup>، وهو طائر ليس بذباب ولا بعوض.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٤ / ٤٨٦ .

(٢) العين : ٦ / ٢٥٥ .

(٣) الصحاح : ٣ / ١٠١٤ .

(٤) المخصص : ١ / ٧٣ (السفر الرابع) وينظر : معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٣٢٢ .

(٥) أساس البلاغة، ص ٤٦٩ .

(٦) صحيح البخاري : ١٢ / ٤٤ وصحيح مسلم : ٥ / ٢٠٦٢ وينظر : المفردات، ص ٥٦٥ .

(٧) المفردات، ص ٥٦٥ وينظر : المغرب في ترتيب المغرب، ص ٣٥٦ .

(٨) ينظر : لسان العرب : ٦ / ٣٢٧ مادة (فرش)، المعجم الوسيط : ٢ / ٦٨٨، المصطلحات العسكرية : ٢ / ٥٧٠ .

(٩) سورة البقرة : من الآية ٢٢ .

(١٠) سورة القارعة : الآية ٤ .

**الوجه الثالث :** الفُرْش (الدرجات) قوله تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

**الوجه الرابع :** الفُرْش والفراش الغنم وقيل الإبل التي لا تطبق الحمل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾<sup>(٢)</sup> ...<sup>(٣)</sup>.

وذكر (الفراش) في سياق قوله تعالى : ﴿ مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّانِهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾<sup>(٤)</sup>. وخرج إلى أمر معنوي هو أن الاتكاء من الهيئات الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب فالمتكئ تكون أمور جسمه على ما ينبغي وأحوال قلبه على ما ينبغي، لأن العليل يضطجع ولا يستلقي أو يستند إلى شيء على حسب ما يقدر للاستراحة<sup>(٥)</sup>.

وأشار ابن عاشور إلى أن الفرّاش هنا ((اصلها ما يفرش أي ما يبسط على الأرض للنوم الاضطجاع ثم أطلق الفرّاش على السرير المرتفع على الأرض لأنه يوضع عليه ما شأنه أن يفرش على الأرض تسمية باسم ما جعل فيه... والمُعبر عنه في هذه الآية واحد يدل على أن المراد بالفُرْش السرر التي عليها الفرش))<sup>(٦)</sup>، وكذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾<sup>(٧)</sup>، ومعنى الفرّاش في سياق الآية الكريمة ((إن الله جعل الأرض فراشا أي كالفرّاش في التمكن من الاستقرار والاضطجاع عليها، وهو أخص أحوال الاستقرار والمعنى : انه جعلها متوسطة بين شدة الصخور بحيث تؤلم جسم الإنسان وبين رخاوة الحمأ بحيث يتزحزح الكائن فوقها ويسوح فيها وتلك منة عظيمة))<sup>(٨)</sup>، وعلى ذلك فالارض صيرها الله لاجلكم مهاداً، كالبساط المفروش، فذلّها لكم، ولم يجعلها خزنة غليظة، لا مكان للاستقرار عليها،... وهذا لا ينافي كرويتها في الجملة ؛ لان الكرة إذا اعظمت كانت قطعة منها كالسطح في افتراشه<sup>(٩)</sup>، وقيل هذا من باب الطباق المعنوي لما كان البناء رفعاً للمبنى قوبل بالفرّاش الذي هو خلاف البناء<sup>(١٠)</sup>.

(١) سورة الواقعة : الآية ٣٤ .

(٢) سورة الأنعام : من الآية ١٤٢ .

(٣) قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر :، ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(٤) سورة الرحمن : الآية ٥٤ .

(٥) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٩ / ١٢٨ .

(٦) التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٦٧ .

(٧) سورة البقرة : من الآية ٢٢ .

(٨) التحرير والتنوير : ١ / ٣٣١ وينظر : الاساس في التفسير : ١ / ٩٥ .

(٩) ينظر : صفوة البيان لمعان القرآن، ص ٩ .

(١٠) ينظر : الإتيان في علوم القرآن : ٣ / ٢٢٦ .

إذا صور لنا السياق القرآني لفظة الفراش بأنها إشارة إلى اليسر والراحة التي وفرها الله سبحانه وتعالى لعباده في الدنيا والآخرة، وهذا ما أشار إليه سيد قطب حين قال : ((بأنه قد يسر الله سبحانه وتعالى حياة البشر على هذه الأرض لتكون لهم سكناً مريحاً وملجأً وقيماً كالفراش))<sup>(١)</sup>، وكلما تذكر لفظة ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾<sup>(٢)</sup>، في المصطلح القرآني يستدعي في أذهاننا الموعودين بالنعيم أصحاب اليمين، تصوّر من يَكُن عليها من الحور العين، الْمُخَصَّاتِ لَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، بحسب درجة كل منهم وبناءً على حدوث هذا التصوّر في أذهانهم، جاء وصفهنّ هنا في النص دون سابق ذكر لهن إلا برمز عبارة : ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾<sup>(٣)</sup>...<sup>(٤)</sup>، وبهذا يكون - الفرش - إحدى أدوات التكريم الإلهي والتعظيم ووصف النعيم الذي يناله أصحاب اليمين جزاء أعمالهم الحسنة وتمسكهم بدين الله وتعاليمه الفاضلة ليحفظوا بهذا الترف الإلهي غير المعهود في الدنيا رغم تصورنا الظاهري للفرش التي تُبسط على الأسرة إلا انها فرش وحشايا لينة مرفوعة على مواضعها من الأسرة النفيسة التي لا علم لنا بها لأنها في ملكوت الرحمن والذي لا يعلمه سواه، ولا نتصورها إلا في سياق قوله تعالى : ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) في ظلال القرآن : ١ / ٥١ .

(٢) سورة الواقعة : الآية ٣٤ .

(٣) سورة الواقعة : الآية ٣٤ .

(٤) ينظر : معارج التفكير ودقائق التدبير : ٨ / ٤٦١ .

(٥) سورة الرحمن : الآية ٥٤ .

للجذر (فلك) أصل صحيح يدل على استدارة في شيء ذلك فلكه المغزل بفتح الفاء، سميت لاستدارتها، ولذلك قيل فلكٌ ثدي المرأة إذا استدار، ومن هذا القياس فلك السماء ... والفلك قطع من الأرض مستديرة مرتفعة عما حولها، وأما السفينة فتسمى فلكاً ويقال أن الواحد والجمع في هذا الاسم ولعلها تسمى فلكاً لأنها تدار في الماء<sup>(١)</sup>، وقيل ان الفلك تقع على واحد وعلى الجميع، وهي السفينة والسفن والعرب تفعل ذلك قالوا : هي الطرفاء وهذه الطرفاء<sup>(٢)</sup> والفلك : ((السفينة يذكر ويؤنث))<sup>(٣)</sup>، وقيل : ((من ذكر الفلك ذهب إلى معنى المركب ومن أنث ذهب إلى معنى السفينة، ومن جمع ذهب إلى معنى السفن))<sup>(٤)</sup>، إذا الفلك : ((واحد وجمع ومؤنث ومذكر والفلك : السفن واحدها فلكٌ وجمعها فلكٌ))<sup>(٥)</sup>، وقال الله تعالى في التوحيد والتذكير : ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾<sup>(٦)</sup>، فَذَكَرَ الْفُلَّكُ وجاء به موحداً، ويجوز ان يؤنث واحده كقوله تعالى : ﴿جَاءتَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾<sup>(٧)</sup>، فقال : ﴿وَتَرَى الْفُلَّكَ فِيهِ مَوَآخِرٌ﴾<sup>(٨)</sup>، فجمع ... ويحتمل أن يكون واحداً وجمعاً قال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجْرَيْنَ بِهِمْ﴾<sup>(٩)</sup>، فجمع وأنث فكأنه يذهب بها إذ كانت واحدة إلى المركب فيذكر والى السفينة فيؤنث<sup>(١٠)</sup>.

وردت لفظة - الفلك - في ثلاثة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم<sup>(١١)</sup> وبوصفها آلة التنقل عبر البحار من جهة ومن جهة أخرى أيضاً تعدّ وسيلة من وسائل النجاة لحفظ بذور الحياة ففي قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْفُلَّكَ فِيهِ مَوَآخِرٌ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(١٢)</sup>، فقد ذكر الزمخشري واصفاً الفلك ((في كل (مواخر) شواق للماء يجريها، يقال : مخرت

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٤ / ٤٥٢-٤٥٣، أساس البلاغة، ص ٤٨١، معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٣٤٦.

(٢) ينظر : مجاز القرآن : ١ / ٦٢، غريب القرآن، ص ٢٤٧ .

(٣) العين : ٥ / ٣٧٤ وينظر : الألة وأداة، ص ٢٥٠ .

(٤) معجم المؤنثات السماعية، ص ١٥٥ .

(٥) المخصص : ٣ / ٢٣ (السفر العاشر) وينظر : معجم الالفاظ والاعلام القرآنية : ٢ / ١٢٠ .

(٦) سورة الشعراء : الآية ١١٩ .

(٧) سورة يونس : من الآية ٢٢ .

(٨) سورة فاطر : من الآية ١٢ .

(٩) سورة يونس : من الآية ٢٢ .

(١٠) ينظر : لسان العرب : ١٠ / ٤٧٩، مادة (فلك)، المفردات، ص ٥٧٩-٥٨٠ .

(١١) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٥٢٦ .

(١٢) سورة فاطر : من الآية ١٢ .

السفينة الماء ... والسفن الذي اشتق منه السفينة قريب من المخز، لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره<sup>(١)</sup>.

وقد أشار الرازي إلى أن المراد من الآية الاستدلال بالبحرين وما فيهما على وجود الله ووحديته وكمال قدرته<sup>(٢)</sup>، ومن نعم الله على الناس تسخير المياه لإجراء المراكب فيها بمقتضى قانون الطفو، الذي جعله عز وجل بين الماء وبين الأشياء القابلة للطفو عليه، والجري فيه، والانتقال عليه بالأحمال الثقيلة والانتقال العظيمة إلى بلاد بعيدة، وارض لا يبلُغ إليها قاصدوها إلا بشقِّ الأنفس، وبما أن الفلك هو مركب البحر يطلق على الواحد والاثنتين والجمع ويذكر ويؤنث.. كان الخطاب موجهاً للناس بصيغة الجمع، ولكن تحوّل في هذا البيان إلى خطاب كل صالح للخطاب بصورة افرادية أي : وترى أيها الرائي أيّا كنت الفلك في كل من البحرين مواخر والغرض من هذا التحول من خطاب الجماعة إلى الخطاب الافرادي، التنويع لشد الانتباه، واشعار المخاطب العناية بمخاطبته بصورة افرادية، ليوجّه اهتمامه للتفكر في الموضوع الذي دعاه البيان للتفكر فيه. (فيه مواخر) : أي : جاريات تشقّ الماء شقاً، متنقلةً فيه وقاطعة المسافات البعيدات<sup>(٣)</sup>، وما يعيننا من كل هذا هو ان الله سبحانه وتعالى سخر لكم أيها الناس الفلك تجري في الماء مواخر، ليبتغوا في التنقل محمولين عليها، انتم وانقالكم ودوابكم وامتعتكم، مصالح دنياكم وأرزاقكم من فضل ربكم عليكم<sup>(٤)</sup>.

يوحي السياق للفظه - الفلك - بأنها وسيلة من وسائل النجاة في قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ... ﴾<sup>(٥)</sup>، فالفلك هنا تعني السفينة - فعندما أجاب الله دعاء نوح (عليه السلام) أوحى إليه أن اصنع الفلك لغاية إلهية أراها سبحانه وتعالى، ولكن هناك اختلافاً بين المفسرين في انه (عليه السلام) كيف صنع الفلك ؟ فمنهم من قال : انه كان نجاراً وكان عالماً بكيفية اتخاذها، والقسم الآخر قال : أن جبريل (عليه السلام) علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها وهذا هو الأقرب لقوله (بأعيننا وأوحينا)<sup>(٦)</sup>.

وقد ذهب ابن كثير أيضاً إلى أن الله أمر نوح (عليه السلام) بصنع السفينة واحكامها وإتقانها، وان يحمل فيها من كل زوجين اثنين، أي : ذكراً وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات

(١) الكشاف : ٦٠٥ / ٣ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب : ١١ / ٢٦ .

(٣) ينظر : معارج التفكير ودقائق التدبر : ٨٦ / ٧ .

(٤) ينظر : م. ن. : ٨٧ / ٧ .

(٥) سورة المؤمنون : من الآية ٢٧ .

(٦) ينظر : مفاتيح الغيب : ٩٤ / ٢٣ .

والثمار وغير ذلك، وان يحمل فيها أهله<sup>(١)</sup>، ولسيد قطب بيان في الحكمة من صنع نوح (ﷺ) الفلك بيده ذكراً ((لأنه لا بد للإنسان من الأخذ بالأسباب والوسائل، وبذل آخر ما في طوقه ليستحق المدد من ربه، فالمدد لا يأتي للقاعدين المستريحين، الذين ينظرون ولا يزيدون مع رعاية الله له، وتعليمه صناعة الفلك ليتم أمر الله، وتحقق مشيئته عن هذا الطريق، وجعل الله له العلامة للبدء بعملية التطهير الشاملة لوجه الأرض : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾<sup>(٢)</sup>، فتلك هي العلامة ليسارع نوح (ﷺ) فيحمل السفينة بذور الحياة))<sup>(٣)</sup>.

وكذا اللفظة في قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>، فالآية تتضمن تعداد النعم فيما هي الحال بسبيله من ركوب الناس الدواب والبحر ويدل على أن الفلك أي : - السفن -، وجدت لتحملكم وتقلكم في البحر<sup>(٥)</sup>.

وعلى هذا يطوي النص حقيقة يعلمها الجميع بان الله خالق اعظم قدر بمعاييره الدقيقة حركة الحياة العامة، فهو قادر على جراية السفن التي هي آلة التنقل في البحر لجميع خلقه وأثقالهم وأحمالهم ومتاعهم تيسيراً لهم، على الرغم من كونها مصنوعة من خشب هين عرضه للإنكسار والتآكل في أية لحظة فان في ذلك عبرة لكل معتبر فان الله سبحانه وتعالى القادر على جراية السفن قادر على جراية الرزق لكل العباد فهو الأعظم المطلق.

(١) ينظر : تفسير القرآن الكريم : ٣ / ٣٢٨ .

(٢) سورة المؤمنون : من الآية ٢٧ .

(٣) في ظلال القرآن : ١٨ / ٢٦ وينظر : قصص الرحمن في ظلال القرآن : ١ / ٦٦٠ .

(٤) سورة يونس : من الآية ٢٢ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٢٠٧ .

١٦ . حرف القاف

١٦ - ١ : القُدور

للجذر (قدر) أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكُنْهه ونهايته فالقدر مبلغ كل شيء... ومما شذ أيضاً عن هذا القياس القدر وهي معروفة، ومنه القدير : اللّحم يُطبخ في القدر<sup>(١)</sup>. والقدر : ((التي يُطبخ فيها أنثى وجمعها قُدور ولا تُكسر على غير ذلك))<sup>(٢)</sup>، والقدر (بِؤنث ويذكر. ويقال في تصغيرها قُدِيره)<sup>(٣)</sup>، وذهب ابن منظور أيضاً إلى ان القدر مؤنثة عند جميع العرب بلا هاء، فإذا صُغرت قلت لها قُدِيره وقُدِير بالهاء وغير الهاء<sup>(٤)</sup>. وقد ذكر الزمخشري انه حينما يقال وافق الشيء الشيء قالوا أي : جاء على قدرٍ وقدر. ونقل قول قدر عليه رزقه وقدر : قتر، ونقل أيضاً الأمور تجري بقدر الله ومقداره وتقديره واقداره ومقاديره، ومن المجاز : فرسٌ بعيد القدر : بعيد الخطو<sup>(٥)</sup>.

وردت لفظة - قدر - وما اشتق منها في مئة وثمانية وعشرين موضعاً من القرآن الكريم<sup>(٦)</sup>، ولكن لفظة (القدر) ورد في موضع واحد فقط من القرآن الكريم وبصيغة الجمع في قوله تعالى : ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾<sup>(٧)</sup>، فقد بين الرازي الحكمة في ذكر لفظة الجفان وادفائها بلفظة القدر بقوله ((فالقُدور [ آلة الطبخ ] ... راسيات أي غير منقولات، ولما بين حال الجفان العظيمة كان يقع في النفس أن الطعام الذي يكون فيها في أي شيء يطبخ، فأشار إلى القدر المناسبة للجفان))<sup>(٨)</sup>.

وقد وصفها القرطبي أيضاً بقوله : ((هي قُدور من نحاس تكون بفارس وقيل أيضاً : هي قُدور تعمل من الجبال وقال غيره : قد نحتت من الجبال الصم مما عملت له الشياطين

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ٦٢، ٦٣، أساس البلاغة، ص ٤٩٥ .

(٢) المخصص : ١ / ٢٥٢ (السفر الخامس) وينظر : المفردات، ص ٥٩٨، معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٣٧٥ .

(٣) معجم المؤنثات السماعية، ص ١٥٨ وينظر : المعجم الوسيط : ٢ / ٥٢٥ .

(٤) ينظر : لسان العرب : ٥ / ٧٩-٨٠ مادة (قدر) وينظر : الألة وأداة، ص ٢٦١، معجم المؤنثات السماعية، ص ١٥٨ .

(٥) ينظر : أساس البلاغة : ص ٤٩٥ .

(٦) ينظر : المعجم المفهرس لآلِفاظ القرآن، ص ٥٣٦-٥٣٨، المصطلحات العسكرية : ٢ / ٩١٠ .

(٧) سورة سبأ : من الآية ١٣ .

(٨) مفاتيح الغيب : ٢٥ / ٢٤٩ .

انثافها منحوتة هكذا من الجبال))<sup>(١)</sup>، إذا هي قدور كبيرة ثابتة لا تتحرك لكبرها وضخامتها<sup>(٢)</sup>، ونلاحظ في هذه الآية تشبيهاً ملحوظاً معروضاً صورة القدور الراسية لعظمها وثقلها، واستحالة نقلها من مكان لآخر، فهي راسية أبداً فوق النار لا تزال عنها لعظمها ولدوام الحاجة إليها<sup>(٣)</sup>.

هكذا نلمح بخفاء المراد من وصف هذه القدور، وذكرها في المصطلح القرآني لبيان وصف التكريم من العظيم سبحانه وتعالى لعباده من آل داود والمستحقين للتكريم، فهذه نعمة من النعم التي خصكم بها فوجب عليكم شكره متمثلاً بقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهذا ما اشار إليه الزمخشري قائلاً: ((وفي هذا دليل على أن العبادة يجب أن تؤدى عن طريق الشكر أو على أي حال، أي شاكرين أو تقدير اشكروا شكراً، لان عملوا فيه معنى اشكروا، من حيث إن العمل للمنع شكراً له))<sup>(٥)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٤ / ١٧٧ .

(٢) ينظر : صفوة التفاسير : ٢ / ٥٤٨، صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٥٤٢ .

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٧٠١، التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، ص ٢٧٨ .

(٤) سورة سبأ : من الآية ١٣ .

(٥) الكشف : ٣ / ٥٧٣ .

١٦ - ٢ : القرطاس - قرطيس

(القرطاس) معروف، يتخذ من بردّي مصر، وكلُّ اديم يُنصب للنضال، فاسمه : قرطاس [ يقال ] قرطسَ الرامي إذا أصاب [ الأديم ]<sup>(١)</sup>.

والقرطاس أيضاً ((ما يكتب فيه))<sup>(٢)</sup> وقد ذكر الكفوي انه ((لا يقال قرطاس إلا إذا كان مكتوباً وإلا فهو طرس، وكاغد ولا يقال قلم إذا برئ والا فهو انبوب))<sup>(٣)</sup>، والقرطاس أيضاً : ((صحيفة والجمع قرطيس))<sup>(٤)</sup>، وقيل : ((القرطاس والقرطاس والقرطس والقرطاس كله الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها... ويقال للجارية البيضاء المديدة القائمة قرطاس))<sup>(٥)</sup> وكذلك تطلق لفظة (قرطاس) على الناقة الفتية، ويطلق على الدواب الأبيض الذي لا يخالط بياضه نميةً وكذلك يطلق على الورقة تلف على هيئة المقمع ليوضع فيها الحب ونحوه (محدثة)<sup>(٦)</sup> وهناك رأي يقول أن القرطاس اصله غير عربي وقد تكلموا به قديماً<sup>(٧)</sup>.

وقد وردت لفظة (قرطاس) في موضعين من القرآن الكريم<sup>(٨)</sup>، في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٩)</sup>، ويقصد به ((انه لو انزل الكتاب جملة واحدة في صحيفة واحدة، فرأوه ولمسوه وشاهدوه عياناً لطعنوا فيه، وقالوا انه سحر... وإذا رأوه بقوا شاكين فيه وقالوا : إنما سكرت أبصارنا، فإذا لمسوه بأيديهم فقد يقوى الإدراك البصري بالإدراك اللمسي، وبلغ الغاية في الظهور والقوة))<sup>(١٠)</sup>، وهذا الكلام يعني به رسول الله محمداً (ﷺ)، أي لو نزلنا يا محمد بمراءى منهم — أي الكفار الجاحدين المعاندين — كما زعموا كلاماً مكتوباً (في قرطاس)... وهذا يبين إن التنزيل على وجهين، أحدهما : على معنى نزل عليك الكتاب أي (نزول الملك به)،

(١) العين : ٥ / ٢٥٠ .

(٢) المفردات : ٤ / ٦ .

(٣) الكليات : ٢ / ٧٣٧ .

(٤) غريب القرآن، ص ٢٥٩ وينظر : معجم ألفاظ القرآن، ص ٢ .

(٥) لسان العرب : ٦ / ١٧٢ - ١٧٣، مادة (قرطس) .

(٦) ينظر : المعجم الوسيط : ٢ / ٧٣٤ .

(٧) ينظر : المعرب من الكلام الاعجمي، ص ٣٢٤ .

(٨) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٥٤٣ .

(٩) سورة الأنعام : الآية ٧ .

(١٠) مفاتيح الغيب : ١٢ / ١٦٩ - ١٧٠ وينظر : تفسير القرآن العظيم : ٢ / ١٧١ .

والآخر : ولو نزلنا كتاباً في قرطاس، وقال (نزلنا) على المبالغة بطول مكث الكتاب بين السماوات والأرض، فبين أن الكتابة في قرطاس، لأنه غير معقول كتابة إلا في قرطاس أي صحيفة<sup>(١)</sup>. إلا ان الصابوني فسر قوله تعالى قائلاً : ((انهم عاينوا ذلك ومسوه باليد ليرتفع عنهم كل أشكال أو يزيل كل ارتياب))<sup>(٢)</sup>، فالقرطاس في كل ذلك يعني ((الورق والكتاب المكتوب اجتمع لهم مع المعاينة واللمس))<sup>(٣)</sup>، ونراهم بعد كل هذا انهم معرضون عن آيات الله ظناً منهم ان البرهان على صدقها ضعيف أو غامض أو تختلف فيه العقول، إنما الذي يجعلهم يقفون هذا الموقف المكابرة الغليظة والعناد الصفيق ! وهو الإصرار مبدئياً على الرفض والإنكار ولو أن الله سبحانه – نزل على رسول الله (ﷺ) – هذا القرآن لا عن طريق الوحي الذي لا يرونه، ولكن في ورقة منظورة ملموسة ومحسوسة ثم لمسوا – هم – الورقة بأيديهم لا سماعاً عن غيرهم ولا مجرد رؤية بعيونهم ما سلموا بهذا الرأي يرونه ويلمسونه، ولا قالوا جازمين مؤكدين : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾<sup>(٤)</sup>...<sup>(٥)</sup>.

وكذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾<sup>(٦)</sup>، ومعنى الآية ((أن المخاطبين هم المشركون، وهذا خبر عن اليهود لما كان واقعاً منهم من جعل التوراة صحائف يتلاعبون بها فيبدون منها للناس ما يتفق مع خطتهم في التضليل والخداع والتلاعب بالأحكام والفرائض، ويخفون ما لا يتفق مع هذه الخطة من صحائف التوراة، مما كان العرب يعلمون بعضه وما اخبرهم الله به من هذا القرآن من فعل اليهود... فهذا خبر عن اليهود معترض في سياق الآية لا خطاباً لهم))<sup>(٧)</sup>.

فالقراطيس تكون ((أوراقاً مكتوبة مفرقة لنتمكنوا من إبداء ما تريدون إبداءه منها وإخفاء الكثير منها، ومنه نعوت محمد (ﷺ) وآية الرجم والقراطيس : ما يكتب فيه))<sup>(٨)</sup>، فالمراد من إيراد أداة – القراطيس – ليس للتدليل على وظيفتها التي تسجل فيها الأحكام والأقوال والأفكار كما هو معلوم لدينا، وإنما ظهر لنا السياق القرآني للفظة باعتبارها أداة

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٣ / ٦ .

(٢) صفوة التفاسير : ٣٨٠ / ١ .

(٣) الاساس في التفسير : ١٥٨١ / ٣ وينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ١٦٩ .

(٤) سورة المائدة : من الآية ١١٠ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ١٣٣ / ٧ .

(٦) سورة الأنعام : من الآية ٩١ .

(٧) في ظلال القرآن : ٣٠٢ / ٧ وينظر : صفوة التفاسير : ٤٠٤ / ١ .

(٨) صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ١٨٣ .

برهان على صدق دعوى ودليلاً يحوي في داخله علامات الألوهية المطلقة سُطَّرَ في متنها دلائل يستشهد فيها على التوحيد ومغزى دور النبي محمد (ﷺ).

للجذر (قسط) أصل صحيح يدل على معنيين متضادين والبناء واحد، فالقسط : العدل ويقال منه اقسط يُقسط ... والقسط بفتح القاف : الجور... ويقال أيضاً القسط يعني اعوجاج في الرّجلين وهو خلاف الفخج، ومن الباب الأول القسط : النصيب ومنه القسطاس : الميزان<sup>(١)</sup>. وذهب الفراهيدي إلى ان القسطاس والقسطاس، هو أقوم الموازين وبعضهم يُفسرهُ الشاهين<sup>(٢)</sup> وقد يعبر به عن العدالة كما يعبر عنها بالميزان قال تعالى : ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾<sup>(٣)</sup>...<sup>(٤)</sup>، وهناك من قال ان الميزان : هو بلسان الروم وفيه لغة أخرى (قسطاس) بضم القاف وقد قرئ باللغتين جميعاً<sup>(٥)</sup> القسطاس يستعمل لمعرفة المقدار وقد يستعمل أيضاً للاحتراز عن الزيادة والنقصان<sup>(٦)</sup>، وقيل القسط : ((الميزان، سمي به من القسط العدل، أراد أن الله يخفض ويرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة إليه وأرزاقهم النازلة من عنده كما يرفع الوزان يده ويخفضها عند الوزن وهو تمثيل لما يُقدره الله وينزله))<sup>(٧)</sup> والقسطاس ((لفظ مُعرب))<sup>(٨)</sup>.

وردت لفظة (القسطاس) في موضعين من القرآن الكريم<sup>(٩)</sup>، وفي الموضعين كانت دلالة آلة القسطاس هي الالتزام بالعدل السوي المتمثل بالايفاء بالميزان المستقيم وعدم نقصه أو بخسه، وهذا ما يؤكد السياق في قوله تعالى : ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾<sup>(١٠)</sup>. والقول في قوم شعيب (عليه السلام)، وان شعيباً أمرهم بأشياء (أحدها) أن يوفوا الكيل وان يزنوا بالقسطاس المستقيم وقرئ بالقسطاس مضموماً ومكسورا وهو الميزان<sup>(١١)</sup>.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ٨٥-٨٦ .

(٢) ينظر : العين : ٥ / ٧١ .

(٣) سورة الإسراء : من الآية ٣٥ .

(٤) ينظر : المفردات، ص ٦٠٨ ، معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٣٩٤ .

(٥) ينظر : تفسير غريب القرآن، ص ٢٥٤، غريب القرآن، ص ٢٥٧، الآلة وأداة، ص ٢٧٠ .

(٦) ينظر : الكليات : ٢ / ٧٣٣ ، أساس البلاغة، ص ٥٠٦-٥٠٧ .

(٧) لسان العرب : ٧ / ٣٧٧، مادة (قسط) .

(٨) صفوة البيان لمعاني القرآن، ٣٦٤ .

(٩) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٥٤٥ .

(١٠) سورة الشعراء : الآية ١٨٢ .

(١١) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٤ / ١٦٢-١٦٣ .

وقد ذهب القرطبي أيضاً إلى أن الله أرسل شعيباً (عليه السلام) إلى أمتين : إلى قومه من أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة وأمرهم أن يوفوا الكيل ولا ينقصوا منه وان يعطوا الحق ويوزنوا بالميزان العدل<sup>(١)</sup>، وبهذا يكون معنى القسطاس الميزان العدل السوي، فأيهما القوم زنوا بالميزان بلا احتيال ولا خديعة<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر عبد الرحمن حبنكة ان في القسطاس قراءتان بضم القاف وكسرهما، وهما لغتان عربيتان لهذه الكلمة وهو اضبط الموازين وأقومها وأعدلها، أي : وزنوا بأضبط الموازين وأقومها وأعدلها<sup>(٣)</sup>، ونظير اللفظ في قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد أشار الرازي أيضاً إلى أن جميع الناس محتاجون إلى المفاوضات والبيع والشراء وقد يكون الإنسان غافلاً لا يهتدي إلى حفظ ماله، فالشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان سعياً في إبقاء الأموال على الملاك ومنعاً من تلطيخ النفس بسرقة ذلك المقدار الحقيق، والقسطاس في معنى الميزان إلا انه في العرف اكبر منه، ولهذا اشتهر في السنة العامة انه (القبان)، وقيل : ((انه بلسان الروم أو السرياني والأصح انه لغة العرب وهو مأخوذ من القسط، وهو الذي يحصل فيه الاستقامة والاعتدال وبالجملة فمعناه المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الجانبين، واجمعوا على جواز اللغتين فيه))<sup>(٥)</sup>.

ومثيل اللفظ أيضاً في سورة الإسراء : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾<sup>(٦)</sup>، ومما هو ملاحظ أن المناسبة بين الوفاء بالعهد وإيفاء الكيل والميزان ظاهره في المعنى واللفظ، فالانتقال في السياق ملحوظ التناسق، وإيفاء الكيل والاستقامة في الوزن أمانة في التعامل ونظافة في القلب يستقيم بهما التعامل في الجماعة، وتتوافر بهما الثقة في النفوس وتتم بهما البركة في الحياة، والطمع في الحياة في الكيل والوزن قذارة وغش وخيانة في التعامل تنزع بها الثقة، ويتبعها الكساد ونقل فيها البركة في محيط الجماعة<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٣ / ٩١ .

(٢) ينظر : صفوة التفاسير : ٢ / ١٥٩، معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٣٩٣-٣٩٤ .

(٣) ينظر : معارج التفكير ودقائق التدبير : ٨ : ٦٨٧-٦٨٨ .

(٤) سورة الرحمن : الآية ٩ .

(٥) مفاتيح الغيب : ٢٠ / ٢٠٧ .

(٦) الآية : ٣٥ .

(٧) ينظر : في ظلال القرآن : ١٥ / ٣٢٥-٣٢٦ .

هكذا يلاحظ أن السياق القرآني يشير إلى أن آلة القسطاس تعني وجوب العدل السوي في التعامل مع الناس لا زيادة ولا نقصان، ويعبر أيضاً عن الميزان للاحتراز به عن الزيادة والنقصان لمعرفة مقادير الأشياء وأوزانها.

للجذر (قلد) اصلان صحيحان يدل أحدهما على تعليق الشيء وليّ به، والآخر على حَظٌّ ونصيب، فالأول التقليد : تقليد البدنه، وذلك ان يعلّق في عنقها شيء ليُعَلِّمَ أنها هَدْيٌ واصل القلْد، الفتل، يقال : قَلَدْتُ الحبل اقلدهُ قَلْدًا، إذا فتلته، ويقال : قَلَدَ فلان فلانًا قِلَادَةً سَوَاءً، إذا هجاه بما يَبْقَى عليه وسمّه<sup>(١)</sup>.

ومن هذا أخذت القلادة وهي ما يَفْتَلُ ويجعل حول الرقبة، وقد استعملت بمعنى عام وهو كل ما يجعل حول العنق من خيط أو فضة أو ذهب أو نحوها من أنواع الحلّي والجمع قلائد<sup>(٢)</sup>، وقد ذهب الفراهيدي بقوله القلادة هي : ((قلادة الإنسان والبدنه والكلب ونحوه وتقليد البدنه ان يُعلّق في عنقها عروة خراطة ونعلٌ خلقٌ فيعلم أنها هَدْيٌ وإذا قلّدها وجب عليه الإحرام عند بعض العلماء))<sup>(٣)</sup>. والقلادة معروفة<sup>(٤)</sup>، والقلادة (بالكسر) ((ما جُعِلَ في العنق يكون للإنسان والفرس والكلب، وذهب بعض علماء اللغة إلى أن هيئة الكلمة قد تدل على معان مخصوصة، وان لم تكن مشتقة نحو فعال بالكسر إن لم تلحقه الهاء فهي اسم لما يجعل به الشيء كالآلة وإمام وركاب وحزام لما يؤتم به، ولما يركب به ولما يحزم ويشد به، فان ألحقته الهاء فهو اسم لما يشتمل على الشيء ويحيط به كاللِفافَة والعمامة والقلادة وهذا في غير المصادر))<sup>(٥)</sup>، وقيل أيضاً : ((القلادة : الواقعة على المخنق ولهذا سميت المَخْنَقَةُ بكسرها وهي الاصوب))<sup>(٦)</sup>.

وردت لفظة (قلادة) في موضعين من القرآن الكريم وبصيغة الجمع<sup>(٧)</sup>، في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقُلَائِدَ ﴾<sup>(٨)</sup>، وفي قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشُّهُرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقُلَائِدَ ﴾<sup>(٩)</sup>، واستعمالها في الآيتين يعني - القلائد - نفسها، وما كان الناس يتقلدونه

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١٩ / ٥ .

(٢) ينظر : معجم ألفاظ القرآن : ٤١٦ / ٢ .

(٣) العين : ١١٧ / ٥ .

(٤) مجمل اللغة : ١١٨ / ٤ .

(٥) تاج العروس : ٤٧٥ / ٢ .

(٦) المدخل إلى تقويم اللسان، حاتم الضامن، ص ٢٠٩ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٥٥١ .

(٨) سورة المائدة : من الآية ٢ .

(٩) سورة المائدة : من الآية ٩٧ .

أمانة لهم، وهذا ما أشار إليه الرازي في قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ﴾، حيث قال ((الوجه في كونها قياماً للناس، إن من قصد البيت الحرام في الشهر الحرام لم يتعرض له أحد، حتى إن الواحد من العرب يلقي الهدى مقلداً، ويموت من الجوع فلا يتعرض من له البتة، ولم يتعرض لها صاحبها، وكل ذلك كان لان الله أوقع في قلوبهم تعظيم البيت الحرام، فكل من قصده أو تقرب إليه صاراً آمناً من جميع الآفات والمخالفات))<sup>(١)</sup>، وقيل أيضاً : ((أراد بالقلائد نفس القلائد، فهو نهي عن اخذ لحاء شجر الحرم حتى يُتَقَلَّدَ به طلباً للأمن))<sup>(٢)</sup>، ويمضى القول : لا تستحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه، ولا ما أهدي إلى البيت أو قُلدَ بقلادة ليعرف انه هدي بالتعرض له ولا صحابه<sup>(٣)</sup>، وقد صير الله تعالى البيت للناس سبباً لإصلاح أمورهم، إذ جعله مثابةً وامناً وملجأً ومجمعاً للتجارات والتعارف والتشاور وحرمة إلى يوم القيامة، وجعله كذلك منسكاً وسبباً لتكفير الخطيئات، وجعل الأشهر الحُرْمَ قواماً للناس يأمنون فيها القتل والقتال (والهدى) ما يهدى من الأنعام إلى الكعبة. (القلائد) ما يقلد به الهدى علامة له، وجُعِلَ الهدى وذوات القلائد منه قواماً لمعايش الفقراء، وكل ذلك لحكم سامية، ومصالح ظاهرة، اقتضتها حكمة العليم الخبير، ورأفته بعباده<sup>(٤)</sup>.

أما الصابوني فقد ذهب إلى أن ((القلائد التي كانت تعلق على اسنمة الهدايا واعناقها علامة انه لله سبحانه وتعالى، من فعل أو غيره فهي سنة إبراهيمية بقيت في الجاهلية وقرها الإسلام، وهي سنة البقر والغنم وقالت عائشة (رضي الله عنها): ((أهدى رسول الله (ﷺ) مرة إلى البيت غنماً فقلدها))<sup>(٥)</sup>. والى هذا صار جماعة من العلماء : الشافعي واحمد، وانكر مالك واصحاب الرأي، وكأنهم لم يبلغهم هذا الحديث في تقليد الغنم، لو بلغ لكنهم ردوه لانفراد الأسود به وعائشة (رضي الله عنها)، فالقول به أولى والله اعلم<sup>(٦)</sup>.

وكما هو معروف بان (القلائد) هي ما يفتل ويجعل في العنق، إلا أنها في السياق القرآني كانت أداة أمان وتعظيم من قبل الناس، فأصبحت علامة أنها لله سبحانه وتعالى وسنة متبعة فلا يتعرض للاذى من تقلد بها.

(١) مفاتيح الغيب : ١١ / ١٠٧-١٠٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢٨ / ٦ .

(٣) ينظر : صفوة التفاسير : ١ / ٣٢٦ .

(٤) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ١٦٣ .

(٥) صفوة التفاسير : ١ / ٣٢٦ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٢٩ .

للجذر (قلم) أصل صحيح يدل على تسوية شيء عند برّيه واصلاحه، من ذلك قَلَمْتَ الظفر وقَلَمْتُهُ، ويقال للضعيف : هو معلوم الأظافر ومن هذا الباب سمي القَلَمُ قَلَمًا ... قالوا سمي به لأنه يقلم منه كما يُقَلَّمُ من الظفر، ثم شُبِّهَ القَدْحُ به فقيل قَلَمٌ<sup>(١)</sup>، والقَلَمُ ايضاً : ((السَّهْمُ الذي يُجَالُ به بين القوم، ومع كل إنسان قَلَمَةٌ))<sup>(٢)</sup>. والقَلَمُ : ((الذي يكتب به، والقَلَمُ : الزَلَمُ))<sup>(٣)</sup> ومنه القَلَامَةُ : ما يسقط من الظفر إذا قُلِمَ<sup>(٤)</sup>. ويقال أصل القَلَمِ ((القص في الشيء الصلب كالظفر وكعب الرمح ... وخص ذلك بما يكتب به وبالقدح الذي يضرب به))<sup>(٥)</sup>. وقيل : ((وقد أطلق القلم عند الكاتبين على الخط فقالوا : يكتب بالقلم النسخي (وفي إصلاح الدواوين) : قسم من أقسام الديوان. يقال : قلم الكتاب، وقلم المحضرين، وقلم المستخدمين، وقلم الحبر : قلم مداده مخزون فيه لا يسيل على سنه إلا وقت الكتابة به))<sup>(٦)</sup>.

وقد ذهب الرصافي بقوله : ((والقلم — بالتحريك — اليراعة يكتب بها، ولهذا قالوا لا يسمى قَلَمًا إلا بعد البرّي وسمى قبله قصبية ویراعة))<sup>(٧)</sup>. وتحليل لفظة — القلم — على وجهين في القرآن الكريم : وجه منهما : ((الأقلام السهام. في قوله تعالى : في سورة آل عمران ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُنْفُونَ أَفْلامَهُمْ ﴾<sup>(٨)</sup>، كانوا يلقونها ((أيهم يكفل مريم)) الثاني : القلم بعينه في قوله تعالى : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾<sup>(٩)</sup>، يعني الخط بالقلم))<sup>(١٠)</sup>.

وردت لفظة (القلم) في أربعة مواضع من القرآن الكريم أفراداً وجمعاً<sup>(١١)</sup>، في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾<sup>(١٢)</sup>، لقد اشار الطوسي في تفسيره للفظة بقوله : ((انه تعالى امتن على خلقه بما علمهم كيفية الكتابة بالقلم، لما في ذلك من كثرة الانتفاع لخلقه، فقد نوه الله بذكر

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ١٥ - ١٦ .

(٢) العين : ٥ / ١٧٤ وينظر : المخصص : ٤ / ٢٢ (السفر الثالث عشر) .

(٣) الصحاح : ٥ / ٢٠١٤ وينظر : معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٤١٨ .

(٤) ينظر : مجمل اللغة : ٤ / ١١٧ .

(٥) المفردات، ص ٦٢١ .

(٦) المعجم الوسيط : ٢ / ٧٦٣ .

(٧) الألة وأداة، ص ٢٧٩ .

(٨) من الآية : ٤٤ .

(٩) سورة القلم : الآية ١ .

(١٠) قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر، ٣٩٠ - ٣٩١ .

(١١) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٥٥٢ .

(١٢) سورة العلق : الآية ٤ .

القلم))<sup>(١)</sup>. وهذا أيضاً ما ذهب إليه القرطبي بقوله : ((فدل على كمال كرمه سبحانه، بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو. وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين مقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة... وسمي قلماً لأنه يُقلم أي يقطع، ومنه تقليم الظفر... وروى مجاهد عن إبي عمر قال : خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده ثم لسائر الحيوان : كن فكان : القلم، والعرش، وجنة عدن، وادم (ﷺ))<sup>(٢)</sup>. وقيل : وقد قرئ به — أي القلم — لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد<sup>(٣)</sup>، وقد اوضح سيد قطب أثر القلم في حياة الانسان كأداة من ادوات التعليم قائلاً : ((كان ولا يزال أوسع واعمق أدوات التعليم اثراً في حياة الإنسان ولم تكن هذه الحقيقة آنذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية لكن الله سبحانه، كان يعلم قيمة القلم فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية، وفي أول سورة من سور القرآن الكريم، هذا مع إن الرسول (ﷺ) الذي جاء بها لم يكن كاتباً بالقلم، وما كان ليبرز هذه الحقيقة منذ اللحظة الأولى لو كان هو يقول هذا القرآن لولا إنه الوحي، ولولا إنها الرسالة))<sup>(٤)</sup>. إذا ذكر القلم في سياق الآية الكريمة : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(٥)</sup>، جاء لبيان ان الله علم الانسان الكتابة بالقلم، ولم يكن له علم بها، فضبط بها العلوم وعرف بها أخبار الماضين وعلومهم وكانت أداة التقاهم والمعرفة ولولاها ما استقام أمر الدين والدنيا، فلم يقم دين ولا يصلح عيش<sup>(٦)</sup> ومثيل اللفظة في قوله تعالى : ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

فقد ذهب الرازي في تفسيره (للقلم) في هذه الآية وقال : ((القلم فيه قولان أحدهما : أن القسم به هو الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به من في السماء ومن في الأرض. قال تعالى ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(٨)</sup> فمن بتيسير الكتابة بالقلم كما من بالنطق فقال : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾<sup>(٩)</sup>. (والثاني) : إن المقسم به

(١) التبيان : ١٠ / ٣٨٠ وينظر : المفردات، ص ٦٢١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٨٢ / ٢٠ .

(٣) ينظر : انوار التنزيل واسرار التأويل : ٥ / ٥٠٩ .

(٤) في ظلال القرآن : ٣٠ / ٦١٨ .

(٥) سورة العلق : الآية ٤، ٥ .

(٦) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٨١٥ .

(٧) سورة القلم : الآية ١ .

(٨) سورة العلق : من الآية ٤ .

(٩) سورة الرحمن : من الآية ٣، ٤ .

هو القلم المعهود الذي جاء في الخبر لان أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب ما هو كاتب إلى أن تقوم الساعة<sup>(١)</sup>.

وقد أشار أيضاً سيد قطب بان : ((القلم هو آلة الكتابة يقسم الله سبحانه بنون وبالقلم وبالكتابة والعلاقة واضحة بين الحرف نون وبين القلم والكتابة، فأما القسم بها فهو تعظيم لقيمتها وتوجيه إليها في وسط الأمة التي لم تكن تتجه إلى التعليم عن هذا الطريق، كانت الكتابة فيها متخلفة ونادرة، فهو الوقت الذي كان دورها المقدر لها في علم الله يتطلب نمو هذه القدرة فيها وانتشارها فيها))<sup>(٢)</sup>، وهناك من يقول أن القلم في قوله تعالى : ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، يعني : ((انه ليس قلمنا الذي نكتب به المقالات وانما المقصود هنا : القلم الإلهي الذي يكتب به الله أقدارنا في اللوح المحفوظ أو القلم الذي تسطر به الملائكة))<sup>(٣)</sup> وهناك من يؤكد بان القسَم الذي قسمه الله تعالى في كتابه العزيز بلفظة - القلم - هو الماخ إلى أن المجنون لا يدعو إلى العلم، وتثبيت العلم بالكتابة، عندما اتهم الرسول محمد (ﷺ) من بعض قادة قومه بالجنون فاقسم الله عز وجل لرسوله بالقلم وبما يسطر الكاتبون به من علوم ومعارف وهداية ينزل بها الوحي من لده على أنبيائه ورسله، ولا سيما خاتمهم محمد بن عبد الله على انه ليس بمجنون كما يحاول أن يروج حاسدوه على النعمة التي انعم الله بها عليه<sup>(٤)</sup>، فآلة القلم بعد كل هذا جاءت لتبيان أهمية العلم الإسلامي في بداية الوحي الذي أرسله الله إلى رسوله محمد (ﷺ) وكان نداؤه الأول بمفرده (اقرأ) وتكرارها الذي يمنحها أهميتها ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(٥)</sup>...<sup>(٦)</sup>.

وقد وردت اللفظة جمعاً وبغير دلالة القلم المعهود في قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُنْفِقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾<sup>(٧)</sup>، فاقلامهم هنا تعني قداحهم يفترون على مريم ايهم يكفلها ويحتضنها<sup>(٨)</sup> وقد بين القرطبي معنى (اقلامهم) في الآية بقوله : ((ما كنت يا محمد

(١) مفاتيح الغيب : ٣٠ / ٧٨.

(٢) في ظلال القرآن : ٢٩ / ٢١٩ وينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص ٤٦٢.

(٣) كتاب القرآن (مأولة لفهم عصري)، مصطفى محمود (دار العودة، بيروت : د / ت)، ص ١٧٧.

(٤) ينظر : معارج التفكير ودقائق التدبير : ١ / ٢١٠.

(٥) سورة العلق : الآية ١ - ٥.

(٦) القيم الجمالية في السور المكية، ص ١٧٠.

(٧) ينظر : سورة آل عمران : من الآية ٤٤.

(٨) ينظر : تفسير غريب القرآن : ص ١٠٥.

لديهم أي بحضرتهم وعندهم ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴾ قيل : قداحهم وسهامهم وقيل أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة وهو أجود، لان الازلام قد نهى الله عنها فقال ﴿ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾<sup>(١)</sup> إلا انه يجوز أن يكونوا فعلوا ذلك على غير الجهة التي كانت عليها الجاهلية تفعلها ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ أي يحضنها، فقال زكريا : أنا أحق بها، خالتهما عندي، وقال بنو إسرائيل : نحن أحقوا بها، واقترعوا عليها وجاء كل واحد بقلمه وأتفقوا أن يجعلوا الأقلام في الماء الجاري فمن وقف قلمه ولم يجره الماء فهو حاضنها<sup>(٢)</sup> والامر كله إشارة إلى ما كان من تسابق سدنة الهيكل إلى كفالة مريم، حين جاءت بها أمها وليدة إلى الهيكل وفاء لنذرهما وعهدهما مع ربها، والنص يشير إلى حادث لم يذكره (العهد القديم) ولا (العهد الجديد) المتداولان، ولكن لا بد انه كان معروفاً عند الأحبار والرهبان، حادث إلقاء الأقلام... أقلام سدنة الهيكل... لمعرفة من تكون مريم من نصيبه على نحو ما نضع في (القرعة) مثلاً<sup>(٣)</sup>، وقيل أيضاً: اقلامهم تعني هنا أقداحهم<sup>(٤)</sup>.

وبعد هذا العرض التفسيري لآلة الكتابة ألا وهي القلم — يتبين لنا بان القلم إشارة إلى مفاتيح العلوم التي تفتح بأداة الكتابة وهو القلم الذي يتصدى إلى ترجمة الأفكار والعلوم والذي يطلعنا على الماضي والحاضر فهو مفتاح العلوم جميعا وبه تُعرف وتنتقل.

(١) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٥٥٥ وينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٨٠ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن : ٣ / ٥٨٤ .

(٤) ينظر : المفردات : ٦٢١ .

للجذر (قَر) اعلان يدل أحدهما على برد، والآخر على تمكُن... وهذه مقاييس صحيحة، فأما أن نتعدى ونتحمل الكلام كما بلغنا عن بعضهم أن قال : سميت القارورة لاستقرار الماء فيها، فليس هذا مذهبنا وقلنا إن كلام العرب ضربان : منه ما هو قياس، وقد ذكرناه، ومنه ما وضع وصفاً... والله اعلم<sup>(١)</sup>، والقارورة : ((واحدة القوارير من الزجاج، والقارورُ : الماء البارد يُغْتَسَلُ به))<sup>(٢)</sup>. والعرب تسمي المرأة قارورة وتكنى عنها بها وفي الحديث : إن النبي (ﷺ) قال لا نجثة وهو يحدو بالنساء : (رفقا بالقوارير) أراد النبي (ﷺ) بالقوارير النساء شبهن بالقوارير لضعف عزائمهن وقلة دوامهن على العهد، والقوارير من الزجاج يُسرَع إليها الكسر ولا تقبل الجبر<sup>(٣)</sup>، وقيل أيضاً أن القوارير ((أواني يقرُّ بها الشراب، وقيل بل المعنى أواني الفضة في صفاء القوارير))<sup>(٤)</sup>، وهذا ما ذهب إليه محمود شيت خطاب قائلاً ان القارورة تطلق على الوعاء من زجاج تحفظ فيه السوائل وكذلك تطلق على وعاء الطيب<sup>(٥)</sup>.

وردت اللفظة - القوارير - بصيغة الجمع في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٦)</sup> في قوله تعالى : ﴿ وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا \* قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾<sup>(٧)</sup>، فقد أشار الرازي في تفسيره للفظ (قوارير) إلى عدة مسائل : منها أن منتهى مراد الرجل في الآية التي يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل، وبهذا فإن الصفاء تمثل بذكر الله تعالى بقوله : ﴿ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴾<sup>(٨)</sup>، والنقاء تمثل بذكره بقوله من فِضَّةٍ واما الشكل فقد ذكره بقوله ﴿ قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾<sup>(٩)</sup>، أي على قدر ربه لا يزيد ولا ينقص من الري ليكون ألد لشربهم<sup>(١٠)</sup>، فالقوارير هنا هي : ((أكواب من فِضَّةٍ وهي مع

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ٧-٨ .

(٢) الصحاح : ٢ / ٧٨٩ .

(٣) لسان العرب : ٥ / ٨٧ وقد ورد الحديث في الصحيحين البخاري : ٥ / ٢٢٧٨، وفي صحيح مسلم : ٤ / ١٨١١ بهذا الشكل (رويداً سوقك بالقوارير) .

(٤) المخصص : ٣ / ٨٦ (السفر الحادي عشر) .

(٥) ينظر : المصطلحات العسكرية : ٢ / ٦٠١ ، الألة والأداة، ص ٢٦٤، المعجم الوسيط : ٢ / ٧٣١ .

(٦) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٥٤٢ .

(٧) سورة الإنسان : الآية ١٥، ١٦ .

(٨) سورة الإنسان : الآية ١٥ .

(٩) سورة الانسان : الآية ١٦ .

(١٠) ينظر : مفاتيح الغيب : ٣٠ / ٢٥٠ .

هذا شفاقة يُرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا ممّا لا نظير له في الدنيا))<sup>(١)</sup>، وهناك من قال : ((أنها من باب الاستعارة بلفظين كقوله تعالى : ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ يعني تلك الأواني ليست من زجاج، ولا من فضة بل في صفاء القارورة وبياض الفضة))<sup>(٢)</sup> فهذا ما يدلُّ على التشبيه وان لم يذكر حرفه<sup>(٣)</sup>، وقد أشار ابن عاشور كذلك إلى أن ((وصف الأكواب بفعل (كانت) هنا تشبيه بليغ، والمعنى : أنها مثل القوارير في شفافيتها، وقريبة ذلك قوله : (من فضة) أي هي من جنس الفضة في لون القوارير لان قوله (من فضة) حقيقة))<sup>(٤)</sup>.

وما هو معلوم انه ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء يعني أن ما في الجنة أسمى وأشرف وأعلى ولو أخذت فضة من فضة الدنيا، فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب، لم ير الماء من ورائها<sup>(٥)</sup>، وبعد كل هذا وانما وصف الله عز وجل الأنية والأكواب لان ذلك يؤول إلى مدح الشراب ويدل على نفاسته وشرفه<sup>(٦)</sup>، والغالب أن اسم القارورة للإناء من الزجاج، وقد يطلق على ما كان من زجاج وان لم يكن إناء كما في قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾<sup>(٧)</sup>.

وقد أشار القرطبي إلى أن الصرح كان صحناً من زجاج تحته ماء، عمله ليربها ملكاً اعظم من ملكها، وقيل أيضاً انه قوارير خلفه ماء ((حسبته لجة)) أي ماء<sup>(٨)</sup>، وقد فسر قوله (قواريراً) في هذه الآية أيضاً ((بأنها شبيهة بالقوارير في صفاء اللون والرقّة حتى كأنها تشفّ عما فيها))<sup>(٩)</sup>، وقيل : انه ((قصر مملّس : من الزجاج الصافي))<sup>(١٠)</sup>.

نخلص من ذكر الله للفظه — قوارير — هنا لبيان معنى التشريف والتكريم الذي يحظى به أصحاب الجنة جزاء أعمالهم الخالصة لله، فلذلك شبه تعالى الأكواب التي يسقى بها

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٥٨٩ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٤٤٤ وينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٣ / ١٥٦ .

(٣) ينظر : الجمان في تشبيهات القرآن، لابن نايقا البغدادي، ص ٣٣١ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٣٩٣ .

(٥) ينظر : صفوة التفاسير : ٣ / ٤٩٤ .

(٦) ينظر : الجمان في تشبيهات القرآن، لابن نايقا البغدادي، ص ٣٣٤ .

(٧) سورة النمل : من الآية ٤٤ .

(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٣ / ١٣٨-١٣٩ .

(٩) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٣٩٢ .

(١٠) صفوة التفاسير : ٢ / ٤١٠ .

أهل الجنة بالقوارير إكراماً لهم<sup>(١)</sup>، وعلى هذا نرى حالة تمثيل التكريم والتشريف لأهل النعيم في الآخرة – أي أهل الجنة – حصراً بأداة من أدوات حفظ الشيء، إلا أن هذه الأداة في المصطلح القرآني كان لها ميزة مما لا نظير له في الدنيا لكونها شفافة يُرى ما في باطنها من ظاهرها ونقية كنعاء الفضة.

---

(١) ينظر : الجمان في تشبيهات القرآن، عدنان مهدي سلطان، ص ٧٥ .

للجذر (قوس) أصل واحد يدل على تقدير شيء بشيء ثم يصرف لأنه يقدر بها المذروع، فالقوسُ : الذراع وسميت بذلك لأنه يقدر بها المذروع وبها سميت القوس التي يُرمى عنها<sup>(١)</sup>، وقد ذكر الفراهيدي ((ان تصغير القوس قوساً، والعدد اقواس ثم قياس قسي وشيخ أقوس : مُنحني الظهر، وقوس تقوسياً، وتقوس ظهره وحاجب مقوس، ونوى متقوس ونحوهما : مما ينعطف : انعطاف القوس))<sup>(٢)</sup>، ولاين دريد اشارة إلى ذلك بقوله ((والقوس معروفة والجمع قس وكان الأصل قوساً وقد جمعت قوس على قياس أيضاً والياء في قياس واو قلبت إلى ياء لانكسار ما قبلها، والقوس قطعة من التمر، وقوس قزح معروف))<sup>(٣)</sup> وكذلك ابن سيدة فقد قال : ((والقوس : أنثى وتصغيرها بغير هاء وهي أحد ما جاء من المؤنث الذي على ثلاثة أحرف بغير علامة مصغراً بغير علامة، والجمع أقواس وقياس وقسي))<sup>(٤)</sup> والقوس : ((ما يرمى عنه قال تعالى : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾<sup>(٥)</sup> وتصور منها هيئتها فقليل للانحناء التقوس والمقوس : المكان الذي يجري منه القوس واصله الحبل الذي يمد على هيئة قوس فيرسل الخيل من خلفه))<sup>(٦)</sup>. وقد ذكر الزمخشري انه من المجاز ان نقول : ((رمونا عن قوس واحدة، فلان لا يمد قوسه أحد أي لا يعارض وعرض فلان على المقوس وهو حبل يُصف عليه الخيل في المكان الذي تُجرى منه، وقوس الشيخ وتقوس واستقوس الهلال وحاجب مستقوس، وما في الجلة الاقوس وهو ما بقي من التمر في جوانبها شبه القوس وتقوسه الشيب وخطه))<sup>(٧)</sup>.

وقيل ان القوس ((أداة من أدوات الحرب والصيد، تتكون من عدد من الحطب المرن على شكل هلال فيصل بطرفيه وتر من مادة مرنة ويرمى بنبلها الإنسان والحيوان، وكان الرمي بالسهم أو النبال من أهم الفنون الحربية لدى العرب وكانوا يقدرون الأحوال بالقوس، وقد يريدون بها الذراع))<sup>(٨)</sup>، وكذلك فسّر القوس ((بأنه آلة على هيئة تُرمى بها السهام،

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٤٠ / ٥ .

(٢) العين : ١٨٨ / ٥ .

(٣) جمهرة اللغة : ٤٣ / ٣ - ٤٤ .

(٤) المخصص : ٣٧ / ٢ (السفر السادس) .

(٥) سورة النجم : الآية ٩ .

(٦) المفردات : ٦٢٦ / ٢ .

(٧) أساس البلاغة، ص ٥٢٧ وينظر : لسان العرب : ١٨٥-١٨٦ .

(٨) معجم ألفاظ القرآن : ٤٢٥ / ٢ وينظر : المصطلحات العسكرية : ٩٢١ / ٢ .

و— في الهندسة : قطعة من الدائرة، و— في الذراع : لأنه يقاس به المذروع، ويرج في السماء هو تاسع البروج<sup>(١)</sup>، والقسي : (جمع لكلمة قوس وهو نوع من السلاح ترمى به السهام والنبال وغيرها، يصنع من خشب ... ويتكون القوس من البدن والوتر)<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت اللفظة في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>، وفي قوله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾<sup>(٤)</sup>، وقيل : ((أي قدر قوسين عربيتين، وقال قوم : القوس : الذراع، أي كان ما بينهما قدر ذراعين))<sup>(٥)</sup>، وقد فسرت الآية أيضاً بمعنيين أولهما : أي طول قوسين أو طول ذراعين هذا إذا فسرنا القاب بالمقدار، أما إذا فسرناه بقاب القوس، وهو ما بين مقبضه وطرفه، فيتعين ان يكون المعنى (قوسين) لا ذراعين<sup>(٦)</sup> وقد فسر الرازي قوله تعالى بقوله : ((أي بين جبرائيل (عليه السلام) ومحمد (ﷺ) مقدار قوسين أو أقل، ورد هذا على استعمال العرب وعاداتهم، وعلى هذا ففيه لطيفة وهي أن قوله (قاب قوسين) على جعل كونهما كبيرين، وقوله (أدنى) لفصل أحدهما عن الآخر، فان الأمير إذا بايعه الرعية لا يكون مع المبايعين قوس فيصافحه الآخر، فكأنه تعالى اخبر انهما كأمرين كبيرين، فكان بينهما مقدار قوس أو كان جبريل (عليه السلام) سفيراً بين الله تعالى ومحمد (ﷺ)، فكان كالقبع لمحمد (ﷺ) فصار كالمبايع يمد الباع لا القوس ... وعلى هذا نقول ذلك البعد هو البعد النوعي الذي كان للنبي (ﷺ) فانه كان على كل حال بشراً، وجبريل على كل حال ملكاً))<sup>(٧)</sup>.

الا ان ابن كثير بين اقتراب جبريل (عليه السلام) من محمد (ﷺ) في حديث للرسول (ﷺ) قال : ((رايت جبريل له ستمئة جناح))<sup>(٨)</sup>، وهذا يدل على اقتراب جبريل (عليه السلام) من محمد (ﷺ) لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد (ﷺ) قاب قوسين أي بقدرهما إذا مدًّا<sup>(٩)</sup>،

- (١) المعجم الوسيط : ٢ / ٧٧٢ وينظر : معجم المونثات السماعية، ص ١٦٢-١٦٣ .  
(٢) مستند الاجناد في الات الجهاد، ابن جماعة الحموي، تحقيق وشرح : اسامة ناصر النقشبدي (دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد : ١٩٨٣ م)، ص ٥٧ .  
(٣) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٥٥٤ .  
(٤) سورة النجم : الآية ٨، ٩ .  
(٥) تفسير غريب القرآن، ص ٢٤٨ .  
(٦) ينظر : معجم أفاظ القرآن : ٢ / ٤٢٥ .  
(٧) مفاتيح الغيب : ٢٨ / ٢٨٦ .  
(٨) وقد ورد الحديث بالصيغة الاتية عن ابن مسعود عن الرسول محمد (ﷺ) قال : انه رأى جبريل له ستمائة جناح . ينظر : صحيح البخاري : ٣ / ١١٨١ ؛ صحيح مسلم : ١ / ١٥٨ .  
(٩) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٣١٢ .

فقد اشار الصابوني إلى ان المراد من كل ذلك إفادة شدة القرب فكان قريباً منه، وهذا اقترباب جبريل من محمد (ﷺ)<sup>(١)</sup>.

وهذا ما أشار إليه حسنين مخلوف عندما بين معنى قاب قوسين، حيث ذكر ((انه جاء التقدير للأطوال بالذراع والباع والرُمح والسَّوط والقوس، وربما سماوا الذراع قوساً والمعنى عليه : كمقدار ذراعين بل اقرب، وقيل : القابُ : ما بين وتر القوس وقبضتها، وكان العرب في الجاهلية إذا تحالفوا يخرجون قوسين ويلصقون إحداهما بالأخرى، فيكون قاب إحداهما ملاصقاً للأخر حتى كأنهما قاب واحد ثم ينزعونهما معاً ويرمون بهما سهماً واحداً ؟ فيكون ذلك رمزاً إلى أن رضاهم رضاه الآخر وسخطه سخط الآخر، فكان جبريل (ﷺ) ملاصقاً للرسول محمد (ﷺ)، كما يلاصق ألقاب من القوسين، وهذا المعنى اليقُ براوية : ضَمَّهُ إلى نفسه))<sup>(٢)</sup>، إذا يفهم من ذلك أن ورود اللفظة دلالة على شدة القرب الذي كان بين جبريل (ﷺ) ومحمد (ﷺ)، بحيث كان الفاصل بينهما بعد الدنو والتدلي، مقدار طول قوسين عربيتين أو أدنى من طولهما، وهذا الفاصل المقدار الذي هو اسم ((كان)) يفهم من سوابق العبارة : ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى \* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾<sup>(٣)</sup>... وهذا أسلوب بياني لتأكيد تحديد مسافة بقدر طول قوسين عربيتين، وقد يكون (أو أدنى) تعبيراً عن بعض أحوال القرب بينهما<sup>(٤)</sup>، هذا القرب الذي أوحى به سياق الآية (فكان قاب قوسين أو أدنى) يظهر لنا معنى اعمق وأقدس من وراء ذلك القرب هو ((ظهور جبريل (ﷺ) للرسول محمد (ﷺ) ليراه رؤياً عين تصل إلى عمق الفؤاد، وتكون له بُرهان إثبات على انه من عالم الغيب حقاً، وانه رسول الله من الملائكة الذي يبعثه الله إلى رُسُلِهِ من البشر ليبلِّغهم ما أوحى الله به إليهم، ولم يقتصر الأمر على مشاهدة واحدة بل جعلها الله عز وجل مرتين، زيادة في تأكيد الإثبات البرهاني، وليتمَّ تُعرف الرسول على شخصيّة جبريل، حتى إذا جاء بعد ذلك بآية أو سورة تمثيلية، أو بنتزل مسموع الصوت غير مرئي الذات عرفه، ولم يخفَ عليه))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : صفوة التفاسير : ٣ / ٢٧٣ .

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٦٧٥ .

(٣) سورة النجم : الآية ٧، ٨ .

(٤) ينظر : معارج التفكير ودقائق التدبير : ٢ / ١٠٩-١١٠ .

(٥) معارج التفكير ودقائق التدبير : ٢ / ١٠٩-١١٠ .

١٧. حرف الكاف

١٧ - ١ : الكأس

للجذر (كوس) أصل واحد يدل على صَرَع ما يقاربه يقال كأسه يَكُوسُه إذا صرعه، فامَّا الكأس فيقال هو الإناء بما فيه من خمر، وهو من غير الباب<sup>(١)</sup>، والكأس ((مؤنثه... وقيل لا تسمى الكأس كأساً إلا وفيها الشراب، والجمع كُؤُوسٌ وأكُوسٌ وكياسٌ))<sup>(٢)</sup> وهذا أيضاً ما ذهب إليه الفراء بقوله : ((إنما تسمى الكأس إذا كان فيها الشراب، فإذا لم يكن فيها الخمر لم يقع عليها اسم الكأس))<sup>(٣)</sup>.

وقد أشار ابن منظور أيضاً إلى أن : الكأس هي ((الزجاجة ما دام فيها خمر، فإذا لم يكن فيه خمر فهي قدح وكل هذا مؤنث))<sup>(٤)</sup>، وقد بين الرصافي ان الكأس يستعار في جميع ضروب المكاره، كقولنا سقاه كأساً من الذل<sup>(٥)</sup>، ونقول أيضاً ((سقاه كأس الموت، وكؤوس المنايا))<sup>(٦)</sup>، وقيل إن الفرق بين الكأس والقدح ذلك : ((ان كل كأس لا تكون إلا مملوءة والقدح تكون مملوءة وغير مملوءة))<sup>(٧)</sup>، وقيل أيضاً : ((أن كل كأس في القرآن الكريم هي خمر، وكل ما ورد ففي شراب أهل الجنة، ولا يعلم أحد إلا الله تعالى حقيقة المادة التي تصنع منها كأس أهل الجنة، ولكنه الشراب الذي ينعم الله تعالى عليهم بتناوله))<sup>(٨)</sup>.

ذكرت اللفظة في ستة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٩)</sup>، في قوله تعالى : ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾<sup>(١٠)</sup>، فالكأس هنا ((الإناء إذا كان فيه شراب، وقيل الكأس إناء الخمر الذي يشرب منه، فان لم يكن فيه خمر لم يسم كأساً، والدهاق ملأى بشدة الضغط والدهق شدة الضغط في الكأس، فهي ملأى مترعة ليس فيها مزجة ليستوفي حال اللذة))<sup>(١١)</sup>، وقد أشار ابن كثير

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ١٤٦-١٤٧ .

(٢) الصحاح : ٣ / ٩٦٩ وينظر : المفردات، ص ٦٦٧ .

(٣) معاني القرآن، الفراء : ٣ / ٢١٧ .

(٤) لسان العرب : ٦ / ١٨٨-١٨٩ وينظر : المُعَرَّب في ترتيب المعرب، ص ٣٩٨ ومعجم المؤنثات السماعية :، ص ١٦٤ .

(٥) ينظر : الألة وأداة، ص ٢٩١، المعجم الوسيط : ٢ / ٧٧٧ .

(٦) أساس البلاغة، ص ٥٣٢ .

(٧) الفروق في اللغة، ص ٣١٠ .

(٨) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٤٦٣ .

(٩) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٥٨٨ .

(١٠) سورة النبأ : الآية ٣٤ .

(١١) التبيين : ١٠ / ٢٤٧، ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٧٧٧ .

إلى تلك الكأس وما فيها بقوله ((مملوءة متتابعة وصافية))<sup>(١)</sup>، ومثل اللفظ أيضاً في قوله تعالى : ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وقيل ان المعين الجاري من ماء أو خمر، غير أن المراد بالكأس في هذا الموضع الخمر الجارية في العيون، وقيل الظاهرة للعيون<sup>(٣)</sup> وقيل ((ان ذكر هذه الأدوات النفيسة يُشعرُ عن طريق الكناية بما فيها من أنواع اشربة نفيسة لذة للشاربين))<sup>(٤)</sup>، ومثل اللفظ وبنفس المعنى في قوله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾<sup>(٥)</sup> ويلاحظ انه لما ذكر الطعام أعقبه بذكر الشراب والمعنى أي يطوف عليهم خدم الجنة بكأس من الخمر من نهر جارٍ خارج من عيون الجنة<sup>(٦)</sup>، وقيل أيضاً : يُسَمَّى الشراب نفسه كأساً، فيقال : شربت كأساً من تسمية الشيء باسم محله... ووصف الكأس بكونها من معين لإفادة كثرة الخمر في الجنة ﴿بَيِّضَاءَ لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، صفتان للكأس باعتبار ما فيه، أوله بمعنى الخمر، أي إنها بيضاء اللون عند مزجها، لذيدة الطعم والرائحة عند الشاربين وحقيقتها غير حقيقة خمر الدنيا فلذلك قيل : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، أي ليس فيها غائلة كخمر الدنيا. فلا أذى فيها، ولا مضرّة على شاربها في جسم أو عقل، وكذا سائر ما في الجنة<sup>(٩)</sup>.

مما هو ملاحظ للعيان ان الكأس أداة من الأدوات النفيسة التي يحظى بها أهل الجنة إلا ان المعنى الضمني من وراء ذكرها الشراب اللذيذ ذو الرائحة الزكية يخصها الله عز وجل لعباده السابقين في الخيرات.

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٦٠١ .

(٢) سورة الواقعة : الآية ١٨ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٧ / ١٣١-١٣٢ .

(٤) معارج التفكير ودقائق التدبير : ٨ / ٤٤٨ .

(٥) سورة الصافات : الآية ٤٥ .

(٦) ينظر : صفوة التفاسير : ٣ / ٣٣ .

(٧) سورة الصافات : الآية ٤٦ .

(٨) سورة الصافات : الآية ٤٧ .

(٩) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٥٦٧ .

للجذر (كتب) أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء من ذلك الكتاب والكتابة، يقال : كَتَبْتُ الكتابَ اِكْتَبُهُ كَتَبًا ... وَالكُتُبُ : الخُرَزُ ومن الباب الكِتَابُ وهو الفَرْضُ. قال الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾<sup>(١)</sup>...<sup>(٢)</sup>، ومنه قول رسول الله (ﷺ) ((والذي نفسي بيده لأقضيَن بينكما بكتاب الله تعالى...))<sup>(٣)</sup>، أي أراد بحكمه، وقال تعالى : ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>، أي أحكام مستقيمة، ويقال للقدر أيضاً الكتاب<sup>(٥)</sup>، ويقال : ((الكتاب مصدر كتبت))<sup>(٦)</sup>، والكتاب معروف، والجمع كُتُبٌ وَكُتُبٌ<sup>(٧)</sup>، وقيل : أن الكتب في التعارف ((ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ فالأصل في الكتابة : النظم بالخط ولكن يستعار كل واحد للأخر، ولهذا سمي كلام الله كتاباً كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾<sup>(٨)</sup>، وقوله : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾<sup>(٩)</sup>، والكتاب في الأصل مصدر ثم سمي المكتوب فيه كتاباً))<sup>(١٠)</sup>، والكتاب أيضاً ((اسم لما كُتِبَ مَجْمُوعاً، وقيل الكتاب ما اثبت على بني آدم من أعمالهم، والكتاب: الصحيفة والدواة))<sup>(١١)</sup> والكتاب بعد هذا يعني الصحف المجموعة و- الرسالة و- القرآن و- التوراة و- الإنجيل و- مؤلف سيبويه في النحو - وأمّ الكتاب : الفاتحة، وأهل الكتاب : اليهود والنصارى، والأجل والقدر<sup>(١٢)</sup>، وأصل الكتاب : ((ما كتبه الله في اللوح مما هو كائن ثم تنفرع منه

(١) سورة البقرة : من الآية ١٨٣ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة : ١٥٨ / ٥ .

(٣) مسند الشافعي، أبو عبدالله ادريس الشافعي (دار الكتب العلمية، بيروت : د / ت)، ص ٢٣٦ وينظر : فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وآخر (دار المعرفة، بيروت : ١٩٥٩م) : ٢٥٤ / ١٣ .

(٤) سورة البينة : الآية ٣ .

(٥) ينظر : مقاييس اللغة : ١٥٨ / ٥ .

(٦) العين : ٣٤١ / ٥ .

(٧) الصحاح : ٢٠٨ / ١ .

(٨) سورة البقرة : من الآية ٢ .

(٩) سورة مريم : الآية ٣٠ .

(١٠) المفردات، ص ٦٣٨-٦٣٩ .

(١١) لسان العرب : ١ / ٦٩٨-٦٩٩ مادة (كتب) وينظر : الآلة والأداة، ص ٢٩٢ .

(١٢) ينظر : المعجم الوسيط : ٢ / ٧٨١ .

معانٍ ترجع إلى هذا الأصل كقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾<sup>(١)</sup>، أي قضى الله ذلك وفرغ منه وقوله : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾<sup>(٢)</sup>، أي ما قضى الله لنا وقوله : ﴿ لَبَّرَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup>، أي قضى، لأن هذا قد فرغ منه حين كُتِبَ، وتكون كتب بمعنى أمر كقوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> أي أمركم أن تدخلوها<sup>(٥)</sup>. وتحليل اللفظة في القرآن الكريم على عشرة أوجه وجه منها : الكتاب الكتابة، في قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾<sup>(٦)</sup>، يعني الكتاب والحكمة الحلال والحرام مثلها في سورة النساء الآية (٥٤، ١١٣)<sup>(٧)</sup>.

**الثاني :** الكتاب الحساب كما في قوله تعالى في سورة الجاثية : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَآئِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٨)</sup> يعني إلى حسابها<sup>(٩)</sup>.

**الثالث :** الكتاب اللوح المحفوظ، قوله تعالى في سورة الحديد ﴿ إِنَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرِأَهَا ﴾<sup>(١٠)</sup>. وقوله تعالى في سورة ق : ﴿ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾<sup>(١١)</sup>، يعني اللوح المحفوظ<sup>(١٢)</sup>.

**الرابع :** عدة المرأة في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾<sup>(١)</sup>، يعني عدة المرأة.

(١) سورة المجادلة : الآية ٢١ .

(٢) سورة التوبة : من الآية ٥١ .

(٣) سورة آل عمران : من الآية ١٥٤ .

(٤) سورة المائدة : من الآية ٢١ .

(٥) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق : السيد احمد صقر، ط٣ (المكتبة العلمية، المدينة المنورة :

١٩٨١م)، ص ٤٦٢-٤٦٣ .

(٦) الآية : ٤٨ .

(٧) قاموس القرآن في إصلاح الوجوه والنظائر، ص ٤٠٠ وينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل :

٢٢٠ / ١ .

(٨) الآية : ٢٨ .

(٩) قاموس القرآن في إصلاح الوجوه والنظائر، ص ٤٠٠ وينظر:صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٦٣٧ .

(١٠) من الآية : ٢٢ .

(١١) من الآية : ٤ .

(١٢) قاموس القرآن في إصلاح الوجوه والنظائر، ص ٤٠٠ وينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣ /

١٧٦٣ .

**الخامس :** الكتاب أعمال بني آدم، في قوله تعالى في سورة المطففين : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِنسَانِ لَفِي عَلَيْنٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، أي أعمال بني آدم مثلها فيها ونحوه.

**السادس :** الكتاب الرزق والأجل في قوله عز وجل في سورة الحجر : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾<sup>(٣)</sup>، يعني أجلاً ورزقاً، كقوله تعالى في سورة ال عمران : ﴿ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾<sup>(٤)</sup>، أي وقتاً موقوتاً<sup>(٥)</sup>.

**السابع :** كتاب الفرض، في قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾<sup>(٦)</sup>، يعني فرض الله عليكم حل اربعة<sup>(٧)</sup>.

والوجوه الثلاثة الاخرى عني بها الكتب السماوية المنزلة كقوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾<sup>(٨)</sup>، يعني القرآن الكريم ونحوه وله نظائر كثيرة، وكذا في قوله تعالى : ﴿ لَتَحْسِبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾<sup>(٩)</sup>، يعني التوراة، وقوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾<sup>(١٠)</sup>. يعني يا اهل الانجيل<sup>(١١)</sup>.

بعد هذا الاستعراض للمعاني التي حملتها لفظة (الكتاب) الا انها تصب في معين واحد بوصفه آلة العلم ووسيلة واضحة في التعامل لرسم منهج الحياة الذي يجعلنا نميز بين الحق والباطل والحجة من الشبهة، لما يتضمنه من تشريعات وقوانين تشرع وتقوم على كتاب الله المنزل من السماء.

(١) من الآية : ٢٣٥ .

(٢) الآية : ١٨ .

(٣) الآية : ٤ .

(٤) من الآية : ١٤٥ .

(٥) ينظر : قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر، ص ٤٠٠-٤٠١، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٨٣٨/٢ .

(٦) الآية : ٢٤ .

(٧) ينظر : قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر، ص ٤٠١ .

(٨) سورة فصلت : من الآية ٤١ .

(٩) سورة آل عمران : من الآية ٧٨ .

(١٠) من الآية : ٦٤ .

(١١) ينظر : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، ص ٤١ .

وقد وردت اللفظة في مئتين وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم<sup>(١)</sup> في قوله تعالى :  
 ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد اشار القرطبي إلى انه روي في قصص هذه الآية  
 ان ((الهدهد وصل فالقى دون هذه الملكة حجب جدران، فعمد إلى كوة كانت بلقيس صنعتها  
 لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها اياها، فدخل منها ورمى الكتاب على بلقيس  
 وهي - فيما يروى - نائمة، فلما انتبهت وجدته فراعها، وظنت انه قد دخل عليها احد، ثم  
 قامت فوجدت حالها كما عهدت فنظرت إلى الكوة تهماها بامر الشمس، فرأت الهدهد فعلمت.  
 وقيل ايضاً : حمل الهدهد الكتاب بمنفاره وطار حتى وقف على رأس المرأة وحولها الجنود  
 والعساكر فرفرف ساعة والناس ينظرون اليه، فرفعت المرأة رأسها فالقى الكتاب في حجرها.  
 وفي هذه الآية دليل على ارسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة ودعائهم إلى  
 الاسلام))<sup>(٣)</sup> وعلى ما يذكر ان الكتاب كان مختوماً وفي الاثر : كرامة الكتاب ختمه<sup>(٤)</sup>.

وكذا فقد اطلق اللفظ على الكتب السماوية ومن ضمنها القرآن الكريم وذكر بهذا  
 المعنى في الآية الاولى والثانية في كثير من سور القرآن كالبقرة وهود ويونس ويوسف  
 والرعد وابراهيم والحجر والكهف والشعراء والنمل والقصص ولقمان<sup>(٥)</sup>. وتأكيداً لما قلناه قوله  
 تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلفَ  
 فِيهِ ﴾<sup>(٦)</sup>، وقد ذهب النسفي إلى أن معنى القول هو ((أي مع كل واحد منهم كتابه بالحق تبيان  
 الحق ليحكم الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه في دين الإسلام  
 الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق))<sup>(٧)</sup>، فيما أشار سيد قطب بقوله : ((أي انزل الله الكتاب يحكم بين  
 الناس فيما اختلفوا، وهو كتاب واحد حقيقته جاء به الرسل جميعاً وهو تصور واحد في  
 قاعدته، إله واحد ورب واحد، ومعبود واحد، ومشروع واحد لنبي الإنسان... والذي يقرره  
 القرآن في أمر الكتاب هو النظرية الإسلامية الصحيحة في خط سير الأديان والعقائد))<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن : ٥٩٢-٥٩٥.

(٢) سورة النمل : من الآية ٢٨.

(٣) الجامع لاحكام القرآن : ١٣ / ١٢٧.

(٤) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٤٨٣.

(٥) ينظر : معجم الفاظ القرآن : ٢ / ٤٧٤

(٦) سورة البقرة : الآية ٢١٣ .

(٧) مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ١ / ١٤٩ .

(٨) في ظلال القرآن : ٢ / ٣١٣ .

وبهذا فان الكتاب لم ينزل بالحق ليمحو فوارق الاستعدادات والمواهب والطرائق والوسائل، إنما جاء ليحتكم الناس إليه، وإليه وحده حين يختلفون<sup>(١)</sup>.

وكذلك فقد ورد اللفظ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَحْنُ نَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، أي يعلم الحركات حتى من الجمادات... وقيل : ((ما من شجرة في برّ ولا بحرٍ إلا ومكّل مؤكّل بها، يكتب ما تسقط منها... وخلق الألواح، فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقض ما كان من خلق مخلوق، أو رزق حلال أو حرام، أو عمل برّ أو بحر))<sup>(٣)</sup>، وقد أشار أيضاً حسنين مخلوف إلى تفسير هذه الآية وقيل : ((المراد بها القدرة الكاملة على كل الممكنات وقوله : ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾<sup>(٤)</sup> أي إلا في علمه تعالى المحيط بجميع الأشياء إحاطة الكتاب بما فيه، أو إلا في اللوح المحفوظ الذي خط فيه بقلم القدرة أزلاً، وما كان وما سيكون))<sup>(٥)</sup>.

وقد ورد اللفظ أيضاً في قوله تعالى : ﴿ ... جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾<sup>(٦)</sup>، فقد أشار النسفي إلى قوله تعالى : ﴿ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ أي التوراة والإنجيل والزبور، ولما كانت هذه الأشياء في جنسهم اسند المجيء بها إليهم إسناداً مطلقاً، وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبور والكتاب وفيه مسلاه لرسول الله (ﷺ)<sup>(٧)</sup>، فالكتاب المنير على هذا : ((يراد به الكتاب العظيم الذي يشتمل على آيات بيانية كالمصاييح، تكشف الحق والخير وصرات الله المستقيم، للعقول والقلوب والنفوس بما فيها من بينات هاديات دالات على ما فيه سعادة الناس في دنياهم وفي آخرتهم، وقد جاء في القرآن بيان أن التوراة [ كتاب ] وجاء في وصفه إنه هدى ونور، أي : فهو منير))<sup>(٨)</sup>، وبعد تعدد المعاني للفظة الكتاب، فقد ذهب القرطبي إلى أن هذا التعدد في

(١) ينظر : م. ن. : ٢ / ٣١٥ .

(٢) سورة الأنعام : من الآية ٥٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٦٠ .

(٤) سورة الأنعام : من الآية ٥٩ .

(٥) صفوة البيان لمعاني القرآن : ١٧٨ .

(٦) سورة فاطر : من الآية ٢٥ .

(٧) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣ / ١٤٢٣ .

(٨) معارج التفكير ودقائق التدبر : ٧ / ١٤١ .

المعاني للفظلة (كتاب) أراد بها — العلم —، فان ما كتب كان ابعد من النسيان كما في قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ (١) ... (٢).

---

(١) سورة النبأ : الآية ٢٩ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٩ / ١١٩ .

١٧ - ٣ : الكرسي

للجذر (كرس) أصل صحيح يدل على تلبّد شيء فوق شيء وتجمعه. فالكرس : ما تلبّد من الأبعاد والابوال في الديار، واشتقت الكرّاسة من هذا لأنها ورقٌ بعضه فوق بعض<sup>(١)</sup>.

والكّوس : ((مصدر كاس البعير يكون كرّسا إذا قطعت إحدى قوائمه فحبا على ثلاث))<sup>(٢)</sup>، ونقول وقفت على كرّس من أكراس الدار، وهو ما تكرّس من دمنتها تلبّد وأكرست الدار، ومن المجاز : هو طيب الكرّس أي الأصل، وهو في كرّس صدق، وفي كرّس غنى، وقيل : الكرّسي منسوب إلى كرس الملك كقولهم : دهرّي<sup>(٣)</sup>، وقيل أيضاً : ((الكرسي : بالضم، وقد يكسر، السرير، وأداة من خشب وغيره يقعد عليها جمعه كرّسي بالتشديد عليه وكراسي بالتخفيف))<sup>(٤)</sup>، ويشير ابن منظور إلى ان الكرسي معروف واحد الكراسي. وقيل : ((الكرسي ما تعرفه العرب من كرّاس الملوك، وقيل : الكرسي موضع القدمين))<sup>(٥)</sup>، وقيل أيضاً الكرسي هو ((ما يجلس عليه، ولا ينفصل عن مقعد القاعد، وقيل أصله العلم ومنه قيل للصحيفة التي يكون فيها علم كراسة))<sup>(٦)</sup>، وعلى هذا (فالكرسي) تعني : ((السرير - العرش - مقعد من الخشب ونحوه لجالس واحد. ورتبة علمية في الجامعة يشغلها أستاذ (محدث) (...))<sup>(٧)</sup>.

وقد وردت لفظة الكرسي في موضعين من القرآن الكريم<sup>(٨)</sup>، الموضع الأول في قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾<sup>(٩)</sup>، وقد اشار الرازي إلى أن المفسرين اختلفوا على أربعة أقوال (الأول) انه جسم عظيم يسع السماوات والأرض، ثم اختلفوا فيه، فمنهم من قال انه هو نفس العرش، لان السرير يوصف بأنه عرش، وبأنه كرسي، وقال بعضهم : بل الكرسي غير العرش، وهي دونه وفوق السماء السابعة، ومنهم من قال انه تحت الأرض والى

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١٦٩ / ٥ .

(٢) جمهرة اللغة : ٤٨ / ٣ .

(٣) ينظر : أساس البلاغة، ص ٥٤٠، معجم ألفاظ القرآن : ٤٩٠ / ٢ .

(٤) الآلة والأداة، ٢٩٧ .

(٥) لسان العرب : ١٩٤ / ٦، (مادة كرس) .

(٦) الكليات : ٧٧٠ / ٢ .

(٧) المعجم الوسيط : ٧٨٩ / ٢ .

(٨) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٩٠٢ .

(٩) سورة البقرة : من الآية ٢٥٥ .

آخره من الأقوال، علماً أن لفظ الكرسي ورد في الآية وجاء في الأخبار الصحيحة انه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة، واما ما روى عن بعضهم انه قال : موضع القدمين، أو موضع قدمي الله تعالى وتقدس عن الجوارح والاعضاء فوجب رد هذه الرواية أو حملها على أن المراد أن الكرسي موضع قدمي الروح الاعظم.

(القول الثاني) أن المراد من (الكرسي) السلطان والقدرة والملك و(القول الثالث) أن (الكرسي) هو العلم، لان العلم موضع العالم، وهو الكرسي فسميت صفة الشيء باسم مكان ذلك الشيء على سبيل المجاز و(القول الرابع) وهو أن المقصور من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه. والقول عندي أن القول الأول هو المعتمد عليه، لان ترك الظاهر بغير دليل لا يجوز والله اعلم<sup>(1)</sup>.

وقد ذكر القرطبي نقلاً عن ابن عساكر في تاريخه أن قول الرسول (ﷺ) : الكرسي لؤلؤة والقلم لؤلؤه وطول القلم سبعمائة سنة وطول الكرسي حيث لا يعلمه إلا الله... وسائر الروايات تدل على أن المراد من لفظة الكرسي هو الكرسي المشهور مع العرش<sup>(2)</sup>، إلا أن النسفي ذهب إلى أن معنى قوله تعالى يعني : ((علمه ومنه الكراسية لتضمنها العلم والكراسي العلماء وسمي العلم كرسياً تسميةً بمكانة الذي هو كرسي العالم هو كقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾<sup>(3)</sup> أو ملكه تسميةً بمكان الذي هو كرسي الملك أو عرشه، أو هو سرير دون العرش... أو قدرته بدليل قوله تعالى : (ولا يؤوده)، ولا ينقله ولا يشق عليه (حفظهما) حفظ السماوات والأرض<sup>(4)</sup>. وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: أتت امرأة إلى رسول الله (ﷺ) فقالت : ادع الله أن يدخلني الجنة، قال : فعظم الرب تبارك وتعالى وقال : ((إن كرسيه وسع السماوات والأرض، وإن له اطيماً كأطيبي الرجل الجديد من ثقله))<sup>(5)</sup>.

وقيل أيضاً ان الكرسي تعني ((شيء يجلس عليه مُركب من أعواد أو غيرها موضوعة كالأعمدة متساوية، عليها سطح من خشب أو غيره بمقدار ما يسع شخصاً واحداً في

(1) ينظر : مفاتيح الغيب : ٧ / ١٢-١٣ .

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ١٧٩-١٨٠ .

(3) سورة غافر : من الآية ٧ .

(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ١ / ١٧٨-١٧٩ .

(5) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٤١٢ . وقد ورد الحديث بصيغة أخرى وهي ((أن له اطيماً كأطيبي الرجل الجديد إذا ركب من ثقله)) ينظر : العظمة، عبد الله بن محمد بن حيان الأصفهاني، تحقيق : رضاء الله المباركفوري (دار العاصمة، الرياض : ١٩٨٧م) : ٢ / ٥٤٨ .

جلوسه، فان زاد على مجلس واحد وكان مرتفعاً فهو العرش، وليس المراد في الآية حقيقة الكرسي، إذ لا يليق بالله تعالى لاقتضائه التميز، فتعين أن يكون مراداً به غير حقيقته وروي في ذلك عن أبي ذر (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال : ((ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد القيت بين ظهري فلاة من الأرض))<sup>(١)</sup>، وقيل : إنه حديث لم يصح، وقيل أيضاً الكرسي موضع القدمين من العرش، أي لأن الجالس على عرش يكون مرتفعاً عن الأرض فيوضع له كرسي لئلا تكون رجلاه في الفضاء إذا لم يترتب<sup>(٢)</sup>. وبعد كل هذا فان للعلماء في تفسير الكرسي هنا أقوال : ((منهم من فسره بالعلم، ومنهم من فسره بالعرش، ومنهم من فسره بمخلوق عظيم محيط دون العرش، ومنهم من فسره بالقدرة، ومنهم من فسره بالملك، والصحيح عندي أن الكرسي غير العرش والعرش اكبر منه، كما دلت على ذلك الآثار والأخبار، وأذن صار معنى النص على القول الأول : أحاط علمه السماوات والأرض))<sup>(٣)</sup>، وقيل أيضاً أن المراد بالكرسي : ((هنا العظمة والسلطان)) والله اعلم<sup>(٤)</sup>، وثمة رأي لعبد الله الادريسي يفند هذه الآراء المتعددة الدلالات لتفسير لفظة (الكرسي)، وينكر على من يقول بان الكرسي تعني العلم وهذا قول المعتزلة، ويقول : ((بأنهم لجأوا إلى هذا التفسير لإنكارهم الكرسي والعرش ونحوهما، فقال فريق منهم في قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾<sup>(٥)</sup>، أي علمه، وجاؤا على ذلك بشاهد لا يعرف قول الشاعر : \*ولا يكرسى علم الله مخلوف\*، كأنه عندهم : ولا يعلم علم الله مخلوق ويكرسى مهموز، يستوحشون أن يجعلوا لله كرسيًا))<sup>(٦)</sup>.

إذن الكرسي ليس مكاناً للعلم بل هو مكان لمن يجلس عليه من عالم وجاهل وبليد وذكي، فان صح تسمية العلم كرسيًا، لكونه من مكان العالم، صحة تسمية الجهل والبلادة والذكاء كرسيًا لعلاقة المكانية أيضاً !! وكذلك فند قول من قال أن الكرسي مجازاً عن الملك وقال هي من بدع التفاسير أيضاً، وعلى هذا فالذي يصح أن يتجوز به عن الملك هو العرش أو التاج أو المقاليد، لأن هذه الأشياء لا توجد إلا عند الملوك، وهي مظاهر ملكهم، أما الكرسي فلا اختصاص له بالملوك، ولا مظهر فيه من مظاهر الملك وأبهته، وهو موجود عند

(١) العظمة : ٢ / ٥٨٧ ؛ وينظر : التحرير والتنوير : ٣ / ٢٣

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٣ / ٢٣ .

(٣) الأساس في التفسير : ١ / ٥٩٦ .

(٤) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٤٩٠ .

(٥) سورة البقرة : من الآية ٢٥٥ .

(٦) من بدع التفاسير، ص ٢٩-٣٠ .

جميع الرعايا فقرائها وأغنيائها، فلا يصح جعله كناية عن الملك<sup>(١)</sup>، وخلاصة القول عند الادريسي أن ((الكرسي مخلوق عظيم نسبة إلى السماوات والأرض، كحلقة في باب فلاة من الأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كحلقة مفاة في فلاة من الأرض، والآية تبين عظم قدرة الله تعالى، لأن الكرسي وهو بعض مخلوقاته، يسع الدنيا بسماواتها وأرضها ومن فيها وما فيها))<sup>(٢)</sup>.

والموضع الثاني الذي ذكرت فيه لفظة (الكرسي) في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾<sup>(٣)</sup>، هنا الكرسي هي غير الكرسي في الآية السابقة ويُذكر أن سليمان (عليه السلام) لما ملك بعد أبيه، أمر باتخاذ كرسي يجلس عليه للقضاء وأمر أن يعمل بديعاً مهولاً بحيث إذا راه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتهيب، فأمر أن يعمل من أنياب الفيلة مفصصة بالدرر والياقوت، وان يحفّ بنخيل الذهب، وجعلوا من جنبي الكرسي أسدين من ذهب، وكان سليمان (عليه السلام) إذا أراد الصعود وضع قدميه على الدرجة السفلى، فيستدير الكرسي كله، وتنتشر تلك النسور والطواويس أجنحتها<sup>(٤)</sup>، ومعنى الآية أي : ((اختبرناه بان سلّناه الملك مرّة ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾<sup>(٥)</sup>، أي : شيطاناً، ﴿ ثُمَّ أَنَابَ ﴾ أي : رجع إلى ملكه وسلطانه وابهته))<sup>(٦)</sup>، فكانت هذه الحادثة التي اجراها الله عز وجل لسليمان (عليه السلام) اشعاراً له بإبعاده عن ملكه، واختبار حالته النفسية مع ربه من خلال هذه الحادثة التي قضى الله عز وجل ان تكون عرضاً طارئاً، لكنه لم يكن يعلم بأنه عرض طارئ، والقول في القاء جسد في صورة سليمان (عليه السلام) على كرسي سليمان بأنه جني لا يستند إلى خبر عن المعصوم، وإنما تقتصر على ما دل عليه النص القرآني، لان تسمية الذي القاه الله عز وجل على كرسي سليمان (عليه السلام) جسداً يدل على أنه لا يأكل ولا يعاشر النساء، فهو ليس جنياً، لأن الجنّ كالانس يأكلون ويشربون ويعاشرن النساء، وكذلك هو ليس وثناً، لأنه لو كان وثناً أو دمية لاكتشف سليمان أمره سريعاً، ولما كان في الامر اختبار له... والظاهر كون الله تبارك وتعالى القاه على كرسي سليمان، ومن تسميته جسداً، إنه ملك أنزله الله بأمره

(١) ينظر : من بدع التفسير : ٣٠-٣١ .

(٢) م. ن. ص ٢٩ .

(٣) سورة ص : الآية ٣٤ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ١٣٢، تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٤٧ .

(٥) سورة ص : من الآية ٣٤ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٤٤-٤٥ .

فَتَشَكَّلَ جَسَدًا عَلَى صُورَةِ سُلَيْمَانَ (سَلِيمًا)، وتم به امتحان سليمان (سَلِيمًا) في خصوص كرسي ملكه، ولا أحد من الناس غير سليمان يدري بالامر<sup>(١)</sup>.

وبعد كل هذا التفصيل حول وصف كرسي سليمان (سَلِيمًا) والقاء الجسد عليه تبين لنا من ذكر كرسي سليمان أمران أولهما : يوحى السياق القرآني إلى بيان عظمة ملك سليمان الذي وهبه الله له في وصف هذه الأداة الهينة في شكلها العظيم في قدرتها المستوحاة من قوة وصنعة الله الذي يعجز أكبر مخلوق عن صنعته، وثانيها : من طرف آخر يوحى السياق أيضا إلى فتنة المخلوق إذا هو يغفل عن مشيئة الخالق فيبتلى ويعاقب ولا يغفر له إلا أن يرد إلى رشده، فالكرسي ضمن الموضوعين حملت معنيين أحدهما : عظيم والأخر : يسير، فالعظيم في قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا يتعلق بالسلطة المطلقة للباري عز وجل الذي يقود حركة الموجودات بعلمه الغيبي المطلق. والمعنى اليسير فهو خاص بالمخلوقين ملوكاً كانوا أم بسطاء الناس كما في قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر : معارج التفكير ودقائق التدبير : ٥٦٨-٥٦٩.

(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٥٥ .

(٣) سورة ص : الآية ٣٤ .

١٨. حرف اللام

١٨ - ١ : اللوح

للجذر (لوح) أصل صحيح يقال : لاح الشيء يلوح إذا لمَحَ ولمَع، والمصدر اللّوح.. والألواح : ما لاح من السلاح، وأكثر ذلك السيوف. ومن الباب اللّوح : الكتفَ واللّوح أيضاً : الواحد من ألواح السفينة وهو أيضاً كل عظمٍ عريض. وسُمّي لَوْحاً لأنه يُلوح. ومن الباب اللّوح بالضم وهو الهواء بين السماء والأرض<sup>(١)</sup>، وقيل أيضاً : اللوح هو الذي يكتب فيه<sup>(٢)</sup>، وفُسر في قوله تعالى : ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْقُوظٍ ﴾<sup>(٣)</sup>، بالكتاب لأن كَيْفِيَّتَهُ تخفى علينا إلا بقدر ما روي لنا من الأخبار<sup>(٤)</sup>، ومن المجاز : ((ألاح بسيفه وبثوبه، ولوّح به : لمع به ولوّح للكلب برغيف فتبعه، وألاح من الشيء وأشاح : أشفق وحذر، ولوحته بالعصا والنعل : علوته بها، ولاح لي أمرك، ولاح لي فلان : برز ولم يبقى منه إلا الألواح : العظام العراضى للمهزول))<sup>(٥)</sup>، واللّوح أيضاً : ((كل صفيحة عريضة خشباً كانت أو عظماً أو غيرهما، ولّوح الاردواز : لوح من حجرٍ خاص يسهل فيه فحوى الكتابة، ولوح الجسد : كل عظم منه فيه عرض كالكتف. ويقال : فلان تام الألواح : عظيم الخلقة ولم يبقى منه إلا الألواح : العظام العراض، يقال ذلك للمهزول. ولوح الألوان : لوح من الخشب في الألوان الزيتية ومن الصفيح المطلي في الألوان المائية : تجعل عليه الألوان وتُداف))<sup>(٦)</sup>، وقد ذكر الرصافي أيضاً ان العامة تقول لوحة أيضاً، وهي في المعنى عندهم أخص من اللوح، وقد يطلقون اللوح أيضاً على عدة ألواح يؤلف بعضها مع بعض بعضائد من الخشب ويُعمل لها ساقان تقوم عليهما وتدعمها من خلفها دعامة أو دعامتان تستند عليهما فيقيمونها في المدرسة ليكتب عليها الطلاب بالطباشير بعض المسائل الحسابية وغيرها، مما يجري به الدرس<sup>(٧)</sup>.

وردت لفظة (اللوح) في أربعة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٨)</sup> أفراداً وجمعاً، وتأتي

اللفظة في القرآن الكريم على أربعة أوجه منها :

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ٢٢٠ .

(٢) ينظر : الصحاح : ١ / ٤٠٢ .

(٣) سورة البروج : الآية ٢٢ .

(٤) ينظر : المفردات، ص ٦٨٨ .

(٥) أساس البلاغة، ص ٥٧٤ .

(٦) المعجم الوسيط : ٢ / ٨٥١ - ٨٥٢ .

(٧) ينظر : الآلة والأداة، ص ٣٢٠ .

(٨) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٦٥٣ - ٦٥٤ .

**الوجه الأول :** الألواح : الصحف في قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَابِ ﴾<sup>(٢)</sup>، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابِ ﴾<sup>(٣)</sup>، يعني الصحف.

**الوجه الثاني :** اللوح هو اللوح المحفوظ في قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ \* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾<sup>(٤)</sup>.

**الوجه الثالث :** لوحاة يعني لفاحة في قوله تعالى : ﴿ لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾<sup>(٥)</sup>، تلفح الشخص فتدعه اشد سواداً من الليل، ويقال شواهة لأبدانهم.

**الوجه الرابع :** الألواح العوارض التي في السفن في قوله تعالى : ﴿ وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْأَوَابِ وَدُسُرٍ ﴾<sup>(٦)</sup>، يعني ألواح السفينة<sup>(٧)</sup>، وفي تحليل اللفظة – الألواح – في سورة الأعراف : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ ﴾<sup>(٨)</sup>. واعلم أنه تعالى لما بين إنه خص موسى (عليه السلام) بالرسالة ذكر في هذه الآية تفصيل تلك الرسالة فقال : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ ﴾<sup>(٩)</sup>، فقد ذكر الرازي أقوالاً كثيرة عن المفسرين حول هذه الألواح من حيث جورها وطولها، فمنهم من قال أنها كانت عشرة ألواح، وقيل سبعة، وقيل أنها كانت من زمردة جاء بها جبريل (عليه السلام)، وآخر قال : كانت من صخرة صماء لينها الله لموسى (عليه السلام)، وأما كيفية الكتابة، فهناك من قال وهو ابن جريح أن جبريل (عليه السلام) كتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور، إلا أن الرازي يقول إنه ليس في لفظة الآية ما يدل على كيفية تلك الألواح وعلى كيفية تلك الكتابة، فان ثبت ذلك بدليل منفصل قوي، وجب القول به وإلا وجب السكوت عنه<sup>(١٠)</sup>. والألواح هنا تعني : ((الصحف فيها

(١) سورة الأعراف : من الآية ١٤٥ .

(٢) سورة الأعراف : من الآية ١٥٠ .

(٣) سورة الأعراف : من الآية ١٥٤ .

(٤) سورة البروج : الآية ٢١، ٢٢ .

(٥) سورة المدثر : الآية ٢٩ .

(٦) سورة القمر : الآية ١٣ .

(٧) ينظر : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، ص ٤٢١ .

(٨) الآية : ١٤٥ .

(٩) سورة الأعراف : من الآية ١٤٥ .

(١٠) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٤ / ٢٤٦-٢٤٧ .

من كل شيء يختص بموضوع الرسالة وغايتها وبيان كل شيء لشريعة الله والتوجيهات المطلوبة لإصلاح هذه الأمة وطبيعتها التي أفسدها الذل وطول الأمر سواء، والأمر الإلهي الجليل لموسى (عليه السلام) أن يأخذ الألواح بقوة وعزم وان يأمر قومه أن يأخذوا بما فيها من التكاليف الشاقة بوصفه الأحسن لهم أو الأصلح لحالهم. فإنه يوحى بالمنهج الواجب في أخذ كل أمة بكل عقيدة تأتيتها<sup>(١)</sup>.

وقد اختلف المفسرون في شأن هذه الألواح وفي وصفها ونحسب أنها منقولة عن الإسرائيليات التي تسربت إلى التفسير، ... ومهما يكن من تلك الأوصاف فلا تزيد ولا تنقص من حقيقة هذه الألواح. المهم هو ما في هذه الألواح، وتقول الروايات أيضاً ((لا يتعد أن موسى (عليه السلام) كان قد اعد اللوحين من الحجارة ليكتب الله له عليهما ما كان قد وعده من أن يسجل له ولقومه من الدين ما يأتونه وما يذرونها، ولهذا عرف الله في الآية الألواح بأداة التعريف التي تفيد التعيين، إذ هي (أل) التي للعهد<sup>(٢)</sup>). وقيل ان تسمية الألواح التي أعطها الله موسى (عليه السلام) ألواحاً مجاز بالصورة لأن الألواح التي أعطها موسى (عليه السلام) كانت من حجارة، فتسميتها الألواح لأنها كانت على صورة الألواح، وأسندت الكتابة إلى الله تعالى لأنها كانت مكتوبة نقشاً في الحجر من غير فعل إنسان بل بمحض قدرة الله تعالى<sup>(٣)</sup> وكذلك اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقد ذهب سيد قطب إلى بيان ملاحظة التعبير القرآني في تشخيص الغضب فكأنما هو حي وكأنما هو سلب على موسى (عليه السلام) يدفعه ويحركه... حتى إذا (سكت) عنه، وتركه وشأنه عاد موسى إلى نفسه، فأخذ الألواح التي ألقاها بسبب دفع الغضب له وسيطرته... ثم يوضح السياق مرة أخرى أن في هذه الألواح هدى وان فيها رحمة، لمن يخشون ربهم ويرهبونه فتتفتح قلوبهم للهدى، وينالون به الرحمة<sup>(٥)</sup>.

وكما ورد اللفظ بوصفه أداة في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَابٍ وُدُسْرٍ﴾<sup>(٦)</sup>، وقد أشار القرطبي إلى معنى الآية بقوله: ((أي سفينة ذات ألواح و (دُسْر) يعني

(١) في ظلال القرآن : ٩ / ٦٣٥ .

(٢) معارج التفكير ودقائق التدبير : ٤ / ٥٤٨ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٩ / ٩٦ .

(٤) سورة الاعراف : من الآية ١٥٠ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ٩ / ٦٤٤ .

(٦) سورة القمر : الآية ١٣ .

المسامير التي دُسِرَت بها السفينة أي شُدَّت ... والسفينة تركها الله آية لمن بعد قوم نوح (العليه السلام) يعتبرون بها فلا يكذبون الرسل بدليل قوله : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (١)... (٢)، وهنا الألواح هي ألواح السفينة. والظاهر من العبارة تفخيم السفينة وتعظيم أمرها فهي ذات ألواح ودرس، وهي تجري في رعاية الله بملاحظة أعينه وهي جزاء بالتكريم على الاستهزاء، ويصور لنا مدى القوة التي يملكها رصيدها من يغلب في سبيل الله، ومن يبذل طاقته، ثم يعود إليه يسلم له أمره وأمر الدعوة ويدع له أن ينتصر! أن قوى الكون الهائلة كلها في خدمته وفي نصرته والله من ورائها بجبروته وقدرته (٣).

هكذا يوحي السياق القرآني بان ذكر لفظة الألواح تدل على شيئين أولهما : أنها أحكام شريعة الله وتوجيهاته المطلوبة لإصلاح هذه الأمة، والآخر تتحول هذه الألواح الهيئية في شكلها إلى أداة اسناد ودعم لمركب يجري وسط طوفان الماء وينقذ من أراد الله انقاذه، ووراء كل ذلك قدرة الله العظيمة وسيطرته على حركة الموجودات.

(١) سورة القمر : الآية ١٥

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٧ / ٨٧ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٧ / ٦٥٠، قصص الرحمن في ظلال القرآن : ١ / ٦٦٥ .

١٩ - حرف الميم

١٩ - ١ : المائدة

للجذر (ميد) اصلان صحيحان : احدهما يدل ع حركة في شيء والاخر على نفع وعطاء... والاصل الاخر الميّد وماد يميد : اطعم [ و ] نفع، ومادني يميدني : نعشني، قالوا : وسميت المائدة منه، وكذا المائد من هذا القياس والمائدة : الخوان لانها تميد بما عليها أي تحركه<sup>(١)</sup>. وقيل المائدة (( الطعام نفسه وان لم يكن هناك خوان : مشتق من ذلك، وقيل هي نفس الخوان، وقيل لا تسمى مائدة حتى يكون عليها الطعام والافهي خوان))<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن دريد : ((سميت بذلك لانها تميد صاحبها بما عليها من الخبز، وهكذا فسر التنزيل))<sup>(٣)</sup>. غير ان ابن منظور ذهب الى ان المائدة في المعنى مفعولة ولفظها فاعلة... والمائدة ايضاً : الدائرة من الارض<sup>(٤)</sup>، والمائدة (جمعها) موائد<sup>(٥)</sup>. وقيل من الاستعمال الثاني للمائدة ان مائدة معطية كأنها تعطي الاكلين ما يتناولونه منها، وقيل مائدة بمعنى مميدة أي معطاة كما قالوا سر كاتم أي مكتوم<sup>(٦)</sup>.

وقد اشار الرصافي الى ان المائدة اليوم تطلق على شيء كالسرير يصنع من الخشب يقوم على اربع قوائم من الخشب وهو مستطيل او مربع يصنعون الطعام عليه ويجلسون حوله على الكراسي فيأكلون<sup>(٧)</sup>.

وردت لفظة (المائدة) في موضعين من القرآن الكريم<sup>(٨)</sup>. ففي قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٩)</sup>. فقد ذهب الرازي في معنى الآية الى مسائل منها : ان الحواريين وهو اتباع عيسى (عليه السلام) اذ قالوا هل تستطيع سؤال ربك؟ وفيها وجهان : اما شكهم في استطاعة عيسى (عليه السلام)، او شكهم في استطاعة الله، ولا شك ان الاولى اولى، وهذا لا يصدر عن من كان كاملاً في الايمان. وقالوا : ونعلم ان قد صدقنا وهذا يدل على مرض في القلب

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ٢٨٨.

(٢) العين : ٣ / ٤١١ وينظر : المخصص : ١ / ١١ السفر الخامس.

(٣) جمهرة اللغة : ٢ / ٣٠٣.

(٤) ينظر : لسان العرب : ٣ / ٤١١، مادة (ميد).

(٥) المعجم الوسيط : ٢ / ٩٠٠.

(٦) ينظر : معجم الفاظ القرآن : ٢ / ٦٧١.

(٧) ينظر : الألة والأداة، ص ٣٩٣.

(٨) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٦٨٤.

(٩) سورة المائدة : الآية ١١٢.

وكذلك قول عيسى (عليه السلام) لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين الا انهم طلبوا هذه الآية ليحصل لهم المزيد من الطمأنينة<sup>(١)</sup>. وقد ذكر ابن كثير انه ذكر بعضهم انهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقرهم، فسألوا أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتادون منها<sup>(٢)</sup>. وقيل أيضاً : أن طلبهم من عيسى (عليه السلام) أن ينزل عليهم مائدة من السماء وسبب إنزالها هو اعتقادهم قدره الله تعالى على ذلك، لأنهم مؤمنون، وقول آخر أن سؤالهم ذلك من قبيل قول إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾<sup>(٣)</sup>. وقيل أن المائدة كما تطلق على الخوان تطلق أيضاً على نفس الطعام لعلاقة المجاورة<sup>(٤)</sup>.

والمعنى كله بعد هذا يعني أن كنتم مؤمنين بكونه سبحانه وتعالى قادراً على إنزال المائدة فاتقوا الله لتصير تقواكم وسيلة إلى حصول هذا المطلوب، ومعنى القول كأنهم لما طلبوا ذلك، قال عيسى (عليه السلام) لهم : إنه قد تقدمت المعجزات الكثيرة فاتقوا الله في طلب هذه المعجزة بعد تقدم تلك تلك المعجزات القاهرة، وأجابوا وقالوا : أنا لا نطلب هذه المائدة لمجرد أن تكون معجزة بل لمجموع أمور كثيرة : أحدها : أنا نريد أن نأكل منها فان الجوع قد تغلب علينا ولا نجد طعاماً آخر. وثانيها : أنا وان علمنا قدر الله تعالى بالدليل، ولكننا إذ شاهدنا نزول هذه المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة، وثالثها : أن جميع تلك المعجزات التي أوردتها كانت معجزات أرضية وهذه معجزة سماوية وهي اعجب واعظم، فإذا شاهدناها كنا عليها من الشاهدين، ونشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، ونكون عليها من الشاهدين لله بكمال القدرة ولك بالنبوة<sup>(٥)</sup>، إلا أن هناك رأياً مغايراً حول دلالة لفظة المائدة في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾<sup>(٦)</sup>، فيقال : المائدة في الآية تعني العلم أي انهم استدعوا علماً وسماء مائدة من حيث إن العلم غذاء القلوب كما أن الطعام غذاء الأبدان بدليل السياق القرآني في قوله تعالى ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(٧)</sup>...<sup>(٨)</sup>، وكذا

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٣٩ / ١٢ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٢ / ١٥٩ - ١٦٠، الأساس في التفسير : ٣ / ١٥٤٦ - ١٥٤٨ .

(٣) سورة البقرة : من الآية ٢٦٠ .

(٤) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ١٦٦ .

(٥) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٢ / ١٣٨ - ١٣٩ .

(٦) سورة المائدة : من الآية ١١٢ .

(٧) سورة المائدة : الآية ١٢٥ .

(٨) ينظر : المفردات، ص ١٢٥ .

اللفظ في قوله تعالى : ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾<sup>(١)</sup>، والمائدة أيضا هنا أنزلها الله آية ودلالة معجزة باهرة وحجة قاطعة<sup>(٢)</sup>، وبهذا العرض التفسيري للفظة – المائدة – يظهر لنا أن أداة المائدة تتحول في سياقها القرآني إلى دليل ينصبه الله تعالى على قدرته على الأشياء وعلى إجابة دعوة عيسى (عليه السلام) نبيه فيصدقه قومه فيما ابلغ عن الله تعالى خالقه ودلالة حجة على نبوة عيسى (عليه السلام).

---

(١) سورة المائدة : من الآية ١١٤ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٢ / ١٥٩ .

للجذر (معن) أصل يدل على سهولة في جريان أو جري أو غير ذلك، وَمَعَنَ الماء جرى، وماء معين، ومجري الماء في الوادي مُعْنَانٌ، وقيل ومن الباب امعَنَ الفرسُ في عَدْوِهِ، وامعَنَ بحقي : ذهب إليه، ورجلٌ مَعْنٌ في حاجته : سهّل وأمعنت الأرض : رَوَيْتُ وكلاً مَمْعُونٌ : جَرَى فيه الماء<sup>(١)</sup>، وقيل ان اشتقاق الماعون من المعن أي الشيء اليسير إن شاء الله<sup>(٢)</sup>، والماعون أيضاً : ((اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوها، ويسمى الماء أيضاً مَاعُوناً، وقيل الماعون في الجاهلية كل منفعة وعطية، والماعون في الإسلام الطاعة والزكاة ومن الناس من يقول : الماعون اصله مَعُونُه والألف عوض عن الهاء))<sup>(٣)</sup> وهذا ما ذهب إليه ابن منظور بقوله : ((الماعون الزكاة وهو فاعول من المَعْنِ، وهو الشيء القليل فسميت الزكاة ماعوناً بالشيء القليل لأنه يؤخذ من المال ربع عشره وهو قليل من كثير وقيل أيضاً الماعون : المَطْرُ لأنه يأتي من رحمة الله عَفْواً بغير علاج كما تعالج الآبار ونحوها من فُرْضِ المشارب... وكلّه من السهولة والتيسير))<sup>(٤)</sup> والماعون أيضاً : ((الطاعة والانقياد تقول : ضرب دابته حتى أعطت الماعون))<sup>(٥)</sup>. وخلاصة القول إن الماعون : ((كل ما انتفعت به، أو قد يستعار من فأس وقدم وقدر ونحوها من منافع البيت قلت والعامّة عندما تخصص الماعون فلا تطلق إلا على الإناء الذي يؤكل به الطعام وتجمعه مواعين))<sup>(٦)</sup>.

وردت اللفظة — الماعون — في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٧)</sup>، في قوله تعالى : ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، ويختلف أهل التأويل في الذي عني به من معاني الماعون في هذا الموضع، فقال بعضهم : عني به الزكاة المفروضة، قال علي (رضي الله عنه) في قوله : ((ويمنعون الماعون)) قال الزكاة : أي زكاة أموالهم... وقيل الماعون منع الحق... وقيل هو القدر والدلو والفأس، وقال آخرون : الماعون هو المعروف، وقيل : الماعون بلسان قريش

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ٣٣٥ .

(٢) ينظر : جمهرة اللغة : ٣ / ١٤٢ .

(٣) الصحاح : ٦ / ٢٢٠٤-٢٢٠٥ .

(٤) لسان العرب : ١٣ / ٤٠٩-٤١٠، مادة (معن) .

(٥) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٦٤٣ .

(٦) الألة والأداة، ص ٣٨٨ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٦٧١ .

(٨) سورة الماعون : الآية ٧ .

المال<sup>(١)</sup>، وهذا أيضاً ما أشار إليه الرازي بان في دلالة الماعون أقوالاً : منها قول الماعون يعني الزكاة بدليل أن الله ذكره عقيب الصلاة، وقيل أيضاً وهو قول اكثر المفسرين أن (الماعون) اسم لما لا يمنع من العادة ويسأله الفقير والغني، ينسب مانعه إلى سوء كالفأس والقدر والدلو والغربال والقدر وأصحاب هذا القول قالوا : أن الماعون فاعول من المعن وهو الشيء القليل وسميت الزكاة ماعوناً، لأنه يؤخذ من المال ربع العشر فهو قليل من كثير، ويسمى ما يستعار في العرف كالفأس والقدر ماعون وعلى هذا يكون معنى الآية الزجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة وقول آخر، أن الماعون يعني حسن الانقياد، وبعد كل هذا الأولى أن يحمل على كل طاعة يخف فعلها لأنه اكثر فائدة<sup>(٢)</sup>، إلا أن ابن عاشور قال : الماعون يطلق على ما يستعان به على عمل البيت من أنية والآت طبخ ونحو ذلك، مما لا خسارة في إعارته وإعطائه<sup>(٣)</sup>، وبهذا فمعنى الآية تدل على أن : ((المكذَّبُونَ بقانون الجزاء الربَّاني يَمْنَعُونَ إعارة الماعون، وَيَمْنَعُونَ بَدَلُ المعونات اليسيرات، التي لا يَعْْبَأُ الناس بمقادير قيمتها وأثمانها، عن نوي الحاجات لها من جيرانهم ومعارفهم، ولا يخجلون من منعها، ويفعلون هذا، فضلاً عن كونهم يدعُونَ اليتامى،... دلَّ تأخير بيان صفة منعهم للماعون إلى آخر آية في السورة للأشعار بان المراد بالمصلِّين الساهين عن صلاتهم هم المكذبون بالدين أنفسهم، وهم الكفرة المشركون، وان صلواتهم وعباداتهم إنما، هي تقاليد وعادات يفعلونها محافظة على بعض مواريتهم من دين إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام)، كمناسك الحج التي يؤدونها على جاهليتهم ووثنياتهم))<sup>(٤)</sup>، إلا ان المراد القرآني هنا يعطي لأداة الماعون دلالة ضمنية غير دلالتها الظاهرية تحيلنا إلى عدم التجاوز على روح التكليف الإسلامية، وبما أن الزكاة جزء من أركان الإسلام فان منعها يؤدي إلى تعطيل هذه الأركان ومن ثم يؤدي إلى هدم ما جاء به الإسلام.

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري : ٣٠ / ٣٨١-٣٨٣ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب : ٣٢ / ١١٥-١١٦ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٣ / ٥٦٨ .

(٤) معارج التفكير ودقائق التدبر : ١ / ٦٩٦ .

للجذر (متع) أصل صحيح يدل على منفعة وامتداد مدة في خير، منه استمتعت بالشيء، والمتعة والمتاع : المنفعة في قوله تعالى : ﴿بِئُوتَا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. والمتاع من أمتعة البيت، ما يستمتع به الإنسان في حوائجه، وذهب بعضهم أن الأصل في الباب التلذذ...، والمتاع : الانتفاع بما فيه لذة عاجلة وذهب منهم آخر إلى أن الأصل الامتداد والارتفاع<sup>(٢)</sup>. وقيل ان : ((المتاعُ : السلعة والمتاع أيضاً : المنفعة وما تمتعت به، ومنه متعة النكاح، ومتعة الطلاق، ومتعة الحج، لأنه انتفاع))<sup>(٣)</sup>، وقال الراغب الاصفهاني : ((وكل ما ينتفع به على وجه (ما) فهو متاع أو أمتعة، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، أي طعامهم فسماه متاعاً، وقيل وعاءهم وكلاهما متاع وهما متلازمان، فان الطعام كان في الوعاء))<sup>(٥)</sup>، الا ان ابن منظور قال ان من المجاز ان نقول : ((متع النهار متوعاً : ارتفع غاية الارتفاع وهو ما قبل الزوال، وتمع الضحى وتلّع، وتمع النبات، وهذا شيء ماع بالغ في الجودة، والدنيا متاع، وهو كل ما يستمتع به، وهذه أمتعة فلان واماتعه، وتمتعت بالعمرة))<sup>(٦)</sup>، وقيل أيضاً : ((أن المتاع ما تستطيبه النفوس في هذه الحياة ويأتي عليه الفناء، كالمال والنساء والولد، واكثر ما يستعمل في المشتبهات الباطلة))<sup>(٧)</sup>.

وردت اللفظة أفراداً وجمعاً في خمسة وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم<sup>(٨)</sup>، وتأتي

اللفظة في القرآن الكريم على أربعة وجوه :

**الوجه الأول :** متاع أي بلاغ كما في قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَسْكَنٌ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>(٩)</sup>، ومثلها في (الاعراف الآية : ٢) و (الأنبياء ١١١).

(١) سورة النور : من الآية ٢٩ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ٢٩٣-٢٩٤ وينظر : لسان العرب : ٨ / ٣٢٨-٣٣٣، مادة (متع) .

(٣) الصحاح : ٣ / ١٢٨٢ .

(٤) سورة يوسف : من الآية ٦٥ .

(٥) المفردات، ص ٦٩٩ .

(٦) أساس البلاغة، ص ٥٨١ .

(٧) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٦٠٨ .

(٨) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٦٥٨ .

(٩) سورة البقرة : من الآية ٣٦ .

**الوجه الثاني :** متاع يعني منافع كقوله تعالى : ﴿ أَهْلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>، ومثلها في (النور الآية : ٢٩) و (الواقعة الآية : ٧٣) و (النازعات الآية : ٣٣).

**الوجه الثالث :** متاع يعني متعة المطلقة كقوله تعالى : ﴿ وَمَتَّعُوهُمْ عَلَىٰ الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَىٰ الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ﴾<sup>(٢)</sup>، ومثلها في البقرة الآية : ٢٤١.

**الوجه الرابع :** المتاع الحديد والرصاص والصفير كقوله تعالى : ﴿ أَوْ مَتَاعِ زَبَدٍ مِّثْلَهُ ﴾<sup>(٣)...</sup><sup>(٤)</sup>.

والوجه الذي يعيننا بوصفه آلة وأداة ينتفع بها فقد ذكر في خمسة مواضع من القرآن الكريم، في قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعِ زَبَدٍ مِّثْلَهُ ﴾<sup>(٥)</sup> وقيل ان المتاع يعني : ((الآلات التي ينتفع بها))<sup>(٦)</sup>، إلا ان الطوسي ذهب إلى ان المتاع يعني : ((يعني الصفير والحديد، والله يضرب الحق والباطل، كما أوقد على الذهب والفضة والصفير والحديد، فيخلص خالصة كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، قيل : فكذلك الحق بقي لأهله فانتمتعوا به))<sup>(٧)</sup>.

ولسيد قطب أيضاً تفسير يدعم تفسير الطوسي للفظة فيقول : ((إن المتاع هنا يقع في المعادن التي تذاب لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة، أو آنية أو آلة نافعة للحياة كالحديد والرصاص، فان الخبث يطفو وقد يحجب المعدن الأصيل ولكنه بعد خبث يذهب ويبقى المعدن في نقاء، ذلك مثل الحق والباطل في الحياة، فالباطل يطفو ويعلو ولكنه بعد زبد أو خبث، ما يلبث أن يذهب جفاء مطروحاً لا حقيقة له ولا تماسك فيه، والحق يظل هادئاً ساكناً، ولكنه هو الباقي في الأرض كالمعدن الأصيل ينتفع الناس))<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة المائدة : من الآية ٩٦ .

(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٣٦ .

(٣) سورة الرعد : من الآية ١٧ .

(٤) ينظر : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص ١٤٥-١٤٦، تأويل مشكل القرآن، ص ٥١٢ ومعجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٦٠٨-٦٠٩ .

(٥) سورة الرعد : من الآية ١٧ .

(٦) تأويل مشكل القرآن، ص ٥١٢ .

(٧) التبيان : ٦ / ٢٣٩ .

(٨) في ظلال القرآن : ١٣ / ٨٤، ٨٥ .

هكذا يوحي سياق الآية إلى أن لفظة (متاع) مثلت وشبهت بالحق والباطل في الحياة وكذا فقد وردت اللفظة في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾<sup>(١)</sup>، والمتاع هنا يطلق : على ما في الرحال من فرش وغطية وأدوات إلا أنه يشير إلى التمتع والارتياح<sup>(٢)</sup>، وكذا في (الأحزاب الآية : ٥٣)، والمغزى من كل هذا لعل الله أمر يوسف (عليه السلام) بذلك تشديداً للمحنة على يعقوب (عليه السلام)، ونهاه عن العفو والصفح واخذ البديل كما أمر تعالى صاحب موسى بقتل من لو بقي لطغى وكفر<sup>(٣)</sup>.

كما وردت اللفظة بصيغة الجمع في قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لظَالِمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>، وقد اشار القرطبي إلى ان المتاع يعني هنا الصواع، ومعناه أن لو أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده لكننا ظالمين واضعين للشيء في غير موضعه<sup>(٥)</sup> وكذلك اللفظ ورد في قوله تعالى: ﴿ ... وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ ... ﴾<sup>(٦)</sup> وقيل ان المراد به هاهنا أوعية الطعام وتكمل سياق الآية : ﴿ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ... ﴾<sup>(٧)</sup>، أي أصابوا بضاعتهم التي كانوا وزنوها بشري الطعام قد جعلت في وسط أمتعتهم<sup>(٨)</sup>، إذن المتاع في سياق هذه الآية هاهنا ((الوعاء فيه الميرة وهو ينتفع به، أو سمي الوعاء باسم الميرة التي ينتفع بها))<sup>(٩)</sup>، وكذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾<sup>(١٠)</sup>، وقد اوضح القرطبي ان في هذه الآية دليل على تعاطي الأسباب واتخاذ كل ما ينجي ذوي الألباب ويوصل إلى السلامة ويبلغ دار الكرامة<sup>(١١)</sup>.

(١) سورة النحل : من الآية ٨٠ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ١٤ / ٢٦٩، صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٣٥٣ .

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٨ / ١٩٠ .

(٤) سورة يوسف : الآية ٧٩ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ١٥٧ .

(٦) سورة يوسف : من الآية ٦٥ .

(٧) سورة يوسف : من الآية ٦٥ .

(٨) ينظر : التبيين : ٦ / ١٦٥ .

(٩) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٦٠٩ .

(١٠) سورة النساء : من الآية ١٠٢ .

(١١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٢٣٨، صفوة التفاسير : ١ / ٣٠١ .

((الواو والكاف والحرف المعتل : أصيل يدلُّ على شدِّ شيءٍ وشدّه منه الوكاء : الذي، يُشدُّ به. ومن الباب توكَّأتُ على كذا، أي أتكأتُ، لأنّه يتشدَّدُ به ويتقوى به، وأوكأتُ فلاناً إيكاءً : نصبت له متكأً))<sup>(١)</sup>.

وقال ابن دريد : ((اتكأتُ تكأً والاسم التُّكأة وهذه التاء قلبت من الواو))<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر الفراهيدي : ((ان اصل المتكأ من الواو واصله : مُوتكأ فحوّلوا الواو تاءً وادغموها في التاء فشدّدوها وثقلوها))<sup>(٣)</sup>، ويقال طعنه فاتكأه : أي ألقاه على هيئة المتكئ<sup>(٤)</sup>، الا ان الزمخشري قال بانه حينما نقول جاء يتوكأ على هراوته اي يتحامل عليها، ورأيته متكأ على وسادة وسويت له متكأ ورجل تكأة : كثير الاتكاء ومن المجاز : ضربه فاتكأه : إلقاه على هيئة المتكئ ومنه : ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأً﴾<sup>(٥)</sup> لأن من دعوته أعددت له تكأة<sup>(٦)</sup>، وقد اشار ابن منظور إلى ان المُتَكئ في العربية كل من استوى قاعداً على وطاء متمكناً والعامّة لا تعرف المُتَكئ، إلا من مال في قعوده معتمداً على أحد شقيّه. واصله من الوكاء، وهو ما يُشدُّ به الكيس وغيره، كأنه أوكأ مقعدته وشدّها بالقعود على الوطاء الذي تحته<sup>(٧)</sup> وقد ذكر ايضاً ان المتكأ هو ما يجلس عليه للاتكاء، وقيل ايضاً : كرسي منجد له ذراعات وظهر<sup>(٨)</sup> وقد وردت اللفظة في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأً﴾<sup>(٩)</sup>، يقال : انها اتخذت لهنّ مجلساً : ويقال كذلك أن متكأً غير مهموز فسمعت انه إلا تُرَجُّ<sup>(١٠)</sup>.

(١) مقاييس اللغة : ١٣٧ / ٦ .

(٢) جمهرة اللغة : ٢٧٣ / ٣ .

(٣) العين : ٤٢٢ / ٥ .

(٤) ينظر : مجمل اللغة : ٣٣٣ / ١ .

(٥) سورة يوسف : من الآية ٣١ .

(٦) ينظر : أساس البلاغة، ص ٦٨٧ .

(٧) ينظر : لسان العرب : ١ / ٢٠٠-٢٠١ مادة (مكأ) .

(٨) ينظر : المعجم الوسيط : ١٠٦٥ / ٢ .

(٩) سورة يوسف : من الآية ٣١ .

(١٠) ينظر : معاني القرآن، الفراء : ٤٢ / ٢ .

وهذا ما شار إليه الطوسي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا ﴾<sup>(١)</sup> قائلاً :  
(فالمتكا يعني الوسادة وهو النمرق الذي يتكأ عليه)<sup>(٢)</sup>، وللرازي مسائل في هذه الآية منها:

١- إنها سمعت قولهن

٢- أرادت ابداء عذرها فأتخذت مائدة ودعت جماعة من أكابرهن واعتدت لهم متكاً، وقال أيضاً أن في اللفظة وجوه منها :

الوجه الأول : المتكأ النمرق الذي يتكأ عليه الثاني : إن المتكأ هو الطعام، وقيل أن من دعوته ليطعم عندك فقد أعدت له وسادة تسمى متكاً على الاستعارة الثالث : متكاً أترجاً، الرابع متكاً طعام يحتاج إلى أن يقطع بالسكين، لأن الطعام حتى كان كذلك احتاج الإنسان إلى أن يتكأ عليه عند القطع، ثم نقول : حاصل ذلك أنها دعت أولئك النسوة واعدت لكل واحدة منهن مجلساً معيناً<sup>(٣)</sup>. وقيل أيضاً إن في كل مجلس جام فيه عسل واطرج وسكين حاد<sup>(٤)</sup>. وكما هو معلوم أن المتكأ : محل الاتكاء، والاتكاء : جلسة قريبة من الاضطجاع على الجنب مع انتصاب قليل في النصف الأعلى وإنما يكون الاتكاء إذا أريد إطالة أكملت الاستراحة أي حَضرت لهن نمارق يتكئين عليها لتناول الطعام. وكان أهل الترف يأكلون متكئين كما كانت عادة للرومان، ولم تزل أسرة اتكائهم موجودة في ديار الآثار. وقال النبي محمد (ﷺ) ((أما أنا فلا أكل متكاً))<sup>(٥)</sup>، وبهذا يكشف السياق عن مشهد من صنع تلك المرأة الجريئة، التي تعرف كيف تواجه نساء طبقتها بمكر كمكرهن وكيد من كيدهن وهذا من سياق قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا ﴾<sup>(٦)</sup>...<sup>(٧)</sup>.

وبهذا أوحى سياق الآية من ذكر لفظه (المتكأ) أمرين هما أولاً : أرادت امرأة العزيز من وراء إعداد المتكأ للنسوة انتزاع دليل فعلتها التي أفقدتها صوابها ورباطة جأشها في قولها (اخرج عليهن) اقتضى الأمر أن يفقدن النسوة صوابهن من الذهول الذي أصابهن عند رؤية يوسف (عليه السلام) (فقطعن أيديهن) وهذا مجاز من باب المبالغة في شدة الأمر

(١) سورة يوسف : من الآية ٣١ .

(٢) التبيان : ٦ / ١٣١ .

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٨ / ١٢٩ - ١٣٠ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ١١٨ .

(٥) صحيح بن حبان : ١٢ / ٤٤ وينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ٢٦٢ .

(٦) سورة يوسف : من الآية ٣١ .

(٧) ينظر : قصص الرحمن في ظلال القرآن : ٢ / ٢٣١ .

﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾<sup>(١)</sup> عندئذ قالت امرأة العزيز مطلبها الذي في نفسها فقالت :  
﴿ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ ﴾<sup>(٢)</sup> ثم أقرت بذنبها، والأمر الآخر : هو مشيئة الإرادة الإلهية التي  
كشفت النقاب عن حقيقة شاء لها أن تظهر براءة يوسف (عليه السلام) على لسان من اتهمه بها،  
وذلك بتسخير امرأة العزيز لتهيأة المتكأ لتقر بذنبها في سياق قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ  
نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا يرتبط ضمناً مع آخر السورة عند قوله تعالى :  
﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) سورة يوسف : من الآية ٣١ .  
(٢) سورة يوسف : من الآية ٣٢ .  
(٣) سورة يوسف : من الآية ٣٢ .  
(٤) سورة يوسف : من الآية ٥١ .

للجذر (ثقل) أصل واحد يتفرع منه كلمات متقاربة وهو ضد الخفة ولذلك سُمي الجنُّ والانس الثَّقَلَيْنِ لكثرة العدد وانتقال الارض كنوزها في قوله تعالى ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾<sup>(١)</sup> ويقال هي أجساد بني آدم قال الله تعالى : ﴿ تَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> أي اجسادكم ويقال أرتحل القوم بثقلتهم أي بأمتعتهم، واجدٌ في نفسي ثقله، والقياس واحد<sup>(٣)</sup> وجمع النقل انقال ... ومتقال كل شيء ما وازى وزنه<sup>(٤)</sup> اما الفراهيدي فقد قال ان المتقال وزن معلوم قدره. ومتقال الشيء : ميزانة من مثله<sup>(٥)</sup>، وهذا أيضاً ما ذهب اليه الجوهري بقوله ((ان الثقلُ : واحد الاتقال، ومنه قولهم : اعطه ثقله أي وزنه، والمتقال : واحد مثاقيل الذهب. وقيل : دينار ثاقيلٌ إذا كان لا ينقص. ودنانير ثواقيل))<sup>(٦)</sup>. إلا ان الراغب الاصبهاني بين ان اصل الثقل في الاجسام ثم يقال في المعاني نحو أثقله العزم والوزر والثقل في الانسان يستعمل : تارة في الذم وهو اكثر من المتعارف، وتارة في المدح ويقال : في اذنه ثقل : إذا لم يجد سماعه، والمتقال : ما يوزن به وهو من الثقل<sup>(٧)</sup>. ومن المجاز : ((ثقل سمعي، وثقل عليّ كلامك وانت ثقيل على جلسائك. وما انت الا ثقيل الظل ما بارد النسيم، واخذتني ثقله وهي النعسة الغالبة))<sup>(٨)</sup>. والمتقال أيضاً : ((متقال الشيء مثله في الوزن وفي الموازين. وزن مقداره درهم وثلاثة اسباع درهم. جمع : مثاقيل))<sup>(٩)</sup>. وقد ورد اللفظ - متقال - في ثمانية مواضع من القرآن الكريم<sup>(١٠)</sup>. وبوصفه أداة يمكن الانتفاع منها ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ﴾<sup>(١١)</sup>. والمتقال هنا هو وزن الحبة فمعنى الكلام ان كان عمل الخير

(١) سورة الزلزلة : الآية ٢ .

(٢) سورة النحل : من الآية ٧ .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة : ١ / ٣٨٢، مجمل اللغة : ١ / ٣٦٢ .

(٤) ينظر : جمهرة اللغة : ٢ / ٤٨ .

(٥) ينظر : العين : ٥ / ١٣٦-١٣٧ وينظر : لسان العرب : ١١ / ٨٥-٨٧ مادة (ثقل) .

(٦) الصحاح : ٤ / ١٦٤٧ .

(٧) ينظر : المفردات : ١ / ١٠٧، معجم الفاظ القرآن : ٢ / ١٧٨ .

(٨) اساس البلاغة، ص ٧٤ .

(٩) المصطلحات العسكرية : ١ / ١٢٥ .

(١٠) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ١٥٩ .

(١١) سورة الانبياء : من الآية ٤٧ .

بقدر مثقال حبة من خردل أي وزن خردل لا تضع عند الله، أي معناه انه لا يضع لديه قليل الاعمال والمجازاة عليه طاعه كانت او معصية<sup>(١)</sup>.

وكذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾<sup>(٢)</sup> قال المفسرون : ((من يعمل في الدنيا مثقال ذرة من الخير او الشر يُره، وفي معنى هذه الرؤية : قولان : احدهما : انه يراه في كتابه، والثاني : يرى جزاءه))<sup>(٣)</sup>، وهذا أيضاً ما ذهب إليه الصابوني بقوله ((فمن يفعل من الخير زنة ذرة من التراب يجده في صحيفته يوم القيامة ويلق جزاءه عليه. وكذلك من يفعل من الشر زنة ذرة من التراب، يجده كذلك ويلق جزاؤه عليه... وهو مثل ضرب الله تعالى في انه لا يغفل من عمل ابن آدم صغيره ولا كبيرة))<sup>(٤)</sup>.

وكذا في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>(٥)</sup> وليسيد قطب اشارة إلى اننا نجد الخيال يسبح مع الذرات السابحة في الارض او في السماء، او معها علم الله، ومع ما هو اصغر من الذرة واكبر محصوراً من علم الله<sup>(٦)</sup>، ومعنى الآية على العموم هو ما يغيب ويخفى عنه تعالى اصغر شيء في الوجود والامكان. (والمثقال) : ما يوازن الشيء<sup>(٧)</sup>.

وقد ذكر اللفظ أيضاً في سورة النساء ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ... ﴾<sup>(٨)</sup>، وقد اوضح القرطبي معنى قوله تعالى بقوله ((كأنه قال ان الله لا يظلم في هذه الحالة مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها فيرغب بذلك في الايمان والطاعة، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾<sup>(٩)</sup> (مثقال) مفعال من الثقل يقال : هذا على مثقال هذا أي وزن هذا، ومعنى (مثقال الذرة) أي ما يكون وزنه وزن ذرة، واعلم أن المراد من الآية انه تعالى لا يظلم قليلاً ولا كثيراً ولكن الكلام خرج على أصغر ما يتعارفه الناس يدل عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ ﴾

(١) ينظر : التبيان : ٧ / ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) سورة الزلزلة : ٧ .

(٣) زاد المسير في علم التفسير : ٩ / ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٤) صفوة التفاسير : ٣ / ٥٩١ .

(٥) سورة يونس : من الآية ٦١ .

(٦) ينظر : في ظلال القرآن : ١١ / ٤٥٠ .

(٧) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٢٨٠ .

(٨) من الآية ٤٠ .

(٩) سورة النساء : من الآية ٤٠ .

شَيْئاً ﴿١﴾ (...٢)، مع العلم ان المراد من هذه المضاعفة ليس هو المضاعفة في المدة لان مدة الثواب غير متناهية، وتضعيف غير المتناهي محال، بل المراد انه تعالى يضاعف بحسب المقدار، مثلاً يستحق على طاعته عشرة اجزاء من الثواب فيجد له عشرين جزءاً، أو ثلاثين جزءاً، أو أزيد "٣". وكما هو متعارف بأن - المتقال - هو أداة يوزن بها أي ما يسمى بالعرف الاجتماعي (العيار) إلا انه في الاصطلاح القراني كان الاشارة الواضحة إلى محاسبة العبد مستقبلاً على كل شيء لفعله مهما كان هيناً بالثواب او العقاب.

(١) سورة يونس : من الآية ٤٤ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن : ٩ / ١٠٥ .

(٣) ينظر : م. ن. : ٩ / ١٠٧ .

للجذر (شكو) أصل واحد يدل على توجع من شيء، فالشكو المصدر، شكوته [شكواً] شكاةً وشكايَةً... والشكِيّ : الذي يشتكى وجعاً<sup>(١)</sup>. ومنه أيضاً الشكوةُ : ((وعاء من أدم للماء كأنه الدلو يُبرّد فيه الماء والجميع : الشكاء. والمشكاة : طويقٌ صغير في حائط على مقدار كوة. إلا أنها غير نافذة))<sup>(٢)</sup>. وقال الزمخشري : ((شكوت إليه واشتكيت وتشكيت ورأيتُ معه ركوةً وشكوةً وهي سقاء صغير. وكأنه مصباح في مشكاة وهي طويقٌ في الحائط غير نافذ))<sup>(٣)</sup> وقيل ان المشكاة : ((الكوة بلسان الحبشة، وكل كوة غير نافذة فهي مشكاة))<sup>(٤)</sup>. ومما تبين أن المشكاة في كلام العرب ولسان اهل الحبشة هي : الكوة لا منفذ لها، إذا قيل : كيف جاز أن تخاطب العرب بذلك مع قوله تعالى... ﴿عربي مبین﴾<sup>(٥)</sup> بالضم وبالكسر ﴿عربي مبین﴾<sup>(٦)</sup>، فالجواب انه جائز اتفاق الاسم الواحد في نعتين. لا ينكر مثل ذلك فيما يقع الوفاق، فقد يقع الوفاق في الابيات بين الشعارين، فلا ينكر ذلك ومثله الوفاق بين اهل اللسانين، ويجوز أن تكون المشكاة من جملة ما عربته العرب من اللغات فغيرته ونطقت به فصار كلغتها<sup>(٧)</sup>، وكذلك ((فان المشكاة هو - ما يُحمَل عليه أو يوضع فيه القنديل أو المصباح))<sup>(٨)</sup>. وقيل انها في العراق تسمى بالرازونة<sup>(٩)</sup>. وقد وردت لفظة (المشكاة) في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾<sup>(١٠)</sup>، ويذكر الطوسي أن الله منور السموات وينبغي أن يوجه ضرب المثل بالمشكاة على أن ذلك مثل من في مقدوره ثم تنبث الأنوار الكثيرة عنه وهكذا ضرب الله تعالى المثل لنوره الذي هو هدايته في قلوب المؤمنين بالمشكاة وهي الكوة التي لا منفذ لها إذا كان فيها مصباح<sup>(١١)</sup>.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٢٠٧ .

(٢) العين : ٥ / ٣٨٨-٣٨٩ وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٢ / ١٦٩-١٧١ .

(٣) أساس البلاغة : ٣٣٦ وينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ٣٠٤ .

(٤) المُعَرَّب من الكلام الاعجمي : ٣٥١، ينظر : معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٣٠ .

(٥) سورة النحل : الآية ١٠٣ .

(٦) سورة الشعراء : الآية ١٩٥ .

(٧) ينظر : الجمان في تشبيهات القرآن، لابن نايقا البغدادي، ص ١٦٤ .

(٨) المعجم الوسيط : ١ / ٤٩٤ .

(٩) ينظر : الآلة والأداة : ٣٦٤ .

(١٠) سورة النور : من الآية ٣٥ .

(١١) ينظر : التبيان : ٧ / ٣٨٧ .

وقد ذكروا في المشكاة وجوهاً من غير أنها الكوة في الجدار، ومن هذه الوجوه المشكاة : ((القائم الذي في وسط القنديل الذي يدخل فيه الفتيلة، (الوجه الثاني) قيل : هي ههنا قصبه القنديل من الزجاج التي توضع فيها الفتيلة (والثالث) إنها الحلقة التي يعلو بها القنديل، والأول هو الأصح))<sup>(١)</sup>. وبهذا فإن الله سبحانه أراد تشبيه نوره الذي يليق في قلب المؤمن ممثلاً بمصباح بوضعه في مشكاة وهي الطاقة غير النافذة وكونها لا تنفذ ؛ لتكون اجمع للتبصر<sup>(٢)</sup>.

وقد أشار سيد قطب إلى أن هذه الأوصاف هي ((مثل يقرب للإدراك المحدود صورة غير المحدود، أي مثل يقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداها وآفاته المترامية وراء الإدراك البشري الخير. ومن عرض السماوات والأرض إلى المشكاة يوضع فيها المصباح، فتحصر نوره وتجمعه فيبدو قوياً متألقاً))<sup>(٣)</sup>.

وهكذا يوحي السياق إلى أن المعنى صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على اعظم ما يتصوره البشر من الاضاءة والإنارة، وإنما شبه بالمشكاة. وإن كان نور الله اعظم لأن ذلك هو ما يدركه الناس من الأنوار ضرب لهم به مثل<sup>(٤)</sup> ومما هو ملاحظ إن هذا التدرج في العرض الصوري لأوصاف النور والكيفية المقربة للنور الذي عم السماوات والأرض إنما تقريب الوصف بين النور (الهداية) : التي هي بالإدراك بهذا الجزء المحسوس (المشكاة)، ولتعميق اثر الموصوف الذي يظهر حقائق ما خفي عن الإنسان، وتظل الصلة وثيقة – بين وجوه الحق – الجمال لأن كل ما خلق ويخلق دال على ذلك لانه يستمد حقيقته وجماله من خالقه<sup>(٥)</sup>.

هكذا تبين لنا أن أداة المشكاة التي تنبث الأنوار عنها حينما يوضع فيها القنديل أو المصباح مثلها القرآن بنور الله الملقى في قلوب المؤمنين ووضوح صفة هذا النور كصفة مشكاة فيها مصباح، بالرغم من إننا نعلم بان نور الله اعظم من مشكاة فيها مصباح إلا انه ذُكر تمثيلاً لأن ذلك مما يدركه الناس.

(١) مفاتيح الغيب : ٢٣ / ٢٣٦ .

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٤٢٣ ، الإتيان في علوم القرآن : ٣ / ١٤٥ .

(٣) في ظلال القرآن : ١٨ / ١٠٥ .

(٤) ينظر : صفوة التفاسير : ٢ / ٣٤٠ .

(٥) ينظر : القيم الجمالية في السور الملكية، ورقاء يحيى المعاضدي ، ص ٣٢ .

١٩ - ٧ : المصباح - المصابيح

للجذر (صبح) أصل واحد مطرد، وهو لون من الألوان قالوا أصله الحمرة. وقالوا :  
وسمى الصُّبحُ صُبحاً لِحُمْرته كما سُمي المِصْبَاحُ مِصباحاً لِحُمْرته... والمِصْبَاحُ : النافقة تَبْرُكُ  
في مَعْرَسِها فلا تَتَّبَعُ حَتَّى تُصْبِحَ، وَتُصْبِحُ النَّوْمَ بِالغَدَاةِ<sup>(١)</sup>. والمِصْبَاحُ : ((السراج  
بالمِسرَجَة، والمِصْبَاحُ : نَفْسُ السراج وهو قُرْطَةُ الذي تراه في القنديل وغيره، والمصابيح من  
النجوم : أعلام الكواكب، الواحد مصباح))<sup>(٢)</sup>، والمصابيح : (الاقْداح التي يَصْطَبِحُ  
بِها))<sup>(٣)</sup>، قال ابن سيدة : ((قد اسْتَصْبَحْتُ بِالمِصْبَاحِ وَزَهَا السَّرَاجُ - أَضَاءَ وَزَهَا هُوَ  
نَفْسُهُ))<sup>(٤)</sup>.

وقيل أيضاً المصباح: ((ما يسقى منه قال تعالى : ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ  
المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ﴾<sup>(٥)...</sup><sup>(٦)</sup>))، إلا ان الرصافي قال ان المصباح يعني :  
السراج، والسنان العريض، والقَدَحَ الكبير يَصْطَبِحُ به جمعه مصابيح<sup>(٧)</sup>، وقيل ((مصباح  
السماء : نجومها قال تعالى : ﴿وَزَيْنًا سَمَاءَ الدُّنْيَا بِمِصَابِيحٍ﴾<sup>(٨)...</sup><sup>(٩)</sup>).

وردت اللفظة أفرداً وجمعاً في أربعة مواضع من القرآن الكريم<sup>(١٠)</sup>، وهي في القرآن  
الكريم على وجهين : فوجه منهما : المصباح الكوكب، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا  
السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمِصَابِيحٍ﴾<sup>(١١)</sup>، يعني النجوم ومثلها في سورة الصافات : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ  
الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾<sup>(١٢)</sup>. الثاني : المصباح السراج، كما في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٣٢٨.

(٢) العين : ٣ / ١٢٦ وينظر : لسان العرب : ٢ / ٥٠٢-٥٠٦، مادة (صبح) .

(٣) الصحاح : ١ / ٣٧٩-٣٨٠ .

(٤) المخصص : ٣ / ٣٨ \_ ٣٩ (السفر الحادي عشر) .

(٥) سورة النور: من الآية ٣٥ .

(٦) المفردات : ١ / ٤٠٣ .

(٧) ينظر : الألة والأداة، ص ٣٦٥ .

(٨) سورة فصلت : من الآية ١٢ .

(٩) المعجم الوسيط : ١ / ٥٠٧-٥٠٨، المصطلحات العسكرية : ٢ / ٨٥٣ .

(١٠) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٣٦٩ .

(١١) سورة الملك : من الآية ٥ .

(١٢) سورة الصافات : الآية ٦ .

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ ﴿١﴾،  
يعني السراج في القنديل<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت لفظة المصباح بوصفها آلة وأداة في قوله تعالى : ﴿ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال الطوسي : المصباح هنا هو ((السراج ويكون المصباح في زجاجة فيوصف المصباح بقوله (بوقد من شجرة مباركة) أي يشتعل من دهن شجرة مباركة وهي الزيتون الشامية))<sup>(٤)</sup>.

وهذا أيضاً ما أشار إليه الرازي في قوله بان المصباح هنا : يعني السراج واصله في الضوء ومنه الصبح<sup>(٥)</sup>. إلا أن القرطبي قال أن المصباح هنا يعني الفتيل بناره<sup>(٦)</sup>. فبهذا نرى أن الله سبحانه وتعالى أراد تشبيه نوره الذي يلقيه في قلب المؤمن مثله بمصباح، ثم لم يفتح بكل مصباح، بل المصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة، بوصفه في مشكاة، وهي الطاقة غير النافذة، وكونها لا تنفذ، لتكون اجمع للتبصر، وقد جعل فيها مصباح في داخل زجاجة فيه الكوكب الذي في صفائها. ودهن المصباح من أصفى الادهان واقواها وقوداً، لأنه من زيت شجر في أوسط الزجاج لا شرقية ولا غربية، فلا تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار، بل تصيبها الشمس اعدل إصابة. وهذا مثل ضربه الله للمؤمن<sup>(٧)</sup>. كذلك قيل ((يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد نورا على نور، وهدى على هدى، ولذلك قيل : قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يبين له لموافقته له))<sup>(٨)</sup>.

وقد وردت اللفظة (بصيغة الجمع) وبدلالة مغايرة للآية السابقة الذكر، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾<sup>(٩)</sup>، فالمصابيح في هذه الآية تعني : ((الكواكب — أي زين السماء وحسنها وجعلها أي السماء الدنيا بالمصابيح، يعني الكواكب وسميت النجوم مصابيح لاضاعتها))<sup>(١٠)</sup>. وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا ﴾<sup>(١١)</sup> أي ((جعلنا

(١) سورة النور: من الآية ٣٥ .

(٢) ينظر : قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر، ص ٢٧٢ .

(٣) سورة النور : من الآية ٣٥ .

(٤) التبيان : ٥٩ / ١٠ .

(٥) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٣ / ٢٣٦ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٢ / ١٧٠-١٧١ .

(٧) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٤٢٣ .

(٨) من أدب القرآن، ص ٧٤ .

(٩) سورة الملك : من الآية ٥ .

(١٠) التبيان : ٥٩ / ١٠ .

((جعلنا شُهَبًا، فحذف المضاف ودليله : ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾<sup>(٢)</sup> .

وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم بها، وقيل : ((أن الضمير راجع إلى المصابيح على أن الرجم من أنفس الكواكب، ولا يسقط الكوكب نفسه وإنما ينفصل منه شيء يرجم به من غير أن ينقص ضوءه ولا صورته))<sup>(٣)</sup> . وقد أوضح الطوسي ان الله تعالى خلق النجوم لثلاثة خصال : أحدها : زينة السماء، وثانيها : رجوماً للشياطين، وثالثها : علامة يهتدى بها. فعلى هذا يكون تقديره<sup>(٤)</sup>، وقد أوضح أيضاً سيد قطب اختيار لفظة المصابيح لتزين السماء الدنيا بقوله : ((وما السماء الدنيا ؟ لعلها هي الأقرب إلى الأرض وسكانها المخاطبين بهذا القرآن، ولعل المصابيح المشار إليها هنا النجوم والكواكب الظاهرة للعين، التي نراها حين ننظر إلى السماء، فلذلك يتسق مع توجيه المخاطبين إلى النظر في السماء، وما كانوا يملكون إلا أعينهم، وما تراه من أجرام مضيئة تزين السماء... والنص القرآني هنا أيضاً يذكر أن هذه المصابيح التي زين الله السماء الدنيا بها هي كذلك ذات وظيفة أخرى : ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾<sup>(٥)</sup>... ونحن نؤمن أن هناك خلقاً اسمهم الشياطين، وردت بعض صفاتهم بالقران، فلا يمكن أن نزيد عليها شيئاً ونحن نؤمن أن الله جعل من هذه المصابيح التي تزين السماء الدنيا رجوماً للشياطين، في صورة شهب كما جاء في سورة أخرى : ﴿وَحَفِظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾<sup>(٦)</sup> و﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾<sup>(٧)</sup>، لكن كيف ؟ من أي حجم ؟ وفي أي صورة ؟ كل ذلك لم يقل لنا الله عنه شيئاً، وليس لنا مصدر آخر يجوز استقتاؤه في مثل هذا الشأن، فنعلم هذا وحده ولنؤمن بوقوعه، وهذا هو المقصود ... فالرجوم في الدنيا وعذاب السعير في الآخرة لأولئك الشياطين.

(١) سورة الملك : من الآية ٥ .

(٢) الصافات : الآية ١٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ١٣٧-١٣٨ .

(٤) ينظر : التبيان : ١٠ / ٥٩ .

(٥) سورة الملك : من الآية ٥ .

(٦) سورة الصافات : الآية ٧ .

(٧) سورة الصافات : الآية ١٠ .

وعلى هذا فالعلاقة بين الشياطين والذين كفروا علاقة ملحوظة، فلما ذكر مصابيح السماء ذكر اتخاذها رجوماً للشياطين، ولما ذكر ما أُعدّ للشياطين من عذاب السعير ذكر بعدها ما اعده للذين كفروا من اتباع هؤلاء الشياطين<sup>(١)</sup>.

ومثيل اللفظة في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ودلالاتها أيضاً تعني الكواكب المضيئة. وقيل: أن في كل سماء كواكب تضيء، وهذه الكواكب مختصة بالسماء الدنيا، وقوله (حفظاً) أي حفظناها حفظاً، أي من الشياطين الذين يسترقون السمع، وهذا الحفظ يكون بواسطة الكواكب التي تترجم بها الشياطين<sup>(٣)</sup>، ومما هو مؤكد أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وخلق في كلٍّ منها ما اقتضت حكمته أن يكون فيها من الملائكة والنيرات أي النجوم والكواكب، ومما لا يعلمه إلا الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

وبهذا تتبين دلالة المصباح في الاصطلاح القرآني بأنه يحمل معنيين، معنى قريب كونه السراج الذي يستضاء به متمثلاً بنور الله الذي يلقيه في قلب المؤمن فيكون كالسراج التي تبعث منه الأنوار، ومعنى بعيد، كونه نجم في السماء اتخذ لوظائف معينة أحدها زينة السماء، وثانيها رجوماً للشياطين المتمثل بالشهب، وثالثها: علامات يهتدى بها.

((وبهذه القوة البيانية والبراعة الفائقة على التصوير اللتين يتمتع بهما التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم كان خير أداة للكشف عن مكنونات النفس البشرية وما تبطنه من الأمور التي يدركها خالقها))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٢٩ / ١٨٨، ١٩٠.

(٢) سورة فصلت: من الآية ١٢.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥ / ٢٢٥.

(٤) ينظر: صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٦٠٦.

(٥) الجمان في تشبيهات القرآن، عدنان مهدي، ص ٦٨.



يَظْهَرُونَ ﴿١﴾ فالمعارج في هذه الآية تعني : ((الدرج، وهذا الدرَج هو من فضة))<sup>(٢)</sup>، وقد اشار الرازي إلى قوله تعالى : ((أنه لولا أن يرغب الناس في الكفر إذ رأوا الكافر في سعة من الخير والرزق لا عطيتهم اكثر الأسباب المفيدة للتعلم (أحدها) أن يكون سققهم من فضة (وثانيها) معارج أيضاً من فضة عليها يظهرون (ثالثها) أن نجعل لبيوتهم أبوابا من فضة وسرراً أيضاً من فضة عليها يتكئون))<sup>(٣)</sup>، وهذا أيضاً ما أشار إليه ابن كثير في تفسيره فقال : ((هي سلالم ودرج من فضة، (عليها يظهرون) أي يصعدون))<sup>(٤)</sup>، الا ان ابن عاشور ذكر ان معنى القول إن كل ما ذكر من السقف والمعارج وغير ذلك من الفضة والذهب متاع الدنيا لا يعود على من أعطيه بالسعادة الأبدية. فقد ادخرها الله. للمتقين وليست كمثل البهارج والزينة الزائدة التي تصادف مختلف النفوس وتكثر لاهل النفوس الضئيلة الخسيسة<sup>(٥)</sup>.

وكذلك فقد ورد اللفظ في قوله تعالى : ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾<sup>(٦)</sup>، فقد فسر الطوسي معنى قوله تعالى بان المعارج هي مصاعد الملائكة، وقيل : معناه ذي الفواضل العالية، فيكون وصفاً لله تعالى، وتقديره من الله ذي المعالي التي هي الدرجات التي يعطيها أوليائه من الأنبياء والمؤمنين في الجنة، لأنه يعطيهم درجات رفيعة ومنازل شريفة، والمعارج مواضع العروج، واحدها معرج<sup>(٧)</sup>.

إلا أن الرازي يفسر قوله تعالى : ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾<sup>(٨)</sup>، ذاكراً ان المعارج هنا تعني الأرواح المختلفة التي هي كالمصاعد لارتفاع مراتب الحاجات من هذا العالم، وكالمنازل لنزول اثر الرحمة من ذلك العالم إلى ما ههنا<sup>(٩)</sup>، ولسيد قطب إشارة إلى قوله

(١) سورة الزخرف : من الآية ٣٣ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير : ٧ / ٣١٣ .

(٣) مفاتيح الغيب : ٢٧ / ٢١١-٢١٢ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ١٥٩ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٥ / ٢٠٧ .

(٦) المعارج : الآية ٣ .

(٧) ينظر : التبيان : ١٠ / ١١٤ وتفسير القرآن العظيم : ٤ / ٥٣٧ وصفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٧٤٦ .

(٨) سورة المعارج : الآية ٣ .

(٩) ينظر : مفاتيح الغيب : ٣٠ / ١٢٢ .

تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾، تعني التعبير عن التعالي والرفعة كما قال في السور الأخرى :  
﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾<sup>(١)</sup> ...<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يوحي السياق القرآني للفظ (المعارج) بأنها كانت بمثابة كناية عن تكاثر الخير وترقية لدى الفرد المؤمن جزاء على فعل الخيرات، فضلاً عن وظيفة المعارج المعروفة.

---

(١) سورة غافر : من الآية ١٥ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٩ / ٢٧٦ .

للجذر (فتح) أصل يدل على خلاف الإغلاق يقال فتحت الباب وغيره فتحاً، ثم يحمل هذا سائر ما في هذا البناء، والْفَتْحُ والْفَتْاحَةُ : الحُكْمُ والله تعالى الفاتح، أي الحاكم والْفَتْحُ : الماء يَخْرُجُ من عين أو غيرها، والْفَتْحُ : النَّصْرُ والأظفار، وفواتح القرآن : أوائل السُّور<sup>(١)</sup> وقال الجوهري : ((فَتَحْتُ الباب فانفتح، والمِفْتَاحُ : مِفْتَاحُ الباب وكل مستغلق، والجمع مفاتيح ومفاتيح أيضاً))<sup>(٢)</sup>، وقيل أيضاً : ((والمِفْتَاحُ والمِفْتَاحُ ما تَفْتَحُهُ به وهو الإقليد، والجمع المقاليد على غير قياس))<sup>(٣)</sup>، ومن المجاز : ((فُتِحَ على فلان إذا جُدَّ وأقبلت عليه الدنيا، وفتح الله عليه نصره، وإن استفتح الله للمسلمين على الكفار، وفتح الله عليهم فتوحاً كثيرة إذا أمطرهم أمطاراً، وأصابت الأرض فتوح، ويومٌ منفتح بالماء، وفتح المسلمون دار كفر، وبينهم فتاحات أي خصومات))<sup>(٤)</sup>، وقال ابن منظور ان المفتاح يعني مفتاح الباب وكل ما يُفْتَحُ به الشيء<sup>(٥)</sup>، وعلى هذا ذهب الكفوي قائلاً : ((المفتاح آلة الفتح كالمفتاح، والمفتاح جمع مفتاح بالكسر : وهو الآلة التي يفتح بها أو جمع (مفتح) بفتح الميم وهو المكان لا جمع (مفتاح) إذ لو كان كذلك ينبغي أن تقلب ألف المفرد ياء فيقال : مفاتيح))<sup>(٦)</sup>.

وردت اللفظة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٧)</sup>، ففي قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾<sup>(٨)</sup>، وقيل إن المفتاح عبارة عن كل ما يحل غلقاً، محسوساً كان كالقفل على البيت أو مقبولاً كالنظر، وروي عن الرسول (ﷺ) قال : ((إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله فاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه))<sup>(٩)</sup>، وقد اشار القرطبي إلى ان لفظه (مفتاح) في هذه الآية استعارة عن التوصل إلى الغيوب، كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح إلى المغيب عن الإنسان ولذلك قال بعضهم : هو مأخوذ من قول الناس افتح علي كذا، أي اعطني

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٤ / ٤٦٩ - ٤٧٠ .

(٢) الصحاح : ١ / ٣٨٩ .

(٣) المخصص : ١ / ١٣٢ (السفر الخامس) .

(٤) أساس البلاغة، ص ٤٦١ .

(٥) ينظر : لسان العرب : ٢ / ٥٣٧ مادة (فتح) .

(٦) الكليات : ٣ / ٨٦٧ وينظر : المصطلحات العسكرية : ٢ / ٥٦١ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٥١١ .

(٨) سورة الأنعام : من الآية ٥٩ .

(٩) سنن ابن ماجه، القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (دار الفكر، بيروت : د / ت) : ١ / ٦٨

وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٧ .

أو علمني ما أتوصل إليه به، فأنه تعالى عنده علم الغيب ويده الطرق الموصلة إليه، لا يملكها إلا هو فمن شاء اطلعه عليها اطلعه، ومن شاء حجه عنها حجة، ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>...<sup>(٢)</sup>، وهذا أيضاً ما ذهب إليه ابن عاشور في قوله تعالى (مفتاح الغيب) إلى أن (مفتاح) هنا: ((استعارة تخيلية تنبني على مكنية بان شبهت الأمور المغيبة عن الناس بالمتاع النفيس الذي يدخر بالمخازن والخزائن المستوثق عليها بأقوال بحيث لا يعلم ما فيها إلا الذي بيده مفاتيحها... والقرينة في إضافة المفاتيح إلى الغيب، فقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾<sup>(٣)</sup> بمنزلة أن يقول: عنده علم الغيب الذي لا يعلمه غيره<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر اللفظ أيضاً في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾<sup>(٥)</sup>، ومعنى ما ملكتم مفاتيحه هو الوكيل وما جرى مجراه. وقيل أيضاً: هو ما ملكه الرجل نفسه من بيته<sup>(٦)</sup>، وهناك من قال: ((هو خادم الرجل من عبدٍ وقهرمان، فلا بأس أن يأكل كل مما استودعه من الطعام بالمعروف. وعن عروه عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان المسلمون يرغبون في النفي مع الرسول (ﷺ) فيدفعون مفاتيحهم إلى ضمنائهم، ويقولون: قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه، فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل؛ انهم أذنوا لنا من غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء. فأنزل الله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾<sup>(٧)</sup>... وكذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾<sup>(٨)</sup>، فقد أشار الرازي إلى أن في الآية قولين: أحدهما المراد بالمفاتيح المفاتيح، وهي التي يفتح بها الباب، وقالوا كانت من جلود الإبل وكل مفتاح مثل إصبع، وكان لكل خزنة مفتاح<sup>(٩)</sup>. ومن الناس من طعن في هذا القول بحجة مال الرجل لا يبلغ هذا المبلغ، فأبي حاجة إلى تكثير هذه المفاتيح، وكذلك فإن الكنوز من الأموال المدخرة في الأرض، فلا يجوز أن يكون لها مفاتيح، ولكن يجوز القول: أن المال أن كان من جنس العروض، لا من جنس النقد جاز أن يبلغ في

(١) سورة آل عمران: من الآية ١٧٩.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣ / ٧.

(٣) سورة الأنعام: من الآية ٥٩.

(٤) التحرير والتنوير: ٧ / ٢٧٠-٢٧١.

(٥) سورة النور: من الآية ٦١.

(٦) ينظر: التبيان: ٧ / ٤١٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم: ٣ / ٤٠٨.

(٨) القصص: من الآية: ٧٦.

(٩) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٥ / ١٤، تفسير القرآن العظيم: ٣ / ٥٣١.

الكثيرة إلى هذا الحد...، وهناك قول آخر هو أن تحمل المفاتيح على نفس المال وهذا أبين وعن الشبهة ابعء، ومعنى الآية بصورة عامة المراد آتيناها من الكنوز ما أن حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصابة أولى القوة والهداية، أي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف إصنافها تتعب حفظتها والقائمين عليها أن يحفظوها<sup>(١)</sup>، إلا أن سيد قطب أشار إلى أن مفاتيح هذه الكنوز تعني ((المجموعة من أقوياء الرجال))<sup>(٢)</sup>. وكما هو معروف بان (مفاتيح) هي الآلة التي ينتفع بها إلا أنها تتحول في الاصطلاح القرآني إلى دلالة أكثر عمقاً من كونها آلة لفتح كل مستغلق، وإنما هي الأسرار الخاصة بعلمه فقط، وهي المستحيلة علينا حتماً، مثلما يستحيل علينا تشبيهها بالمفاتيح التي تحفظ كنوزنا ومدخراتنا الثمينة.

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٥ / ١٦ .

(٢) في ظلال القرآن : ٣٧٣ / ٢٠ .

للجذر (قلد) اصلان صحيحان يدلُّ أحدهما على تعليق شيء على شيء وليّيه به، والآخر على حَظٍّ ونصيب، فالأول التقليد : تقليد البدنة وذلك أن يعلق في عنقها شيء ليُعلم أنّها هَدْيٌ، واصل القَلْدُ : الفتل يقال : قَلَدتَ الحبلَ اقلدُه قَلْدًا، إذا فَتَلْتَهُ، وحبلٌ قَلِيدٌ ومقلود وتَقَلَّدتَ السيفَ ومَقَلَّدُ الرَّجُلُ : موضع نجاد السيف على منكبِهِ<sup>(١)</sup>، والقَلْدُ : ((إِدَارَتُكَ قَلْبًا عَلَى قَلْبٍ مِنَ الْحَلِيِّ وَلَوْ دَقَقْتَ حديدَةً ثُمَّ لَوَيْتَهَا عَلَى شَيْءٍ فَقَدَ قَلَدْتَهَا، وَالاقْلِيدُ : الْمِفْتَاحُ، يَمَانِيَّةٌ، وَالْمِقْلَادُ : الْخِزَانَةُ، وَيَجْمَعُ مَقَالِيدًا))<sup>(٢)</sup>، وقد ذهب ابن منظور إلى أن المَقْلَدُ : عَصًا فِي رَأْسِهَا اعْوَجَاجٌ يُقْلَدُ بِهَا الْكَلَاءُ، وَالْمَقْلَدُ : الْمَنْجَلُ يُقَطَّعُ بِهِ<sup>(٣)</sup>، وقيل : ((أَنَّ الْمِقْلَادَ مَا يَحِيطُ بِالشَّيْءِ أَخْذًا مِنَ الْقِلَادَةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْإِحَاطَةِ، وَأَمَّا قَوْلُ بَانَ مَعْنَى الْمِقْلَادِ الْمِفْتَاحَ رَبَّمَا يَكُونُ هَذَا مِنْ قَبِيلِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ لِعِلَاقَتِهِ لِلزُّومِيَّةِ، لِأَنَّ الْخِزَانَ وَالْمِفْتَاحَ مُتَلَازِمَانِ غَالِبِيًّا))<sup>(٤)</sup>، ويقال أيضًا : ((الْمَقْلِيدُ : الْمِفْتَاحُ : فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ لُغَةً فِي (الاقْلِيدِ) وَالْجَمْعُ مَقَالِيدٌ وَالْمَقَالِيدُ كَلِمَةٌ قُرْآنِيَّةٌ وَهِيَ عَرَبِيَّةٌ خَالِصَةٌ...))<sup>(٥)</sup>، وعلى هذا فإن المَقْلَدُ يعني : ((الْمِكْيَالُ وَالْمَنْجَلُ وَالْمِفْتَاحُ))<sup>(٦)</sup>. وردت لفظة المقاليد في موضعين من القرآن الكريم<sup>(٧)</sup>، في قوله تعالى : ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٨)</sup>، فقد ذهب الرازي في تفسيره للفظه المقاليد في هذه الآية إلى أن المعنى المعلوم أنه سبحانه وتعالى مالك أمر السموات والأرض وحافظها، وهو من باب الكناية، لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي بيده مقاليدها، ومنه قولهم : فلان ألقى مقاليد الملك إليه وهي المفاتيح<sup>(٩)</sup>، وأشار القرطبي أيضًا إلى : إن مقاليد تعني : ((خِزَانِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَقَالَ غَيْرُهُ : خِزَانِ السَّمَاوَاتِ وَالْمَطَرِ، وَخِزَانِ الْأَرْضِ النَّبَاتِ، وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى اِقَالِيدٌ وَعَلَيْهَا يَكُونُ وَأَحَدُهَا اِقْلِيدٌ، وَالاقْلِيدُ كَمَا ذَكَرْنَا يَعْنِي الْمِفْتَاحَ، وَالْمِقْلَدُ أَيْضًا مِفْتَاحٌ كَالْمَنْجَلِ رَبَّمَا يُقْلَدُ بِهِ الْكَلَاءُ))<sup>(١٠)</sup>. وعن ابن عمران عثمان بن عفان (رضي الله عنه) سأل رسول

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١٩ / ٥ - ٢٠ .

(٢) العين : ١١٦ - ١١٧ / ٥ .

(٣) ينظر : لسان العرب : ٣ / ٣٦٥، مادة (قلد) .

(٤) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٤١٧ وينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ٢ / ١٤٦ .

(٥) المعرب : ص ٣٦٢ .

(٦) المعجم الوسيط ، ٢ / ٧٦٠ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٥٥١ .

(٨) سورة الزمر: من الآية ٦٣ .

(٩) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٧ / ١٢ .

(١٠) الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ١٧٩ وينظر : صفوة التفسير : ٣ / ٨٧ .

الله (ﷻ) عن تفسير قول الله تعالى : ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>، فقال رسول الله (ﷺ): ((ما سألتني عنها أحد، لا اله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده استغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن يحي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير))<sup>(٢)</sup>، ومن قالها أعطاه الله ست خصال : أولها يحرس من إبليس، والثانية يحضره اثنا عشر ألف ملك، والثالثة يعطي قنطاراً من الأجر، والرابعة ترفع له درجة، والخامسة يزوجه الله من الحور العين، والسادسة يكون له من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور، وله أيضاً أجر كمن حج واعتمر فقبلت حجته وعمرته، فان مات من ليلته مات شهيداً، وقيل : المقاليد تعني طاعة مثلما يقال ألقى فلان مقاليد أي طاعة فيما يأمره، فمعنى الآية له طاعة من في السماوات والأرض<sup>(٣)</sup>.

وقد أشار الراغب الأصفهاني في قوله تعالى : ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى أن لفظة (مقاليد) في هذه الآية تعني ما يحيطها، وقيل : خزائنها، وقيل أيضاً : مفاتيحها، والإشارة بكلها إلى معنى واحد وهو قدرته تعالى عليها وحفظه لها<sup>(٤)</sup> ومثيل اللفظ في قوله تعالى : ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>، وقيل : أن مقاليد هنا تعني مفاتيح الرزق من السماوات والأرض، فمقاليد السماوات المطر ومقاليد الأرض النبات<sup>(٦)</sup>.

وعلى هذا فدلالة المقاليد في الآية هي نفس دلالة اللفظ في (الزمر)، وقيل : أن الذي يملك المفاتيح يملك الخزائن<sup>(٧)</sup>. أي يملك كل ما يحيط بالسماوات والأرض وهذا كله يشير إلى قدرة الله عليها وحفظه لها<sup>(٨)</sup>.

وبعد الاطلاع على آراء المفسرين للفظه (المقاليد) نرى أنها مفاتيح وخزائن كناية عن الملك، وبهذه المفاهيم يحيلنا السياق القرآني إلى أن لفظة (المقاليد) تعني الزعامة المطلقة

(١) سورة الزمر: من الآية ٦٣ .

(٢) مجمع الزوائد : ١٠ / ١١٥ وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ١٧٩ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ١٧٩ .

(٤) ينظر : المفردات، ص ٦٢١، معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٤١٧ .

(٥) سورة الشورى : الآية ١٢ .

(٦) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٧ / ١٥٥ .

(٧) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ٨، صفوة التفسير : ٣ / ٨٣٥، صفوة البيان لمعاني القرآن،

ص ٥٩٢ .

(٨) ينظر : معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٤١٧ .

للخالق جلا وعلا على جميع خلقه، فإذا هو المالك للحقوق كافة، وفيما عدا ذلك لا يندرج أي علم سوى باقتباس فضل علمه المطلق.

للجذر (قمع) أصول ثلاثة صحيحة : أحدهما : نزول شيء مائع في أداة تَعْمَلُ له، والآخر إذلال وقهر، والثالث : جنس من الحيوان... فالأول القِمْعُ معروف، وفي الحديث ((ويل لأقماع القول))<sup>(١)</sup>، وهم الذين يسمعون ولا يعون، فكان آذانهم كالأقماع التي لا يبقى فيها شيء<sup>(٢)</sup>، ومن هذا المِقْمَعَة : وهي مسمار يكون في طرف الخشبة مُعَفَّفُ الرأس<sup>(٣)</sup> وقيل أيضاً المِقْمَعَة : ((واحدة المقامع من حديد كالمحجن يضرب بها على رأس الفيل))<sup>(٤)</sup>. ومن المجاز قولنا : ((فلان قَمِعُ الأخبار : يتتبعها ويتحدث بها، وتقول مالكم أسماع إنما هي أقماع، وتركته يتقمع.. يطرد الذباب من فراغه))<sup>(٥)</sup>.

وقد وردت اللفظة في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٦)</sup> في قوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾<sup>(٧)</sup>، وذكر انهم يطمعون (في الخروج) من النار حتى إذا هموا بذلك ضَرَبَتِ الخِزْنَةُ رؤسهم بالمقامع فتخسف رؤسهم فيصب في ادمغتهم الحميم، فيصهر شحوم بطونهم، فذلك قوله في إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ﴿وَيَسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾<sup>(٨)</sup> ...<sup>(٩)</sup>.

ويذكر الطوسي أن المقامع ((جمع مقمعة وهي مدقة الرأس قمعه قمعاً إذا رده عن الأمر، فالزبانية بأيديهم عمد من حديد يضربون بها رؤسهم إذا أرادوا الخروج من النار من الغم الذي يلحقهم والعذاب الذي ينالهم، ردوا بتلك المقامع فيها واعيدوا إلى حالتهم التي كانوا فيها من العقاب))<sup>(١٠)</sup>.

- 
- (١) مجمع الزوائد : ٢٧ / ٥ وينظر مقاييس اللغة : ٢٧ / ٥ .  
 (٢) ينظر : مقاييس اللغة : ٢٧ / ٥، المفردات، ص ٦٢٣ .  
 (٣) ينظر : العين : ١ / ١٨٨-١٨٩، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ٢ / ١٤٨ .  
 (٤) الصحاح : ٣ / ١٢٧٢ وينظر : الألة والأداة، ص ٣٨٢ .  
 (٥) أساس البلاغة، ص ٥٢٣ وينظر : لسان العرب : ٨ / ٢٩٤-٢٩٦، مادة (قمع)، المعجم الوسيط : ٢ / ٧٦٥ .  
 (٦) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٥٥٣ .  
 (٧) سورة الحج : الآية ٢١ .  
 (٨) سورة إبراهيم : من الآية ١٦ .  
 (٩) ينظر : معاني القرآن، الفراء : ٢ / ٢٢٠ .  
 (١٠) التبيان : ٧ / ٢٦٩ .

وقد أشار الزمخشري إلى معنى الخروج : ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم، حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً<sup>(١)</sup> وقيل أيضاً : المقامع المطارق، وهي المرازب أيضاً، وفي الحديث ((بيد كل ملك من خزنة جهنم مزربة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوي بها سبعين خريفاً))<sup>(٢)</sup>، وقيل كذلك : ((سميت سياط لأنها تقمع المضروب، أي تذللّه))<sup>(٣)</sup>، وبهذا يتصور أماننا مشهد عنيف وصاخب، حافل بالحركة... هذه ثياب من نار تقطع وتفصل ! وهذا حميم ساخن يصب فوق الرؤوس يصهر به ما في البطون والجلود عند صبه على الرؤوس ! وهذه سياط من حديد أحمتها النار<sup>(٤)</sup>، وعلى هذه تكون هذه المقمعة آلة تستعمل في القمّع عن الشيء والزجر عنه<sup>(٥)</sup>.

فأنت أمام تصور حالة مأسوية وألم شديد يتشكل في عدم قدرة الكافر على التخلص من واقع مرير ومصير خائب متمثلاً بذكر المقامع الحديدية وتصور المحاولة المستميتة لدفع القيد الحديدي الذي احكم أطباقه عليهم<sup>(٦)</sup>.

نخلص من كل ذلك أن (المقامع) في الاصطلاح القرآني أداة من أدوات التعذيب ووسيلة من وسائل الإذلال للكفرة الذين يستحقون هذا المصير المرير والمؤلم حقاً والذي تتخيله بصورة أعمدة من حديد يضربون بها ومحاولتهم للتخلص من هذه السياط والأعمدة والقيود، وهيهات ذلك فالحسرة تلازمهم والألم يعصرهم والقيد يحكمهم بإطباقه عليهم إطباقاً لا فرار منه، وبهذا يتبين المصير المؤذي الذي يؤول إليه الكافر الجاحد بأنعم الله تعالى، وبهذا يكون ذكر هذه المقامع تحذير لتجنب هذا المصير المخيف.

(١) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٥٠ وينظر : صفوة التفسير : ٢ / ٢٨٦ .

(٢) مصنف بن أبي شيبة : ٧ / ٥٧ وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٢ / ٢٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٢ / ٢٠ .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن : ١٧ / ٥٨٨ .

(٥) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٤٢٦ .

(٦) ينظر : القيم الجمالية في السور المكية، ص ٨٩ .

للجذر (كيل) ثلاث كلمات لايشبه بعضها بعضاً فالأولى الكَيْلُ : كيل الطعام يقال : كَلْتُ فلاناً اعطيته وأكَلْتُ عليه أخذت منه، قال الله سبحانه : ﴿ وَيَلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ \* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ <sup>(١)</sup>...<sup>(٢)</sup>. والمكيالُ : ما يُكَالُ به، ونقول وأكَلْتُ من فلانٍ، وأكَلْتُ عليه، وكَلْتَهُ طعاماً أي : كَلْتُ له<sup>(٣)</sup>. ومن المجاز : ((كأيلناهم صاعاً بصاع : كأفأناهم. ونقول أيضاً : تكأيلوا بالدم، وكأيلته في المقال إذا قلت له مثلما يقول لك، وقال ذلك مُكَايَلَةً أي مقايسة))<sup>(٤)</sup>. وقد أشار ابن منظور إلى ان ((الكيل والمكئل والمكيال والمكيلة : ما كيل به، والكيل وزن، والمكيال هو الصاع الذي يتعلّق به وجوب الزكاة والكفارات والنفقات وغير ذلك وهو مقدر بكيل أهل المدينة دون غيرها من البلدان، وهو مفعال من الكَيْل والميم فيه للآلة. وأما الوزن فيريد به الذهب والفضة خاصة لأن حق الزكاة يتعلّق بها))<sup>(٥)</sup> إذا الكَيْلُ : ما يكال به من حديد أو خشب أو نحوهما و - ما ينتأثر من الزنْد (جمع أكيال))<sup>(٦)</sup>. وقال الرصافي : ((والكَيْل - بالفتح - ما يكال به من آلة))<sup>(٧)</sup>. وقيل ان قيمة المكيال في العراق حجامان : القسط الصغير ويعادل وزناً قدره (٣) أرطال من السوائل والقسط الكبير كان ضعف الصغير تماماً أي أن سعته ٢،٤٣٣٦ لتر. وفي مصر كان القسط الواحد، فيما يبدو =  $\frac{1}{4}$  صاع<sup>(٨)</sup>. وعلى هذا فالمكيال : ((آلة مُعَدَّة للكيل والجمع مكاييل))<sup>(٩)</sup>.

وقد وردت لفظة المكيال في موضعين من القرآن الكريم<sup>(١٠)</sup>. وبدلالة الآلة المُعَدَّة للكيل والوزن. في قوله تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾<sup>(١١)</sup>، فقد أشار

(١) سورة المطففين : الآية ٣ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة : ١٥٠ / ٥ .

(٣) ينظر : العين : ٥ / ٤٠٦، الصحاح : ٥ / ١٨١٤ .

(٤) أساس البلاغة، ص ٥٥٤ .

(٥) لسان العرب : ١١ / ٦٠٤ - ٦٠٥ مادة (كيل) .

(٦) المعجم الوسيط : ٢ / ٨١٤ .

(٧) الآلة والأداة : ٣٠٩ .

(٨) ينظر : المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٦٥ .

(٩) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ٢ / ١٧٦ .

(١٠) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٦٤٤ .

(١١) سورة هود : من الآية ٨٥ .

الطوسي إلى قوله تعالى أن ((هنا حكاية ما قاله شعيب (عليه السلام) لقومه. وأنه أمرهم أن يوفوا المكيل والميزان بالقسط يعني بالعدل والسوية))<sup>(١)</sup>. أما القرطبي فقد فسّر قوله تعالى ﴿... أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ أنه المقصود أن يصل كل ذي نصيب إلى نصيبه. وليس يريد إيفاء المكيال أو الموزون لأنه لم يقل : أوفوا المكيال وبالميزان. بل أراد لا تنقصوا حجم المكيال عن المعهود. وكذا الصنجات<sup>(٢)</sup>، إلا أن ابن عاشور بين أن إعادة النداء في جملة (ويا قوم أوفوا المكيال) لزيادة الاهتمام بالجملة والتنبيه لمضمونها، وهو الأمر بإيفاء المكيال والميزان. وهذا الأمر تأكيد للنهي عن نقصهما والشيء يؤكد بنفي ضده<sup>(٣)</sup>، وهكذا نكون على علم أن عدم الإنقاص في الكيل والميزان مطلوب، وكذلك أن توفية المكيال والميزان مطلوبة. لانهما أمرٌ واحدٌ، والحق سبحانه لا يتكلم عن المكيل ولا عن الموزون إلا بإطلاقهما، وهو كل عمل فيه واسطة بين البائع والمشتري<sup>(٤)</sup>. وبهذا يتبين أن ((إيفاء الكيل والميزان أقوى من عدم نقصهما، لأنه أقرب إلى جانب الزيادة))<sup>(٥)</sup>. وقيل أيضاً ((إن المراد هنا هو ما يكال من قمح ونحوه وعلى هذا يكون المعنى : لا تبيعوا القمح ونحوه ناقصاً أقل مما يستحقه المشتري))<sup>(٦)</sup>. وكذلك فقد ورد اللفظ في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾<sup>(٧)</sup>، فقد ذكر القرطبي قائلاً : ((إن أهل شعيب (عليه السلام) كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف. وكانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه وظلموا، وإن جاءهم مشتراً للطعام باعوه بكيل ناقص. وشحوا له بغاية ما يقدرون. فأصروا بالإيمان اقلعاً عن الشرك، وبالوفاء نهياً عن التطفيف))<sup>(٨)</sup>، وكل هذا كان نداءً لأهل شعيب (عليه السلام) عن مظلمة كانت متفشية فيهم وهي خيانة المكيال والميزان<sup>(٩)</sup>. وقيل : ((ولما كانت أعمالهم هذه من أكل أموال الناس بالباطل كان من عناصر نُصْحِهِ (عليه السلام) في دعوته لهم، أن ينهاهم عن النقص في المكيال، وعن النقص في الميزان))<sup>(١٠)</sup>. وعلى هذا فإن

(١) التبيان : ٤٨ / ٦ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٥٨ / ٩ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣٧ / ١٢ .

(٤) ينظر : الشعراوي : ٦٦٠٣ / ١١ .

(٥) قصص الرحمن في ظلال القرآن : ٣٦٥ .

(٦) معجم ألفاظ القرآن : ٥٥٣ / ٢ .

(٧) سورة هود : من الآية ٨٤ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن : ٥٧ / ٩ .

(٩) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣٦ / ١٢ .

(١٠) معارج التفكير ودقائق التدبر : ٣٧٥ .

الامر يبدو مفسدة عظيمة لأنه يجمع خصلتي السرقة والغدر، ولأن المتكالم مسترسل متسلم<sup>(١)</sup>. وبهذا تحيلنا آلة - المكيال - في الاصطلاح القرآني إلى دلالة يُراد من ورائها تحقيق الموازنة السوية في اكتيال الأشياء وهذا هو المعيار السوي والمطلوب الذي يرضى به من يخاف الله ويهابه.

---

(١) ينظر : معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٥٥٣ .

للجذر (نس) اصلان صحيحان : يدل أحدهما على إغفال الشيء والثاني على ترك الشيء... وقال بعضهم : الأصل في الباب النسيان. ونسأتها : ضربتها بالمنسأة : العصا. وهذا أقيسُ الآن العصا كأنه يُبَعَدُ بها الشيء ويُدْفَعُ... والنسي في كتاب الله : التأخير كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾<sup>(١)</sup>...<sup>(٢)</sup>، والمنسأة : ((العصاة لأن صاحبها ينسأ من نفسه وعن طريقة الأذى، وبها سميت عصا سليمان (عليه السلام) : منسأة))<sup>(٣)</sup> وقد ذكر الجوهري أن المنسأة هي العصا يُهْمَزُ ولا يُهْمَزُ<sup>(٤)</sup>، وقيل أيضاً : ((المنسأة : العصا : وهي مفعلة من نسأت الدابة إذا سقتها))<sup>(٥)</sup>. وهي أيضاً : العصا الغليظة التي تكون مع الراعي<sup>(٦)</sup>. قال الرصافي جمع المنسأة مناسئ<sup>(٧)</sup>. ويرى بعض المفسرين أن النسئ عندهم أن يضاف أيام إلى السنة القمرية لتعادل السنة الشمسية حتى يأتي زمن الحج في فصل من السنة لا يتغير<sup>(٨)</sup>.

وقد وردت اللفظة - المنسأة - في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٩)</sup>. في قوله تعالى ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ... ﴾<sup>(١٠)</sup>، وقد أشار الرازي إلى تفسير الآية بقوله : ((وفيها دحض وتكذيب قول الجن بأنها تعلم الغيب لأنها لو كانت تعلم لما لبثت في العذاب المهين تعمل بين يديه، كما قال تعالى : ﴿ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾<sup>(١١)</sup>، وقيل أيضاً : كان سليمان (عليه السلام) يقف في عبادة الله ليلة كاملة ويوماً تاماً وفي بعض الأوقات يزيد عليه، وكان له (عصا) يتكئ عليها واقفاً بين يدي ربه، ثم بعض الأوقات كان واقفاً على عادته في عبادته إذ توفي، فظن جنوده إنه في العبادة وبقي كذلك أياماً وتمادى شهوراً، ثم أراد الله إظهار الأمر، فقدر أن أكلت دابة الأرض

(١) سورة التوبة : من الآية ٣٧ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ٤٢١-٤٢٣ .

(٣) العين : ٧ / ٣٠٥-٣٠٦ .

(٤) ينظر : الصحاح : ١ / ٧٦، لسان العرب : ١ / ١٦٦-١٦٩ مادة (نساء)، مجاز القرآن : ٢ / ١٤٥ .

(٥) تفسير غريب القرآن : ٢٥٤ وينظر : غريب القرآن : ٣٠٩، روائع البيان في تفسير آيات الاحكام من

القرآن، محمد علي الصابوني، ط ١ (دار الجليل، د/م : ٢٠٠١م)، ص ٢٧٦ .

(٦) ينظر : المعجم الوسيط : ٢ / ٩٢٤، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ٢ / ٢٣٨ .

(٧) ينظر : الألة والأداة، ص ٣٩٨ .

(٨) ينظر : معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٧٠٦ .

(٩) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٦٩٨ .

(١٠) سورة سبأ : من الآية ١٤ .

(١١) سورة سبأ : من الآية ١٤ .

عصاه فوق وعلم حاله، عندئذ جاء قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾<sup>(١)</sup>، فتبين أن الجن لم تعلم إلا الأشياء الظاهرة، وان كانت خفية إلى الإنسان، وتبين لهم الأمر بأنهم لا يعلمون الغيب إذ كانوا يعلمونه لما بقوا في الأعمال الشاقة ظانين أن سليمان حي))<sup>(٢)</sup>. هكذا نرى أن الأرضة كانت هي الدالة على موت سليمان (عليه السلام) الذي بقي خافي الحال إلى أن سقط ميتاً لانكسار (العصا) لاكل الأرضة إياها - فكان لسقوط العصا دلالة على إعلامهم بموت سليمان (عليه السلام)<sup>(٣)</sup>، وبهذا تبين للأُنس أن الجن لا تعلم الغيب لانهم كانوا يقولون : أن الجن يعلمون الغيب الذي يكون في المستقبل<sup>(٤)</sup>، وبهذا يظهر للعيان ان دلالة العصا التي هي المنسأة كانت في هذه الآية إشارة واضحة على جهل الجن، فهنا رجل يموت وهو واقف على عصاه فلا تكتشف الجن من حوله انه مات بدليل انهم يبقون على حالهم من السخرة في خدمته<sup>(٥)</sup>.

وهكذا يتبين لنا أن المنسأة هذه الأداة الهيئية في الشكل يحولها السياق القرآني إلى أداة قَدَحَتْ في علم الجن وفضحت جهلهم بالغيب مثلما كشفت للبشر أن الله سبحانه وتعالى هو وحده العالم بكل شيء وان أيا من مخلوقاته مهما كان بتصورنا كبيراً لكنه يبقى عاجزاً أمام عظمة علم الخالق المطلق.

(١) سورة سبأ : من الآية ١٤ .

(٢) مفاتيح الغيب : ٢٥ / ٢٥١ وينظر : صفوة البيان القرآن، ص ٥٤٢ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٤ / ١٧٨ .

(٤) ينظر : صفوة التفاسير : ٢ / ٥٤٩ .

(٥) ينظر : كتاب القرآن، ص ١٧٠ .

١٩ - ١٤ : المهد - المهاد

للجذر (مهد) أصل واحد يدل على توطئة وتسهيل للشيء ومنه المَهْدُ، ومَهَّدت الأمر : وَطَّأته، وتمهَّدت : توطأ، والمهاد : الوطاء من كل شيء... وجمع المهاد مُهَدُّ (١) والمَهْدُ : ((الموضع يهياً لينام فيه الصَّبِي... والمهاد اسم أجمع من المَهْدِ كالأرض)) (٢) والمَهْدُ معروف ونقول مهَّدت الفراش تمهيداً، والفراش يعني المهاد وكل شيء وطأته فقد مهَّدته (٣)، وقيل ان سبب إطلاق لفظة المهاد للفراش وذلك لوثارته لان اصل المَهْد التوثير (٤).

وبهذا فان المهد والمهاد هو المكان الممهَّد الموطأ (٥). وقد قيل : ((مهَّد لنفسه : نظر لها ودبَّر ما ينفعها كما يمهد الرجل فراشه، والفاعل ماهد والجمع الماهدون)) (٦). وقيل أيضاً : المهاد : ((يعني الفراش أو الأرض المنخفضة المسرَّبه الممهَّدة، أو المهد السرير يهياً للطفل)) (٧)، وتحليل لفظة - المهد - في القرآن الكريم على أربعة وجوه منها :

**الأول :** المهد : حجر الأم كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ (٨).

**الثاني :** التمهيد يعني التوطين كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَهَّدتْ لَهُ تَمْهيداً ﴾ (٩)، يعني وطنت له توطيئاً.

**الثالث :** المهاد يعني الفراش كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَاداً ﴾ (١٠)، يعني فراشاً مثله في سورة طه.

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ٢٨٠ .

(٢) العين : ٤ / ٣٠-٣٢ وينظر : لسان العرب : ٣ / ٤١١، مادة (مهد) .

(٣) ينظر : جمهرة اللغة : ٢ / ٣٠٢ .

(٤) ينظر : لسان العرب : ٣ / ٤١٠، مادة (مهد) .

(٥) ينظر : المفردات، ص ٧٢٣ .

(٦) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٦٦١ وينظر : المصطلحات العسكرية : ٢ / ٦٥٠ .

(٧) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ٢ / ٢١٣ .

(٨) سورة مريم : الآية ٢٩ .

(٩) سورة المدثر : الآية ١٤ .

(١٠) سورة النبأ : الآية ٦ .

**الرابع** : المهد يعني جمع الثواب كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، أي يجمعون الثواب والكرامة في الجنة<sup>(٢)</sup>. وقيل : أن المهد ((فراش يهياً للصبى ليضطجع فيه وينام، وهو في الأصل مصدر سمي به الفراش لأنه يمهد))<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت اللفظة في أحد عشر موضعاً من القرآن الكريم، وبصيغتي (مهد، ومهاد) الدالة على معنى واحد، وهو الفراش والبساط الموطأ لراحة الإنسان وقد وصفت به الأرض أيضاً استعارة ومجازاً عن الاستقرار والراحة، كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً ﴾<sup>(٤)</sup>، فقد ذكر الطوسي ان لفظه المهاد هنا تعني الوطاء وهو القرار المهيأ للتصرف فيه من غير أذية. وقيل أيضاً : هو البساط<sup>(٥)</sup>، إلا ان الرازي يبين أن الله تعالى لما حكى عنهم إنكار البعث والحشر، أراد إقامة الدلالة على صحة الحشر قدم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادراً على جميع الممكنات عالماً بجميع المعلومات، فلذلك فقد ذكر الله ههنا من عجائب مخلوقاته أمورا (أولها) ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً ﴾<sup>(٦)</sup>، علماً ان المهاد مصدر ثم ههنا احتمالات (أحدها) المراد منه هنا الممهد، أي ألم نجعل الأرض ممهودة وهذا من باب تسمية المفعول بالمصدر (وثانيها) أن تكون الأرض وضعت بهذا المصدر كما تقول : زيد جود وكرم وفضل، كأنه لكماله في تلك الصفة صار عين تلك الصفة (وثالثها) أن تكون بمعنى ذات المهاد، وقرى مهدياً، ومعناه أن الأرض للخلق كالمهد للصبى وهو الذي مهد له فينوم عليه<sup>(٧)</sup>، وعلى هذا فان الأرض جُعِلَتْ فَرِاشاً موطأ كالمهد لتمكين الخلق من الاستقرار عليها والتقلب في إنحائها والانتفاع بما أودعناه لكم فيها وهذا التشبيه من باب المبالغة في جعل الأرض موطأ للناس والدواب يقيمون عليها، أو بتقدير مضاف : أي ذات مهدياً<sup>(٨)</sup>، وبعد كل ذلك نجد اننا امام حقيقة محسوسة للإنسان في أي طور من اطوار حضارته ومعرفته، فلا تحتاج إلى علم غزير لإدراكها في صورتها الواقعة<sup>(٩)</sup>، ومثيل اللفظ في قوله تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَاداً ﴾<sup>(١٠)</sup>، وقد صور لنا سيد قطب في ظلاله صورة الارض وهي

(١) سورة الروم : من الآية ٤٤ .

(٢) ينظر : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، ص ٤٤٥ .

(٣) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٦٦١ .

(٤) سورة النبأ : الآية ٦ .

(٥) ينظر : التبيان : ١٠ / ٢٣٩ .

(٦) سورة النبأ : الآية ٦ .

(٧) ينظر : مفاتيح الغيب : ٣١ / ٦-٧ .

(٨) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٧٧٥ .

(٩) ينظر : في ظلال القرآن : ٣٠ / ٤٢٨ .

جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴿١﴾، وقد صور لنا سيد قطب في ظلاله صورة الارض وهي جُعِلَتْ مهد كمهد الطفل، وما البشر إلا أطفال هذه الأرض، يضمهم حضنها ! وهي ممهدة لهم كذلك للسير والحرث والزرع والحياة ... وكأنما هو المهد الحاني على الطفل يضمه ويرعاه، والخالق المدبر الذي جعل الأرض مهدياً، وشق للبشر فيها طرقاً<sup>(٢)</sup>، وكذا اللفظ في سورة الزخرف : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾<sup>(٣)</sup> وقد أشار أيضاً ابن كثير إلى أن هذه الأرض فراشاً ساكنة مستقرة ثابتة يسرون عليها الناس ويقومون وينامون ويتصرفون، مع أنها مخلوقة على تيار الماء، لكن أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا<sup>(٤)</sup>، إلا ان لفظة (مهد) وردت في موضع اخر من القرآن لتدل على خارقة من خوارق الله وهذا في سياق قوله تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾<sup>(٥)</sup>، قيل : المهد هنا حجر الأم، واصله ما وطئ للصبي. وقيل : انهم غضبوا عند إشارتها إلى ذلك. وقالوا : لسخريتها بنا اشد علينا من زناها<sup>(٦)</sup>، لكن عندما تكلم الطفل وهو حجة مريم اطمأن قلبها إلى أن الله لا يتركها. وهذا الطفل الذي ينطق في المهد، فيكشف عن الخارقة التي جاءت به إليها. وهي في موقف تشير لهم إلى الطفل ليسألوه عن سرها<sup>(٧)</sup>، إلا ان الشعراوي يُشير بقوله إلى أن المهد في هذه الآية يعني ((المكان المهدد لنوم الطفل، ولان الوليد لا يقدر أن يبعد الأذى عن نفسه، فالكبير مثلاً يستطيع أن يمهد لنفسه مكان نومه، وان يُخرج منه ما يؤرق نومه وراحته وعنده وعى، فإذا ألمه شيء في نومه يستطيع أن يتحلل من الحالة التي هو عليها، وينظر ماذا يؤلمه))<sup>(٨)</sup>. وكذا اللفظ في سورة آل عمران في قوله تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٩)</sup> وهكذا تنكشف لنا نعم الله على عيسى ابن مريم وأمه. من تأييده بروح القدس في مهده، وهو يكلم الناس في غير موعد الكلام، يبرئ أمه من الشبهة التي أثارها ولادته على غير مثال، ثم وهو يكلمهم في الكهولة يدعوهم إلى الله... وروح القدس جبريل

(١) سورة طه : من الآية ٥٣ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ١٦ / ٤٧٨، قصص الرحمن في ظلال القرآن، ص ١٠٠ .

(٣) سورة الزخرف : من الآية ١٠ .

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٤ / ١٥٤ .

(٥) سورة مريم : الآية ٢٩ .

(٦) ينظر : التبيان : ٧ / ١٠٩ .

(٧) ينظر : في ظلال القرآن : ١٦ / ٤٣٣ .

(٨) الشعراوي : ١٥ / ٩٠٧٥ .

(٩) الآية : ٤٦ .

(الطَّبَائِلُ) يؤيده هنا وهناك<sup>(١)</sup>، فالمهد بعد كل هذا. أعطى إحياء ضمن سياقه القرآني بأنه كان إشارة إلى معجزة الخالق في تكلم الطفل على غير المعهود عند البشر.

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٧٠ .

(وزن) الواو والزاء والنون : ((بناء على تعديل واستقامة : ووزنت الشيء وزناً، والزنّة، قدر وزن الشيء ؛ والأصل وزنّة، ويقال : أقام ميزان النهار إذا انتصف النهار))<sup>(١)</sup>. والوزن : ((معروف والوزن : ثقل شيء بشيء مثله، كأوزان الدراهم، ويقال : وزن الشيء إذا قدره، ووزن ثمر النخل إذا خرّصه والميزان : ما وزنت به))<sup>(٢)</sup>. والوزن أيضاً : ((معرفة قدر الشيء، يقال : وزنته وزناً ووزناً، والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط والقبان. وقوله تعالى : ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾<sup>(٤)</sup>، إشارة إلى مراعاة العدالة في جميع ما يتحرّاه الإنسان من الأفعال والأقوال. وقوله تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ... ﴾<sup>(٥)</sup>، فإشارة إلى العدل في محاسبة الناس))<sup>(٦)</sup>، ومن المجاز : ((كلام موزون ونقول زن كلامك ولا تزنه وهو وزين الرأي، وداري توازن دارك : أي تحاذيها))<sup>(٧)</sup>. وقيل : الميزان بالكسر ((آلة ذات كفتين يوزن بها الشيء ويعرف مقداره من الثقل، واصله موازن فقلبت الواو ياء لسكونها بعد كسرة، وهو مذكر جمعه موازين))<sup>(٨)</sup>.

وقد وردت اللفظة أفراداً وجمعاً في ستة عشر موضعاً من القرآن الكريم<sup>(٩)</sup>، والميزان يجمع على موازين ويجيء لما يأتي :

الميزان : ((الآلة التي تقدر بها الأشياء بوصفها في كفة بازاء صنجات مقدره في كفة أخرى، ومنه الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة، ويرى بعضهم إنه وزن الأعمال يوم

(١) مقاييس اللغة : ١٠٧ / ٦ .

(٢) العين : ٣٨٦ / ٧ .

(٣) سورة الإسراء : من الآية ٣٥ .

(٤) سورة الرحمن : الآية ٩ .

(٥) سورة الأعراف : من الآية ٨ .

(٦) المفردات، ص ٨١٩ .

(٧) أساس البلاغة، ص ٦٧٤ وينظر : لسان العرب : ١٣ / ٤٤٦-٤٤٨، مادة (وزن) .

(٨) الآلة والأداة، ص ٤٠٨ وينظر : معجم الألفاظ والإعلام القرآنية، ص ٢٧٤ .

(٩) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٧٥٠ .

القيامة تمثيل لتقدير الأعمال، وإظهارها على رؤوس الأشهاد))<sup>(١)</sup> في قوله تعالى :  
﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر الرازي أن التقدير ﴿ وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾<sup>(٣)</sup>، وذكر أن هذه الاخوة كانت في النسب لا في الدين واعلم إنه تعالى حكى عن شعيب (عليه السلام) إنه أمر قومه في هذه الآية بأشياء، أولها : إنه أمرهم بعبادة الله ونهاهم عن عبادة غير الله. والثاني : إنه ادعى النبوة فقال : ﴿ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup>، والمراد من البينة هاهنا (المعجزة). والثالث : إنه قال : ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

والسؤال : لماذا قال الكيل والميزان ولم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود ؟  
الجواب : أراد بالكيل آلة الكيل، وهو المكيال أو ما يسمى ما يكال به بالكيل، كما يقال العيش لما يعاش به. والرابع : قوله ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ والمراد به لما منع قومه من البخس في الكيل والوزن منعهم بعد ذلك من البخس والتقيص وأردف بقوله : ﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾<sup>(٦)</sup>، وذلك لأنه لما كان أخذ أموال الناس بغير رضاها يوجب المنازعة والخصومة، وهما يوجبان الفساد. وحاصل هذه التكاليف يرجع إلى اصلين التعظيم لأمر الله، ويدخل فيه الإقرار بالتوحيد والنبوة، والشفقة على خلق الله، ويدخل فيه ترك البخس وترك الفساد ثم إنه تعالى لما ذكر هذه الخمسة. قال : (ذلكم) وهو إشارة إلى هذه الخمسة، والمعنى خير لكم في الآخرة، إن كنتم مؤمنين بالآخرة<sup>(٧)</sup>، وهذا ما أشار إليه سيد قطب قائلاً : ((إلى إنه كانت هناك بينة جاءهم بها، تثبت دعواه إنه مرسل من عند الله أي شعيب (عليه السلام)) ويترتب على هذه البينة ما يأمرهم به لنبيهم من توفية الكيل والميزان، والنهي عن الإفساد في الأرض))<sup>(٨)</sup>، وهناك من قال أن الميزان هنا هو الميزان المعروف<sup>(٩)</sup>. وكذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرَاقِمُ بِخَيْرٍ ﴾<sup>(١٠)</sup>، وقوله : ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا

(١) معجم ألفاظ القرآن، ص ٨٤٧ .

(٢) سورة الأعراف : من الآية ٨٥ .

(٣) سورة الأعراف : من الآية ٨٥ .

(٤) سورة الأعراف : من الآية ٨٥ .

(٥) سورة الأعراف : من الآية ٨٥ .

(٦) سورة الأعراف : من الآية ٥٦ .

(٧) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٤ / ١٨١-١٨٢ .

(٨) في ظلال القرآن : ٨ / ٥٥٦ .

(٩) ينظر : معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٨٤٧ .

(١٠) سورة هود : من الآية ٨٤ .

المِكْيَالِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴿١﴾، وكلها ((إشارة إلى أن الإيفاء بالوزن. وان لا ينقصوا المكيال والميزان ويبخسوا الناس أشياءهم، أي ينقصونهم قيمة أشياءهم في المعاملات، وهذا الكلام لأهل مدين – وبلادهم تقع في الطريق بين الحجاز إلى الشام – وكانوا بحكم موقع بلادهم يملكون أن يقطعوا الطريق على القوافل الذاهبة الآيبة بين شمال الجزيرة وجنوبها))<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يتبين من سياق الآية مخاطبة أهل مدين بان الله قد رزقهم رزقاً حسناً فليستهم في حاجة إلى هذه الدناءة لتزيدوا غنى، ولن يفقركم أو يضركم أن لا تنقصوا المكيال الميزان<sup>(٣)</sup>، ومثيل اللفظ في سورة الأنعام ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٤)</sup>، وهذا أيضاً حكاية ما قاله شعيب (عليه السلام) لقومه، وانه أمرهم أن يوفوا المكيال والميزان بالقسط يعني بالعدل والسوية<sup>(٥)</sup>. والميزان هنا كان ((إشارة إلى انهم مأمورون بالحد الذي يتحقق فيه العدل وافياً، وعدم النقص يساوي الوفاء ولكن في اختيار الأمر بالايفاء اهتماماً به لتكون النفوس ملتفتة إلى جانب الوفاء لا إلى جانب ترك التقيص، وفيه تذكير لهم بالسخاء الذي يتماحدون به كأنه قيل لهم : أين سخاؤكم الذي تتنافسون فيه فهلا تظهرونه إذا كلتم أو وزنتم فتزيدوا على العدل بان توفروا للمكئال كرما بدل أن تسرقوا حقه، وهذا تنبيه لهم على اختلال أخلاقهم وعدم توازنها))<sup>(٦)</sup>. ومثيل اللفظ في قوله تعالى : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾<sup>(٧)</sup>، وقيل ان الميزان هنا : ((هو ميزان له كفتان ولسان يذهب إلى إنه علامة جعلها الله للعباد يعرفون بها مقادير الاستحقاق، وقال قوم : هو ميزان ذو كفتين توزن بها صحف الأعمال، وقال بعضهم : يكون في إحدى الكفتين نور والأخرى ظلمة، فأيهما رجح علم به مقدار ما يستحق وتكون المعرفة في ذلك ما فيه من اللطف والمصلحة في دار الدنيا))<sup>(٨)</sup>.

خلاصة القول أن الله في ذكره لآلة الميزان ينبه الخلق ويلفت أنظارهم إلى أن كل شيء محسوب، وسوف يوزن عليكم ويحصى، وكأنه ينصحهم، فما تزال رحمانية الله بهم

(١) سورة هود : من الآية ٨٥ .

(٢) في ظلال القرآن : ١٢ / ٦٠٩ وينظر : الشعراوي : ١١ / ٦٦٠٣ .

(٣) ينظر : قصص الرحمن في ظلال القرآن : ٢ / ٣٦٤ .

(٤) من الآية : ١٥٢ .

(٥) ينظر : التبيان : ٦ / ٤٨ .

(٦) التحرير والتنوير : ٨ / ١٦٥ .

(٧) سورة الأنبياء : من الآية ٤٧ .

(٨) التبيان : ٧ / ٢٢٤-٢٢٥ .

وحرّصه على نجاتهم<sup>(١)</sup>، وقيل أيضاً : ((أن الموازين هنا هي الموازين الحقيقية، أو هو تمثيل لإظهار الجزاء))<sup>(٢)</sup>، ومثله في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، والقصد أن صحائف الأعمال توزن يومئذ بميزان، لإظهار العدل الإلهي على رؤوس الأشهاد<sup>(٥)</sup>. والموازين جمع ميزان، وهو ما يوزن به من آلة أو الصنجات على ما تقدم، أو جمع موزون وهذا على سبيل الحقيقة أو المجاز كما سبق واللفظ في سورة المؤمنون (١٠٢، ١٠٣) والقارعة (٦، ٨)<sup>(٦)</sup>. والميزان بهذه الدلالة يعني إقامة العدل والقسط في الأحكام والمعاملات كما في قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ \* أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ \* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾<sup>(٧)</sup>، وكما هو معلوم أن الميزان : اصله اسم آلة الوزن والوزن تقدير تعادل الأشياء وضبط مقادير ثقلها وهو مفعول من الوزن، وقد تقدم في قوله تعالى : ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، وشاع إطلاق الميزان على العدل باستعارة لفظ الميزان للعدل على وجه تشبيه المعقول بالمحسوس، والميزان هنا مراد به العدل، مثل الذي في قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾<sup>(٩)</sup>، لأنه الذي وضعه الله، أي عينه لإقامة نظام الخلق، فالوضع هنا مستعار للجعل فهو كالإنزال في قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾<sup>(١٠)</sup>...<sup>(١١)</sup>، وقد تأتي أيضاً دلالة الميزان في المصطلح القرآني بمعنى الشريعة التي يتنافس بها الناس وبها يقوم العدل بينهم كما في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾<sup>(١٢)</sup>، أي انزل الشريعة والعدل الذي يحكم به بين الناس وتسميته ميزاناً من تسمية

(١) ينظر : الشعراوي : ١٥ / ٩٥٥٣ .

(٢) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٨٤٧ .

(٣) سورة الأعراف : من الآية ٨ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٩ .

(٥) ينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ١٩٩ .

(٦) ينظر : معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٨٤٧-٨٤٨ وينظر : مباحث في علوم القرآن، صبحي صالح، ص

٣٢٨-٣٢٩ .

(٧) سورة الرحمن : الآية ٧، ٨، ٩ .

(٨) سورة الأعراف : الآية ٨ .

(٩) سورة الحديد : من الآية ٢٥ .

(١٠) سورة الحديد : من الآية ٢٥ .

(١١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٣٧-٢٣٨ .

(١٢) سورة الشورى : من الآية ١٧ .

الشيء باسم آله، لأن الميزان آلة الإنصاف بين الناس في المعاملات<sup>(١)</sup>، نخلص من كل هذا أن أصل معنى الميزان آلة تستخدم في تقدير أوزان الأشياء ويستعمل مجازاً لإقامة العدل في الأحكام بين المتخاصمين بتطبيق القانون الواحد على كل منهما<sup>(٢)</sup>. إلا أن السياق القرآني يظهر الميزان بمظهر غير مظهر كونه آلة وزن للأشياء فقط، بل هو ميزاناً غير كل الموازين لا يحابي أحداً لأنه يزن بالحق الإلهي للجميع، هذا الميزان الذي أنزله الله في الرسالة هو الضمان الوحيد للبشرية فلا بد من ميزان ثابت يثوب إليه البشر لإقامة حالة التعادل والمساواة، وهذا ما ذهب إليه سيد قطب ضمن سياق قوله تعالى: ﴿لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٣)</sup>، قائلاً: ((بغير هذا الميزان الإلهي الثابت في منهج الله وشريعته، لا يهتدي الناس إلى العدل))<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٦١٤ .

(٢) ينظر: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، ص ٢٤٧ .

(٣) سورة الحديد: من الآية ٢٥ .

(٤) في ظلال القرآن: ٢٧ / ٧٣٩ .

٢٠. حرف النون

٢٠ - ١ : الناقور

للجذر (نقر) أصل صحيح يدل على قرع شيء حتى تُهْرَمَ فيه هَزْمَةٌ ثم يتوسع فيه... ومنه الناقور : الصورُ الذي يُنْفَخُ فيه المَلَكُ يوم القيامة وهو يُنْقَرُ العَالَمِينَ بِقَرَعِهِ<sup>(١)</sup>، والنَّقْرُ : ((صوت اللسان يلزق لأنه بمَخْرَجِ النون، فَيُصَوِّتُ به فَيُنْقَرُ بالدابة لتسير، ومنه الناقور : الصور ينقر فيه الملك أي يَنْفُخُ))<sup>(٢)</sup>، وقال الجوهري : ((نَقَرْتُ الرجلَ نَقْرًا : عَبَيْتَهُ. قالت امرأة لزوجها : [ مُرَّ بي على بَنِي نَظْرِي، ولا تَمُرَّ بي على بناتِ نَقْرِي ] أي مرَّ بي على الرجال الذين ينظرون، ولا تمرَّ بي على النساء اللواتي يعنن من مرَّ بهن... والنَّقْرُ : صُويِّتُ يُسْمَعُ من قرع الإبهام على الوسطى))<sup>(٣)</sup>، ومنه نقر الطائر الحَبَّ بمنقاره، ونقر النعَّار الرَّحَى بمنقاره ونقر العود والدَّفَّ ونقر رأسه بإصبعه نَقْرَةً ونقرت الخيل بحوافرها : احتفرت بها، ومن المجاز : نقرته : عبته وغبته، ورميته بناقرةً وبنواقر وبينها مناقرةٌ : مراجعة كلامٍ، ونقرتُ عن الخبر نَقَرْتُ عنه : بحثتُ وهو يصلي النَّعْرَى إذا نقر في صلاته نَقْرَ الدِّيكِ... ونقر في الحجر : كتب<sup>(٤)</sup>. وقيل أيضاً ((الناقور : القلب))<sup>(٥)</sup>، وقيل كذلك : الناقور ((الصور الذي ينفخ فيه جمعه نواقير))<sup>(٦)</sup>، والناقور ((آلة كالبوبق ينفخ فيه فتصوت، وذكر الناقور في القرآن حيث يذكر الصور الذي ينفخ فيه الملك قبيل القيامة))<sup>(٧)</sup>.

وقد وردت لفظة الناقور في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٨)</sup>، في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ﴾<sup>(٩)</sup>، وقد ذهب الرازي في تفسير الناقور قائلاً : ((جاء في الأخبار أن في الصور تقبلاً بعدد الأرواح كلها، وان الأرواح تجمع في تلك التقب في النفخة الثانية، فيخرج عند النفخ من كل تقبة روح إلى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حياً بإذن الله تعالى، فيحتمل أن يكون الصور على آلتين ينقر في أحدهما وينفخ في الأخرى، فإذا نفخ فيه للاصعاق

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ٤٦٨، ٤٦٩ .

(٢) العين : ٥ / ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣) الصحاح : ٢ / ٨٣٤ - ٨٣٥ وينظر : المفردات، ص ٧٦٧ .

(٤) ينظر : أساس البلاغة، ص ٦٥٠ .

(٥) لسان العرب : ٥ / ٢٣١، مادة (نقر) .

(٦) المعجم الوسيط، ص ٩٥٤ وينظر : معجم الألفاظ والاعلام القرآنية : ٢ / ٢٤٢ .

(٧) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٧٥٤ .

(٨) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٧١٧ .

(٩) سورة المدثر : الآية ٨ .

جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة اعظم، وإذا نفخ فيه للأحياء لم ينقر فيه، واقتصر على النفخ، لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادهم لا تنقرها من أجسادها، والنفخة الأولى للتنفير، وهو نظير صوت الرعد<sup>(١)</sup>. وقد اشار سيد قطب إلى ان النقر في الناقور، هو ما يعبر عنه في مواضع أخرى بالنفخ في الصور لكن التعبير هنا اشد إحياء بشدة الصوت ورنينه ؛ كأنه نقر يصوت ويديوي والصوت الذي ينقر الآذان، فالأجدر بالكافرين أن يستمعوا للندير قبل أن ينقر في الناقور، فيواجههم اليوم العسير<sup>(٢)</sup>. ومما هو ملاحظ ان النفخ في الصور عبّر عنه بالنقر في الناقور لبيان هول الأمر وشدته، فان النقر في كلام العرب معناه الصوت، وإذا اشتد الصوت اصبح مفزعاً، فكأنه يقول : اصبر على أذاهم، فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة آذاهم وتلقى عاقبة صبرك<sup>(٣)</sup>.

فالناقور هو صوت يلم بجسد كل ميت ليوقظه بفرع وشدة وهو – والله اعلم – كما قلنا مرافق للنفخ في الصور فان آيات القرآن تدل على أن الصور والناقور يقومان بعمل واحد ونتيجة واحدة<sup>(٤)</sup>.

وبهذا نستدل على أن هذه الآلة الربّانية جاء تسميتها هنا (الناقور) وجاء تسميتها الصور<sup>(٥)</sup>، إذاً (الناقور) جاءت في المصطلح القرآني لاعطاء درس وإنذار من لدن الرسول وتكليفه أن يُنذِرَ المكذِبين، الذين يُصرون على رفض الاستجابة لدعوة الحق الربّانية التي جاءهم بها، ودعاهم إلى الإيمان بقاعدتها الإيمانية، والإسلام والطاعة لأوامر الله ونواهيه فيها<sup>(٦)</sup>. وبهذا يوحي السياق القرآني بان آلة الناقور كانت أداة تنبيه لعظيم ما سيحصل في اليوم الآخر، فالناقور لفظة قرآنية صرفة استخدمت لتحل محل الناقوس والنقر على الطبل تقريباً لاذهان البشر.

(١) مفاتيح الغيب : ٢٩ / ١٩٦ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٩ / ٣٦١ .

(٣) ينظر : صفوة التفسير : ٣ / ٤٧٤ .

(٤) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، ص ٣٥٥ .

(٥) ينظر : معارج التفكير ودقائق التدبير : ١ / ٩٣ .

(٦) ينظر : م. ن. : ١ / ٩٥ .

٢٠ - ٢ : النصب - الأنصاب

للجذر (نصب) أصل صحيح يدل على إقامة شيء وأهداف في استواء (أي انتصاب في استواء)، يقال نصبت الرُّمَحَ وغيره أنصبه نصباً، والنَّصَبُ : حجر كان ينصب فيُعَبَّد ويقال هو النصب، وهو حجر يُنصب بين يدي الصنم نصب عليه دماء الذبائح للأصنام، والنصائب : حجارة تنصب حوالي شفير البئر فتجعل عضائد<sup>(١)</sup>، والنَّصَبُ : العَلَمُ، وقيل أيضاً النَّصَبُ : جماعة النَّصِيبَةِ، وهي علامة تنصب للقوم، أي علامة كانت لهم، والنصيبة واحدة النَّصَائِبِ، وهي نصائب الحوض<sup>(٢)</sup>، وقيل أيضاً النَّصَبُ : الشرّ والبلاء ومنه قوله تعالى : ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ نِصْبًا وَعَذَابٍ﴾<sup>(٣)</sup>...<sup>(٤)</sup>.

ومن المجاز : ((غبار منتصب ومنتصب، ونصبت له الأمر كذا فانصب له ونصب فلان لعمارة البلد، ونصبنا لهم حرباً وناصبناهم مناصبة، وناصبت لفلان : عاديته، وأهل النَّصَبُ : الذين ينصبون لعلي(عليه السلام)، ونصبت له رأياً إذا أشرت عليه برأي (لا يعدل عنه) وهو يرجع إلى منصب صدق وهو أصله الذي نصب فيه ورُكِّب، ومنه : نصاب السكين وهو أصله الذي نصب فيه))<sup>(٥)</sup>، وقيل : ((إنه كان للعرب حجارة تعبدها وتدبح عليها، كما في قوله تعالى : ﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نِصْبٍ يُوفِضُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، وقال تعالى : ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ﴾<sup>(٧)</sup>، وقد يقال في جمعه أنصاب<sup>(٨)</sup>.

وقد ذكر بان الأنصاب هي الحجارة التي يعبدونها، وأنصاب الحرم، أعلامه<sup>(٩)</sup> وأصل النصب هو ((الرفع، والنصبة والنصب كل ما نصب وجعل علماً ويجوز أن يكون النصب واحداً جمعه أنصاب وعلى هذا قرء قوله تعالى : ﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نِصْبٍ يُوفِضُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>...<sup>(١١)</sup>). وقد ذكر القرآن الكريم المصطلح أفراداً وجمعاً في ثلاثة مواضع

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ٤٣٤ .

(٢) العين : ٧ / ١٣٥-١٣٦ وينظر : المعجم الوسيط : ٢ / ٩٣٣ .

(٣) سورة ص: من الآية ٤١ .

(٤) ينظر : الصحاح : ١ / ٢٢٤-٢٢٥، المخصص : ٤ / ١٠٤ (السفر الثالث عشر) .

(٥) أساس البلاغة، ص ٦٣٤ \_ ٦٣٥ .

(٦) سورة المعارج : من الآية ٤٣ .

(٧) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٨) ينظر : معاني القرآن، الأخفش : ١ / ٢٥١ .

(٩) ينظر : مجاز القرآن : ١ / ١٥٢ .

(١٠) سورة المعارج : من الآية ٤٣ .

(١١) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص ١٥٥ .

منه<sup>(١)</sup>، ففي قوله تعالى : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾<sup>(٢)</sup>، فقد ذكر الزمخشري قائلاً : ((كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون عليها ويعظمونها بذلك ويتقربون به إليها، تسمى (الأنصاب) والنصب واحد قال الأعشى :

وَذَا النُّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسُكُنَهُ      وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهُ فَاعْبُدَا<sup>(٣)</sup>

إلا أن الرازي ذهب في قوله تعالى : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾<sup>(٤)</sup>، أن فيه وجهين : أحدهما : ما ذبح على اعتقاد وتعظيم النصب، والثاني : وما ذبح للنصب (واللام) و (على) يتعاقبان<sup>(٥)</sup>، وهذا أيضاً ما ذهب إليه القرطبي في قوله : ((المعنى النية منها تعظيم النصب لأن الذبح عليها غير جائز، وقيل : (على) بمعنى اللام : أي لأجلها))<sup>(٦)</sup>.

وهناك أقوال كثيرة في معنى النصب، فمنهم من خصه بالصنم بما كانت له صورة، ومنهم من قال : إنه بما كان صخرة غير مصورة، والأصح أن النصب حجارة غير مقصود منها أنها تمثل للآلهة بل هي موضوعة لأن تذبح عليها القرابين والنسائك التي يتقرب بها للآلهة والجن، لان الأصنام كانت معدودة ولها أسماء وكانت في مواضع معينة تقصد للتقرب، وأما الأنصاب فلم تكن معدودة، ولا كانت لها أسماء وإنما كانوا يتخذها كل حي يتقربون عندها، فقد روي عن أئمة أخبار العرب : أن العرب كانوا يعظمون الكعبة، وهم ولد إسماعيل (عليه السلام)، فلما تفرق بعضهم وخرجوا من مكة عظم عليهم فراق الكعبة فقالوا الكعبة حجر، فنحن ننصب في أحيائنا حجارة تكون لنا بمنزلة الكعبة فنصبوا هذه الأنصاب وربما طافوا حولها، ولذلك يسمونها الدُّوَارَ — بضم الدال المشددة وبتشديد الواو، ويذبحون عليها الدماء المتقرب بها في دينهم<sup>(٧)</sup>.

وبهذا نلمس أن النصب ((حجارة أعدت للذبح وللطواف على اختلاف عقائد القبائل وقد كان في الشرائع القديمة تخصيص صخور لذبح القرابين عليها تمييزاً بين ما ذبح تديناً ما ذبح للأكل، فمن ذلك صخرة بيت المقدس، قيل : أنها من عهد إبراهيم (عليه السلام) وتحتها جبّ

(١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٧٠١ .

(٢) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص ١٣٧ وينظر : الكشاف : ١ / ٦٠٣ .

(٤) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٥) ينظر : مفاتيح الغيب : ١١ / ١٣٧ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٣٩ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ٦ / ٩٤ .

يعبر عنها بيئر الأرواح، لأنها تسقط فيها الدماء، والدم يسمى روحاً، فالنُصب يذبحون عليها قلت : ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾<sup>(١)</sup> بحرف (على) ولم يقل وما ذبح للنصب لأن الذبيحة تقصد للأصنام والجن وتذبح على الأنصاب، فصارت الأنصاب من شعائر الشرك<sup>(٢)</sup>، وكذا اللفظة بصيغة الجمع في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾<sup>(٣)</sup>، والأنصاب هنا أيضا تعني الآلهة التي نصبوها ليعبدونها<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٢) التحرير والتنوير : ٦ / ٩٤-٩٥ .

(٣) سورة المائدة : من الآية ٩٠ .

(٤) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٢ / ٨٤ والتحرير والتنوير : ٢ / ٧١٧ .

٢٠ - ٣ : النمارق

النُمرِقةُ : ((الوسادة، وهذا ما زيدت فيه القاف إنما هي النَمِرة وهي الكساء المخطط))<sup>(١)</sup>، وقد ذكر الجوهري أن النُمرُقُ والنُمرِقةُ : وسادة صغيرة، وكذلك النُمرِقةُ بالكسر لغة فيه، وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل نُمرِقةً<sup>(٢)</sup>، وقيل : ((النُمرِقةُ هي التي يلبسها الرحل، وقيل أنها المثيرة ما افتَرَشَتْ أَسْتُ الرَّاكِبِ على الرحل كالمرْفَقة، غير أن مؤخرها اعظم من مقدمها ولها أربعة سيور تشد بأخرة الرِّحْلِ وواسطه))<sup>(٣)</sup>. وقيل أيضاً ((إنها وسادة يستند إليها أو يُتَكأ عليها))<sup>(٤)</sup>.

وقد وردت لفظة (النمارق) في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٥)</sup>، في قوله تعالى ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ \* وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ \* وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ \* وَزَرَابِيُّ مَبْنُوثَةٌ ﴾<sup>(٦)</sup> فالنمارق هنا يفسرها ابن الجوزي بقوله : ((هي الوسائد وأحدها نمرقة وهي كثيرة، وقال المفسرون : لما نعت الله سبحانه وتعالى ما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفرة فذكرهم صنعه فقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾<sup>(٧)</sup>، وقيل أيضاً : ذكر الله ارتفاع (سُرر) الجنة وفرشها))<sup>(٨)</sup>، قال الرازي ان النمارق هي الوسائد في قول الجميع واحدها نمرقة بضم النون وقيل : مصفوفة بعضها إلى بعض أينما أراد أن يجلس جلس على واحدة واستند إلى الأخرى<sup>(٩)</sup>، وبهذه الدلالة يؤكد سيد قطب قول ابن الجوزي والرازي بان النمارق في الاصطلاح القرآني تعني الوسائد والحشايا للاتكاء في ارتياح ! وهي من مناعم مما يشهد له أشباها في الأرض، وتذكر هذه الأشياء لتقريبها إلى مدارك أهل الأرض<sup>(١٠)</sup>، وعلى هذا يتبين وعد الله للمؤمنين ان لهم في الجنة ما يعرفون من النعيم في الدنيا، وقد علموا

(١) مقاييس اللغة : ٥ / ٤٨٤ .

(٢) ينظر : الصحاح : ٤ / ١٥٦١ .

(٣) لسان العرب : ١٠ / ٣٦١، مادة (نمرق) وينظر : معجم الالفاظ والاعلام القرآنية : ٢ / ٢٤٦ .

(٤) معجم أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ : ٢ / ٢٤٦ .

(٥) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٧١٩ .

(٦) سورة الغاشية : الآية ١٣، ١٤، ١٥، ١٦ .

(٧) سورة الغاشية : الآية ١٧ .

(٨) زاد المسير في علم التفسير : ٩ / ٩٨-٩٩ وينظر : تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٦٥٦ .

(٩) ينظر : مفاتيح الغيب : ٣٠ / ١٥٦ وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٠ / ٢٤ .

(١٠) ينظر : في ظلال القرآن : ٣٠ / ٥٦٢-٥٦٣ .

أن تترف الجنة لا يبلغه الوصف بالكلام وجمع ذلك بوجه الإجمال في قوله تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، ولكن الأرواح ترتاح بمألوفاتها<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يوحي السياق القرآني للفظه – النمارق – بأنها أداة خصصت لنيل النعيم والترف والارتياح. بحيثُ جعل بعضها قريباً من بعض صفاً، أي أينما أراد الجالس أن يجلس وجدها<sup>(٣)</sup>. وهذا ما ذهب إليه أيضاً الصابوني في تفسيره للفظه حين قال : ((أنها وسائد – مخدّات – يستندوا عليها))<sup>(٤)</sup>، فالنمارق تأتي لتكريم الصفوة المؤمنة والتي تكون صعبة المنال على المشركين والجاحدين، وعلى هذا فالنمارق هي شكل تكريمي من أشكال عظيمة في التكريم زُجت في علم الغيب.

(١) سورة الزخرف : من الآية ٧١ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٠ / ٣٠٣ .

(٣) ينظر : م . ن . : ٣٠ / ٣٠٢ .

(٤) صفوة التفاسير : ٣ / ٥٥٣ .

٢١. حرف الواو

٢١ - ١ : الوثاق

(وثق) الواو والثاء والقاف ((كلمة تدلُّ على عقدٍ وأحكام، وثقت الشيء أي احكمته، ومنه الميثاق : العهد المحكم))<sup>(١)</sup>.

قال الفراهيدي : ((وثقت بفلان به ثقةً وأنا واثق به، وهو موثوق به، والوثيق : المحكم ونقول : أو تثقت إيثاقاً ووثاقاً، والوثاق : الحبل، ويجمع على وثق، والوثيقة في الأمر : أحكامه والأخذ بالثقة والجميع وثائق))<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ ﴾<sup>(٣)</sup> والوثاق بكسر الواو لغةً فيه<sup>(٤)</sup>، وقيل ((الوثاق والوثاق بفتح الواو وكسرها اسمان لما يوثق به الشيء كقوله تعالى ﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾<sup>(٥)</sup>...))<sup>(٦)</sup>. وقيل : ((قد وثق وثاقه وشده بالوثاق))<sup>(٧)</sup>، وقد ذهب ابن منظور إلى ان الوثاق اسم الإيثاق، نقول اوثقته إيثاقاً ووثاقاً، والحبل أو الشيء الذي يوثق به وثاق، والجمع الوثق بمنزلة الرباط والربط<sup>(٨)</sup>.

وقد وردت اللفظة في موضعين من القرآن الكريم احدهما قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَنْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ ﴾<sup>(٩)</sup>، فقد ذهب الرازي إلى أن معنى قوله تعالى : ﴿ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ ﴾ هو أمر من الله تعالى أي أمر إرشاد منه<sup>(١٠)</sup>، وبهذا يكون المعنى إذا أسرتموهم فشدوا الوثاق بالكسر فهو اسم الشيء الذي يوثق به كالرباط، وانما أمر بشد الوثاق لئلا يفلتوا<sup>(١١)</sup> فالوثاق هنا ((الحبل يوثق به))<sup>(١٢)</sup>، وقيل أيضاً أن معنى الوثاق في الآية يعني ((هو كناية عن وقوعهم أسرى في أيدي المؤمنين))<sup>(١٣)</sup>، الا ان ابن عاشور قال : ان معنى الكلام

(١) مقاييس اللغة : ٦ / ٨٥ .

(٢) العين : ٥ / ٢٠٢ .

(٣) محمد : من الآية : ٤ .

(٤) الصحاح : ٤ / ١٥٦٢ - ١٥٦٣ .

(٥) سورة الفجر : الآية ٢٦ .

(٦) المفردات، ص ٨٠٤ .

(٧) أساس البلاغة، ص ٦٦٤ .

(٨) ينظر : لسان العرب : ١٠ / ٣٧١ مادة (وثق) وينظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : ٢ / ٢٦٥ .

(٩) سورة محمد : من الآية ٤ .

(١٠) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٨ / ٤٤ .

(١١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ١٥٠ .

(١٢) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٨٢٠ .

(١٣) ينظر : روائع البيان في تفسير آيات احكام من القرآن، ص ٣١٠ .

كله إنه إذا قاتلتم المشركين في المستقبل فامعنوا في قتلهم حتى إذا رأيتم أن قد خضتم شوكتهم فأسروا منهم أسرى، والإثخان : الغلبة لأنها تترك المغلوب كالشيء المثنى وهو الثقيل الصلب الذي لا يخف للحركة، ويوصف به المائع الذي جمد أو قارب الجمود بحيث لا يسيل بسهولة<sup>(١)</sup>، إلا ان سيد قطب يصف لنا هذا بقوله : ((نلاحظ تصوير لعملية القتل بصورتها الحسية المباشرة وبالحركة التي تمثلها، تمثياً مع جو السورة وظلالها، وبما أن الإثخان شدة التقطيل فبهذا تتحطم قوة العدو وتتهاوى، فلا تعود به قدرة على هجوم أو دفاع — عندئذٍ — يؤسر من استأسر ويشد وثاقه))<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة القول إننا ندرك بان استخدام لفظة (الوثاق) في قوله تعالى : ﴿ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ ﴾ استخدمت أداة من أدوات الأسر يوثق بها، كما القيّد أو الحبل ونحوه، حتى لا يفلت العدو وينهزم، وكذلك فقد وردت اللفظة في موضع ثان من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾<sup>(٣)</sup>، فتأويل الكلام هنا ((هو يومئذ لا يعذب بعذاب الله أحد في الدنيا، ولا يوثق كوثاقه يومئذ أحد في الدنيا...، وقيل : قد علم الله أن في الدنيا عذاباً وَوُثَاقاً، فقال : فيومئذ لا يعذب أحد في الدنيا، ولا يوثق وثاقه أحد في الدنيا))<sup>(٤)</sup>، وقيل أيضاً أن الوثاق هنا هو ((كناية ترجع إلى الله تعالى أي لا يعذب كعذاب الله أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد، والمراد إبليس، أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله للكافر يومئذ، ولا يوثق كما يوثق الكافر))<sup>(٥)</sup>.

وقد ذهب الصابوني إلى أن ذكر لفظة الوثاق هو لبيان انه في ذلك اليوم ليس أحد اشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه، وهذا في حق المجرمين من الخلائق...، وهذا من نوع جناس الاشتقاق<sup>(٦)</sup>. والغرض من ذكر اللفظة أيضاً هو شدة الترهيب من عذاب الله يومئذ، لأن المُلْك يومئذ لله وحده، فلا تعذيب إلا تعذيبه، ولا وثاق إلا وَثَاقَهُ<sup>(٧)</sup>، وبعد هذا العرض التفسيري لأهل التأويل والتفسير يتبين لنا أن التعبير كله لأداة الوثاق هو كناية عن أخذ الإنسان الكافر يومئذ إلى دار التعذيب — جهنم —<sup>(٨)</sup>، وبهذا يوحى السياق القرآني أن أداة — الوثاق — التي يوثق

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٦ / ٧٩ .

(٢) في ظلال القرآن : ٢٦ / ٤٤٣ .

(٣) سورة الفجر : الآية ٢٦ .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣ / ٢٢٩ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠ / ٣٨ وينظر : صفوة البيان لمعاني القرآن، ص ٨٠٥ .

(٦) ينظر : صفوة التفاسير : ٣ / ٥٥٩ .

(٧) ينظر : معارج التفكير ودقائق التدبير : ١ / ٥٤٦ .

(٨) ينظر : م. ن. : ١ / ٥٤٦ .

بها الأسير والكافر وتُكبل العُصاة وتمنع عنهم الحركة وتوقع فيهم الذل جاءت لتبيان أن شدة العذاب الذي يلقاه الإنسان الكافر هو أضعاف ما يلقاه في الدنيا أن كان مُذنباً وعاقاً لله ودين الله جاحداً مُنكراً نِعَمَ الله العظيمة عليه.

٢١ - ٢ : الوعاء - أوعية

(وعى) الواو والعين والياء : كلمة تدلُّ على ضمِّ شيء، وَوَعَيْتُ الْعِلْمَ أَعِيَهُ وَعَيْأً، وأوعيت المتاع في الوعاء أوعيه<sup>(١)</sup>، والوعاء : ((واحد الأوعية، وتقول وَعَيْتُ الْحَدِيثَ أَعِيَةً وَعَيْأً))<sup>(٢)</sup> وقال ابن دريد : ((سمعت واعية القوم أي اصواتهم وكذلك وعاهم))<sup>(٣)</sup>، وقد ذكر الزمخشري انه يقال : ((وَعَى عَظْمُهُ، إِنجَبِر. وسمعت وعى الجيش : جَلَبْتَهُ))<sup>(٤)</sup>، الا ان ابن منظور قال : ((أوعيت الزاد والمتاع : إذا جعلته في الوعاء وفي حديث أبي هريرة (رضي الله عنه): حَفَظْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَعَاءِينَ مِنَ الْعِلْمِ، أَرَادَ الْكِنَايَةَ عَنْ مَحَلِّ الْعِلْمِ فَجَمَعَهُ فَاسْتَعَارَ لَهُ وَعَاءَهُ))<sup>(٥)</sup>، والوصف واعٍ وواعية<sup>(٦)</sup>، وكذلك فان الوعاء : الظرف يوعى فيه والجمع أوعية<sup>(٧)</sup>، وقال الرصافي : الوعاء بالكسر وقد يضم ويقال فيه الاعاء، بابدال الواو همزة، سمّي بذلك لأنه يجمع ما فيه من المتاع، ويقال لصدر الرجل وعاء علمه واعتقاده تشبيهاً بذلك وجمع الجمع أواع<sup>(٨)</sup>.

وقد وردت اللفظة مكررة ثلاث مرات في موضع واحد من القرآن الكريم<sup>(٩)</sup>، في قوله تعالى : ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ...﴾<sup>(١٠)</sup>، الوعاء هنا الأداة والظرف الذي يجمع ما فيه من المتاع، ولكن السياق القرآني يشير من وراء ذلك إلى معنى اعظم وابلغ من كونها أداة بسيطة يجمع فيها المتاع. فقد ذهب الطوسي في تبيان المعنى من وراء ذكر أداة الوعاء بأنها كانت وسيلة ليوسف (عليه السلام) ليُعبّر عن الجزاء على المعصية بالكيد، فقد اخبر تعالى أن يوسف (عليه السلام) أمر أصحابه بان يفتشوا أوعيتهم ورحالاتهم، وان يبدؤا بأوعية الجماعة قبل وعاء أخيه ليكون ابعدهم من التهم، فان لم يجدوا فيها شيئاً أمر حينئذ باستخراجها من وعاء أخيه، ثم اخبر الله تعالى انه كاد ليوسف (عليه السلام) والكيد التعريض للغيب وكان التدبير على اخوة يوسف حتى أخذ منهم أخوهم بما يوجبهم حكمهم، هو

(١) مقاييس اللغة : ٦ / ١٢٤ .

(٢) الصحاح : ٦ / ٢٥٢٥ وينظر : المفردات، ص ٨٢٨ .

(٣) جمهرة اللغة : ١ / ١٨٤ .

(٤) أساس البلاغة : ص ٦٨٣ .

(٥) لسان العرب : ٥ / ٣٩٧، مادة (وعى) .

(٦) معجم ألفاظ القرآن : ٢ / ٨٦٥ .

(٧) ينظر : معجم الالفاظ والاعلام القرآنية : ٢ / ٢٨١ .

(٨) ينظر : الآلة والأداة، ص ٤٣٤-٤٣٥ .

(٩) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، ص ٧٥٦ .

(١٠) سورة يوسف : من الآية ٧٦ .

كالتعريض للغیظ من جهة اغتمامهم بما نزل من ذلك الأمر بهم، وقد يُعبر عن الجزاء على المعصية بالكید<sup>(١)</sup>.

وبهذا فسر الزمخشري قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾<sup>(٢)</sup>، قائلاً : ((يعني علمناه وإياه وأوحيناه به إليه، وهو تفسير للكيد وبيان له، لأنه كان في دين ملك مصر، وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ، لا أن يلزم ويستعبد))<sup>(٣)</sup>، وقد ذكر الشعراوي ان الهدف من البدء بنفتيش أوعيتهم، وهم عشرة قبل وعاء شقيقه، كي ينفي احتمال ظنهم بأنه طلب منهم أن يأتوا بأخيهم معهم ليدير هو هذا الأمر، وفنش وعاء شقيقه من بعد ذلك، ليستخرج منه صواع الملك وليطبق عليه قانون شريعة آل يعقوب، فيستبقي شقيقه معه، وهذا دليل على الذكاء الحكيم<sup>(٤)</sup>.

وبهذا أشار السياق القرآني إلى أن أداة (الوعاء) كانت العلة التي تمكن بها سيدنا يوسف (عليه السلام) من تقريب المسافة بينه وبين اخوته، فضلاً عن الاقتراب في فضح تدابيرهم هذه وإلقائه في اليم، ومن ثم إثبات براعته من حصر محبة يعقوب (عليه السلام) له حصراً ناهيك عن تنبيه الأمة لاحقاً إلى عدم الوقوع في الحسد الذي يؤدي إلى التفريق بين الاخوة وأفراد المجتمع كافة، ومن تصديق قول الله سبحانه وتعالى الذي سهل الأمر كما في مقدمة سورة يوسف (عليه السلام) : ﴿ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾<sup>(٥)</sup>.

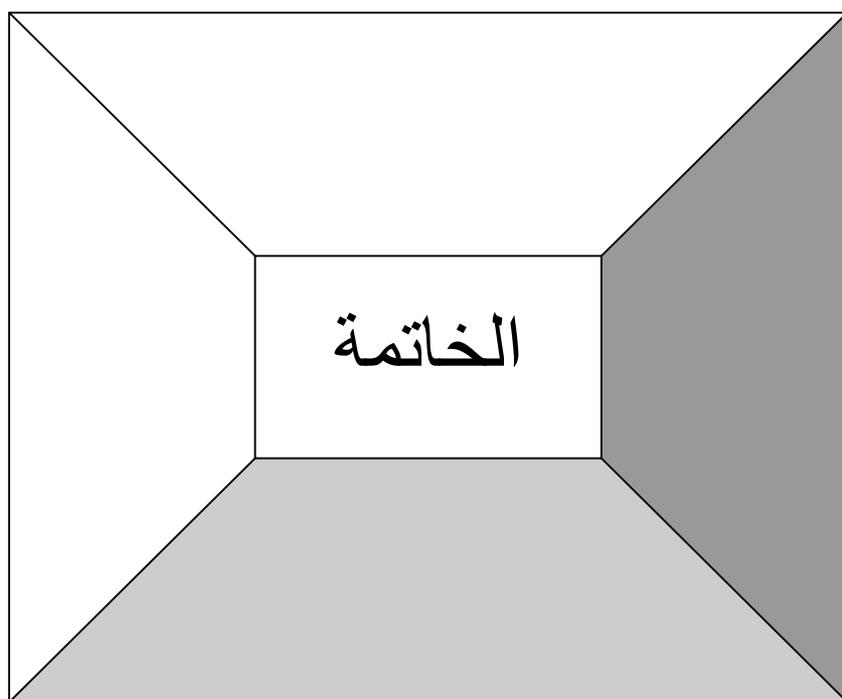
(١) ينظر : التبيان : ٦ / ١٧٤، مفاتيح الغيب : ١٨ / ١٨٥ .

(٢) سورة يوسف : من الآية ٧٦ .

(٣) الكشف : ٢ / ٤٩١ .

(٤) ينظر : الشعراوي : ١١ / ٧٠٢٧ .

(٥) سورة يوسف : الآية ٥ .



## الخاتمة

بعد طرح الرحال في باحة الروض القرآني المقدس والاستمتاع بنسمات ألفاظه العذبة المتجددة، وهي تزيد من إيمان العبد ويقينه بأن هذا القرآن الكريم كان وما يزال معيناً لا ينضب فيه المعجزات والموعظة والحكم، ولأن القرآن الكريم يفسر في كل عصر وفق الطاقة البشرية تبين لنا انه لا يكفي معرفة المعنى اللغوي للفظه حتى نحكم عليها في كتاب الله، لأننا وجدنا أن الدلالة القرآنية السياقية تختلف في أكثر الأحيان عن الدلالة اللغوية، ولذا توقف كثير من العلماء والمفسرين عند تفسيرهم للفظه معيناً إلى أن يتبين لهم حقيقة المعنى الذي يتلاءم مع مراد التعبير القرآني.

وبعد فقد وفقنا الله في هذه السياحة الروحانية المباركة كيما نخرج بنتائج أفرزتها الدراسة منها :

**أولاً :** على الرغم مما موجود في المعاجم والمتداول من كتب اللغة بأن الآلة والأداة لفظان مترادفان أوقعتهما العرب على معنى واحد كقولنا السيف والعصب، وهو مذهب لبعض علماء اللغة في المترادفات... إلا إنه لا ضير ولا جرم في أن يكون بين الآلة والأداة فرقاً بدليل قول ابن السكيت ((ما يعتمل به أو ينقل)) وهذا دليل تمثيل للقاعدة بأسماء تنوعت دلالات ما اشتقت منه من تعدية ولزوم، لأن الآلة هي التي يعالج بها وتكون واسطة بين الفاعل ومنفعله في وصول أثره إليه وهي غير الأداة التي يترفق بها مثال على ذلك لفظه (المقَص) فعلى قول اللغويين والنحويين أمثال سيبويه حين قال : ((المقَصُ آلة) بدلالة معالجة القص الذي يقص به، أما (المحلب) فهو (أداة) لا يعالج بها بل وعاء لحفظ الشيء)).

وهذا القول يوحي بوجود الفرق بينهما بسبيل من دلالة تنوع العرب للاشتقاق في هذا الباب، وهذا يحل لنا المشكلة حلاً يلائم فطرة اللغة في إطلاق اشتقاق أسماء الأجهزة وأسماء الآلات وأسماء الأدوات من الأفعال والأسماء التي تلائم معانيها ووظائفها.

**ثانياً :** تبين من سياق العمل أن مفهوم الآلة والأداة في القرآن الكريم له دلالات متنوعة منها الحسي الذي يعطي معنى الآلة من حيث هي أداة تختص بوظيفة معينة تعارف عليها الناس عبر التعايش فاستخدمها القرآن اسخداماً مباشراً، كذكر لفظه (السلاسل) في قوله

تعالى ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾<sup>(1)</sup> الدالة على أداة من أدوات التعذيب والعقاب، ومنها ما يسوقنا إلى دلالة المجاز اللغوي الدلالي للمصطلح بمعنى الإشارة إلى معنى آخر خارج الآلة والأداة بمعناها الحسي المباشر، كذكر لفظة (الطبق) في قوله تعالى ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾<sup>(2)</sup> الدالة على معنى مغاير لدلالة الطبق الذي يؤكل فيه، أي : جاءت بمعنى منزلة بعد منزلة وحالاً بعد حال.

**ثالثاً :** إن الهدف من ذكر أسماء الآلة والأداة في القرآن الكريم بنفس لفظ الأسماء المستخدمة في حياتنا العامة حتى نتعرف إليها، وهي مألوفة لدينا وقريبة من مدارك عقولنا وتصورنا لنصل إلى غاية ما هو اعمق وابلغ من الاستخدام الوظيفي الاعتيادي للآلة والأداة لدينا. أرادت الحكمة الإلهية إيصاله إلينا إلا ان الاستعمال القرآني للالات والأدوات جاء مختلفاً عما هو متعارف عليه في حياتنا العامة إذ اضفى عليها القرآن الكريم معنى جديداً عن طريق التشبيه والاستعارة والكناية.. الخ والامثلة على ذلك كثيرة ومنها : (عصا موسى عليه السلام) هذه الخشبة الهينة الشكل في تصورنا يظهرها العالم الإلهي بصور عديدة تبين لنا معجزة من معجزات الخالق، وهذا ما لاحظناه من سياق قوله تعالى : ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾<sup>(3)</sup>، فكان سؤال الله لنبيه موسى عليه السلام عن العصا حتى يريه عظم ما اخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية فضاضة تسعى وتتحرك وتدب، كما ورد ذكرها في سياق قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾<sup>(4)</sup>، وهنا تقع المعجزة ولم تعد عصا موسى عليه السلام التي صاحبها طويلاً ومن ثم تتحول مرة أخرى وتوصف بأنها : ﴿ تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾<sup>(5)</sup>، ومن ثم ثعبان مبین في قوله : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾<sup>(6)</sup>، وكذلك ذكر لفظة (السراج) التي وردت بدلالات مختلفة تماماً عن المعنى الظاهري في كونها سراج يستضاء به ففي سياق قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾<sup>(7)</sup> فالسراج هنا يعني الشمس التي جعلت كالمصباح لاهل الارض ليتوصلوا إلى التصرف لمعايشهم وكذلك وردت على وجه

(١) سورة الإنسان : الآية ٤ .

(٢) سورة الانشقاق : الآية ١٩ .

(٣) طه : ١٨ .

(٤) طه : ٢٠ .

(٥) القصص : من الآية ٣١ .

(٦) الشعراء : ٣٢ .

(٧) سورة الفرقان : الآية ٦١ .

الاستعارة في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (1) فالسراج صفة للنبي (ﷺ) أي هو هادياً كأنه سراج يهتدى به في الظلام، إنه يبلغ رسالة هدى تهدي إلى طريق الحق كما يهدي الضوء إلى سلوك الطريق.

**رابعاً :** ومما يلاحظ أن القرآن تناول عدداً من الألفاظ المعربة في سياق آياته القرآنية ضمن الآلة والأداة مثال، السراويل والزاربي وغيرهما مما ذكر في موضعه من البحث، وهذا دليلٌ على أن القرآن خاطب كل عصر بعقليته ولغته ومعتقداته.

**خامساً :** وخالصة القول أن الحياة العامة في تطور مستمر وتقدم ومعها تتقدم مجالات الحياة كافة ومنها مجال الصناعة الذي بدوره يحتاج إلى الآت ومعدات وأدوات متنوعة غير الآلات والأدوات الأولية سابقاً بسبب سهولة الحياة وعدم تعقدها فلهذا اكتفى النحاة واللغويون كما بينا في التمهيد بثلاثة أوزان قياسية لأسماء الآلة والأداة، لكن هذا التطور الزمنا أن نشق أوزاناً عديدة تلائم تطور الآلات والأدوات المستحدثة توافقاً مع العصر، وهذا يسمح لنا أن نقول لا يمكن حصر اشتقاق أوزان الآلة والأداة في أوزان محدودة وهذا ما وصل إليه العلماء لاحقاً وبيناه في التمهيد سابقاً.

(1) سورة الاحزاب : الآية ٤٥-٤٦.

ثبت المصادر والمراجع

## ثبت المصادر والمراجع

## أولاً : الكتب المطبوعة

١. الآلة والأداة : معروف الرصافي، تحقيق : عبد الحميد الرّشوي، المركز العربي للطباعة، بيروت، ١٣٣٧م.
٢. أبنية الصرف في كتاب سيويه : د. خديجة الحديثي، ط١، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٥م.
٣. الإتيان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د/م، ١٩٧٤م.
٤. الأحاديث المختارة : أبو عبد الله حمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ.
٥. أدب الكاتب : أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الكوفي (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٣م.
٦. أساس البلاغة : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥م.
٧. الأساس في التفسير : سعيد حوى، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ١٩٨٩م.
٨. اسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق : محمد ابراهيم البنا وآخرون، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٧٠ م.
٩. الاشتقاق : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط٢ منقحة، منشورات مكتبة المثني، بغداد، ١٩٧٩م.
١٠. إصلاح المنطق : أبو يوسف يعقوب بن اسحق ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق : احمد محمد شاكر وآخر، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦م.
١١. إعجاز القرآن دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها : عبد الكريم الخطيب، ط١، دار الفكر العربي، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٦٤م.

١٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المعروف بتفسير الفيضاوي) : أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي (ت ٧٩١هـ) تحقيق : عبد القادر عرفات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦م.
١٣. البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، د/م، د/ت.
١٤. البلاغة فنونها وأفانها : د. فضل حسن عباس، ط١، دار الفرقان للنشر، عمان، ١٩٨٧م.
١٥. بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ : فتحي احمد عامر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٣م.
١٦. بناء الصورة الفنية في البيان العربي (موازنة وتطبيق) : د. كامل حسين البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.
١٧. تأويل مشكل القرآن : ابو محمد بن مسلم ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تحقيق : السيد احمد صقر، ط٣، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٨٠م.
١٨. تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، ط١، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ.
١٩. التبيان، أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق : احمد حبيب العاملي، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٦م.
٢٠. التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر والإعلان، د/م، د/ت.
٢١. التشبيهات القرآنية والبيئة العربية : واجدة مجيد الاطرقجي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.
٢٢. التصوير الفني في القرآن : سيد قطب، ط٨، دار المعارف، مصر، د/ت.
٢٣. التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم : عودة خليل ابو عودة، د/م، ١٩٨٥م.
٢٤. التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار التونسية للنشر، المطبعة الرسمية الجمهورية للتونسية، ١٩٧١م.

٢٥. تفسير الشعراوي : محمد متولي الشعراوي، القاهرة، ١٩٩١م.
٢٦. التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن : حنفي احمد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.
٢٧. تفسير غريب القرآن : عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق : أحمد صقر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٨م.
٢٨. تفسير القرآن العظيم : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، اعتنى به : احمد عبد السلام، ط١، شركة دار الأقم للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٩. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب : فخر الدين بن ضياء الدين عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ) ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.
٣٠. تكملة المعاجم العربية : رينهارت دوزي، ترجمة : د. محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.
٣١. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : (للرمانى والخطابى وعبد القاهر الجرجانى)، تحقيق : محمد خلف الله احمد وآخر، ط٣، دار المعارف، مصر، د/ت.
٣٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تصحيح : علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
٣٣. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلايني، ط٥، د / م، بيروت، ١٩٨٩م.
٣٤. الجامع لأحكام القرآن الكريم : محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
٣٥. الجمان في تشبيهات القرآن : لابن نايقا البغدادي (ت ٤٨٥هـ)، مطابع رواج للإعلان، الإسكندرية، د/ت.
٣٦. جمهرة اللغة : ابو بكر محمد بن الحسن الازدي ابن دريد (ت ٣٢١هـ)، طبعة جديدة بالأوفست، مكتبة المثني، بغداد، د/ت.
٣٧. دراسة أدبية لنصوص القرآن : محمد مبارك، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٤م.
٣٨. دروس في قواعد اللغة العربية : محيي الدين الأنصاري، ط١، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٨م.

٣٩. ديوان الأعشى الكبير : ميمون بن قيس (ت ٧هـ)، شرح وتعليق : د. محمد حسين، المطبعة النموذجية، ١٩٩٢م.
٤٠. ديوان الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني، دار الفكر للجميع، بيروت، ١٩٧٠م.
٤١. ديوان امرئ القيس : تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨م.
٤٢. ديوان جرير، تحقيق : كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د / ت.
٤٣. ديوان الخنساء : ط محققة وجريدة، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م.
٤٤. ديوان كعب بن زهير : رواية ابي سعيد السكري، شرح لجنة من الأدباء، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨م.
٤٥. ديوان الهذليين : نسخة وصورة عن طبعة دار الكتب، تحقيق، التراث العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.
٤٦. روائع البيان في تفسير آيات القرآن : محمد علي الصابوني، ط١، دار الجيل، د / م، ٢٠٠١م.
٤٧. زاد المسير في علم التفسير : جمال الدين بن عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٣هـ)، ط١، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٦٤م.
٤٨. سنن إبن ماجة : محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د / ت.
٤٩. سنن البهقي الكبرى : أحمد بن حسين علي، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.
٥٠. سنن الترمذي : محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ)، صححه وشرحه : أحمد محمد شاكر، (د / م) (د / م)، ١٩٣٨م.
٥١. سنن النسائي : النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق : عبد الفتاح أبو غادة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م.
٥٢. سير اعلام النبلاء : محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق : شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د / ت.

٥٣. شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين الاسترابادي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق : محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
٥٤. شرح القصائد العشر : يحيى بن علي الشيباني التبريزي (ت ٥٠٤هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٤م.
٥٥. شرح المعلقات السبع : الحسين بن احمد بن حسين الزوزني (ت ٤٣٢هـ)، مطبعة الدار العربية، بغداد، د / ت.
٥٦. شرح المفصل : موفق الدين بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، د/ت.
٥٧. الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار، ط١، دار العلم للملايين ١٩٥١م، ط٤، ١٩٨٧م.
٥٨. صحيح بن حبان : محمد بن حبان بن احمد التميمي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
٥٩. صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م.
٦٠. صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، بحاشية السندي، ١٩٨٧م.
٦١. صحيح مسلم : مسلم بن حجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، د / ت.
٦٢. صفوة البيان لمعاني القرآن : حسنين محمد مخلوف، ط٢، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٩٨٧م.
٦٣. صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني، ط٢، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م.
٦٤. العظمة : محمد بن جعفر بن حيان الاصبهاني (ت ٣٦٩هـ)، تحقيق : رضاء الله بن محمد ادريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ١٩٨٧م.
٦٥. العين : الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تحقيق : د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي، ط٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٦٦. غريب القرآن : أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠هـ)، مطبعة التوفيق الأدبية، د / م، ١٩٢٤م.
٦٧. فتح الباري : ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي وآخر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٦٨. الفردوس بمأثور الخطاب : أبو شجاع شيرويه بن شهردار الهمذاني (ت ٥٠٩هـ)، تحقيق : السعيد بن بسيني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
٦٩. الفروق في اللغة : الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق : لجنة أحياء التراث العربي، ط٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ — ١٩٨٠م.
٧٠. في ظلال القرآن : سيد قطب، ط٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ — ١٩٧١م.
٧١. قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : الحسين بن محمد الدامعاني (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق : عبد العزيز سيد الأهل، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م.
٧٢. القرآن الكريم وبهامشه كتاب نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، راجع الاستاذ عبد الحلیم بسيني، مطبعة المكتبة السعيدة، مصر، د / ت.
٧٣. القرآن الكريم وبهامشه كلمات القرآن : حسنين محمد مخلوف، دار الخير للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢م.
٧٤. قصص الرحمن في ظلال القرآن : احمد فائز الحمصي، ط١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م.
٧٥. الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار الجيل للطباعة، مصر، ١٩٨٢م.
٧٦. كتاب الألفاظ الفارسية المعربة : السيد أدی شیر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٨م.
٧٧. كتاب القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، دار العودة، بيروت، د/ت.

٧٨. كشف اصطلاحات الفنون : محمد علي التهانوني (ت ١١١٩هـ)، بتصحيح المولوي محمد وجه وآخرون، كلكتة، ١٨٦٣م.
٧٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٧م.
٨٠. كلمات القرآن الكريم تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف، تعليق : محمد شاكر، دار احياء التراث العربي، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
٨١. الكليات : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م.
٨٢. لسان العرب : جمال محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.
٨٣. مباحث في علوم القرآن : د. صبحي صالح، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢م.
٨٤. متن اللغة : الشيخ احمد رضا (ت ١٩٥٣هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨م.
٨٥. مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن مثنى التميمي (ت ٢١٠هـ)، تعليق : محمد فؤاد سزكين، ج١، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠؛ ج٢، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٢م.
٨٦. مجمع الزوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٦م.
٨٧. مجمل اللغة : أبو الحسن احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق : هادي حسن حمودي، ط١، الكويت، ١٩٨٥م.
٨٨. محاضرات في علم الصرف : د. علي جابر المنصوري، علاء الدين هاشم الخفاجي، بيت الحكمة، بغداد، د / ت.
٨٩. المٌخصص : ابو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيدة (ت ٤٥٨هـ)، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، د / ت.
٩٠. مدارك التنزيل وحقائق التأويل : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧٠١هـ)، راجعه وضبطه : إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، د / ت.

٩١. المذكر والمؤنث : محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق : طارق الجنابي دار الرائد العربي، بيروت، د / ت.
٩٢. المستدرك على الصحيحين : الحاكم النيسابوري (ت ٣٢١هـ)، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.
٩٣. مستند الأجداد في آلات الجهاد : لابن جماعة الحموي، تحقيق وشرح، أسامة ناصر النقشبندی، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٣م.
٩٤. مسند البزار : أبو بكر احمد بن عمر البزار (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن والحكم، بيروت، ١٤٠١هـ — ١٩٨٨م.
٩٥. مسند الشافعي : أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د / ت.
٩٦. المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم : محمود شيت خطاب، ط١، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦م.
٩٧. مصنف بن أبي شيبة : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٩٨٨م.
٩٨. معارج التفكير ودقائق التدبر : عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٢م.
٩٩. معاني الأبنية في العربية : د. فاضل صالح السامرائي، ط١، جامعة الكويت، ١٩٨١م.
١٠٠. المعاني الثانية في الأسلوب القرآني : د. فتحي احمد عامر، منشأة المعارف الإسكندرية، د / ت.
١٠١. معاني القرآن : أبو بكر زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق : محمد علي النجار وآخر، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.
١٠٢. معجم ألفاظ القرآن : مجمع اللغة العربية، ط٢، المطبعة الثقافية، مصر، ١٣٩٠هـ — ١٩٧٠م.
١٠٣. معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : محمد إسماعيل إبراهيم، ط٢ منقحة ومزيدة، دار النصر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٨م.
١٠٤. معجم الجاحظ : د. إبراهيم السامرائي، مطابع كويت تايمز، د / م، ١٩٨٢م.

١٠٥. المعجم الفلسفي : الدكتور جميل صليبا، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧١م.
١٠٦. المعجم الكبير : سليمان بن احمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣م.
١٠٧. معجم لغة العرب : جورج متري عبد المسيح، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٣م.
١٠٨. معجم المؤنثات السماعية العربية الدخلية : د. حامد صادق قنبيبي، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م.
١٠٩. المعجم المساعد : الأب أنستاس ماري الكرملّي (ت ١٩٤٧م)، تحقيق : كوركيس عواد وآخر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢م.
١١٠. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : نظمه لفيف من المستشرقين، مطبعة برييل، ليدن، ١٩٦٩م.
١١١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، مصر، ١٩٨٨م.
١١٢. المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة العلمية، طهران، د / ت.
١١٣. المُعرب من الكلام الأعجمي : موهوب بن احمد بن محمد الجوايقي (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق : احمد محمد شاكر، ط٢ مزيدة ومنقحة، مطبعة دار الكتب، ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م.
١١٤. المُعرب في ترتيب المعرب : ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي (ت ٦١٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د / ت.
١١٥. المفردات في غريب القرآن : الحسين بن محمد (الراغب الاصفهاني) (ت ٥٢٤هـ)، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، ١٩٧١م.
١١٦. المفصل في علم العربية : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ) وبذيله كتاب المفصل في شرح أبيات المفضل للسيد محمد بدر الدين الحلبي، ط٢، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، د / ت.
١١٧. مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري : د. احمد جمال العمري، دار المعارف، مصر، د / ت.

١١٨. مقاييس اللغة : أبو الحسن احمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
١١٩. المكايل والاوزان الإسلامية : فالتر هنتس، ترجمة، د. كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.
١٢٠. من أدب القرآن : د. احمد الشرباصي، مطابع دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.
١٢١. من بديع لغة التنزيل : د. إبراهيم السامرائي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٢٢. المنجد في اللغة والإعلام : ط٢٣، دار المشرق، بيروت، د / ت.
١٢٣. المنجد في اللغة والإعلام، ط٢٣، دار المشرق، بيروت، د / ت.
١٢٤. موطأ أبين مالك، مالك بن انس، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، د / ت.
١٢٥. النبوات : تقي الدين ابي العباس احمد بن تيمية، (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق : د. عبد العزيز صالح الطويان، ط١، المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠٠م.
١٢٦. نظرات فاحصة في قواعد رسم الكتابة العربية وضوابط اللغة : محمد بهجة الأثري، ط١، مطابع الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩١م.
١٢٧. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : هارون بن موسى القارئ (ت ٢٠٠ هـ)، تحقيق : حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨م.

### ثانياً : الرسائل والأطاريح الجامعية

١. أسماء الأنبياء وصفاتهم في القرآن الكريم : صالح مطر عبدالله اللويزي، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠١م.
٢. الجمان في تشبيهات القرآن لابن نايقا البغدادي : عدنان مهدي سلطان، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٠م.
٣. القيم الجمالية في السور المكية : ورقاء يحيى قاسم، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٩م.

٤ . الكناية في القرآن الكريم : احمد فتحي رمضان، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الاداب، جامعة الموصل ١٩٩٥م.

### ثالثاً : البحوث المنشورة في الدوريات

- ١ . مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، اسم الآلة، حسين والي، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٦م.
- ٢ . مجلة اللسان العربي، التتمية اللغوية ودور الاشتقاق فيها، شحادة الخوري، العدد ٩، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ١٩٨٧م.
- ٣ . مجلة مجمع اللغة العربية، العصا في اللغة والأدب، علي الجندي، ج ٢٦، مطبعة مصر، ١٩٧٠م.
- ٤ . مجلة اللسان العربي، الفارابي اللغوي، د. احمد مختار عمر، العدد ٢٠، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ١٩٨٣ م.
- ٥ . مجلة المورد، المدخل إلى تقويم اللسان، د. حاتم الضامن، العدد ٣-٤، المجلد العاشر، ١٩٨١م.

## **Abstract**

After we have made search and inquiring about the subject in Koranic Linguistic lesson, we reached to the address of search which is (the Tool and the instrument in Glorious Koran) as lexicon and studying.

The important of this study comes as an intention study. Standing the direct discovery, which is specialized to the rung audible and direct sensing for many vocabularies-under study debit. The meaning means that study tend to establish an approach tends to check lexicon for these vocabularies and finding the invective's faces in it according to the using style to these true and metaphorical faces. Cause we didn't need to know the function of this instrument or to know the more which we were knowing before and knowing it in our daily uses, but the Tool's meant behind putting this word or others returned to the meanings and contexts which are more deep and accuracy in its description as an instrument and tool we used daily.

When the matter is studied in what is accounted from linguistic matter, the it has obliged to take the vocabularies which bearded the indicate of Tool and an instrument according alphabetic of lexicon.

It appeared that the meaning of Tool and an instrument in Holly Koran has many indicates which gave the meaning of Tool from where it is an instrument specialized with certain function

which is known and spread between people. So Koran has used it as a direct usage, other instrument led us to the metaphorical

Linguistic indicate for the idiom with the meaning of indicating to the other meaning out the indicate of tool and an instrument with its direct sensing meaning. So the plan of search didn't tend to form accounting wept but to seek analytic treatment and follow the function's use for Tool and an instrument which required to follow the meanings and vocabularies with origin which is put for it. And depending on the annotators sayings who gave the indicate' understood according to what it deserved (the vocabularies). From this search we concluded the following results which is taken by the study.

1- Although what is found in lexicons and the handled books of linguistic. It is appearing, that tool and an instrument are two vocables put it by Arabs to indicate one meaning like our saying "the sword and anger"...but there is no harm to be difference between Tool and an instrument with an evidence of Ibin Saktit's saying "to what is probability to be transferring" cause the tool is the mean to treat with and being a mediator between the doer and who is doing that to reach it. It is another tool which is indicating the meaning from its pronunciation like (scissors) (tool) which the meaning of cutting which done by scissors. But (Mahlab) it refers to keep things and this suggest that there is difference between them cause of the Arabs have varied in using derivations. It solve us a problem with good solution fitting with language's instinct in releasing

the derive the names of instruments, tools with deeds and names which are fitting its meanings and functions.

- 2- The aims of mentioning the names of tool and instrument in Holley Koran with the same pronunciation of the used names in our daily life. Is to know it and it usual to us and near from our awaking, minds, and imaginations to reach to the intent of what is the most deep and understood from the usual function using for instrument and tool.
- 3- The holly Koran has dealt with many pronunciations which are expressed in the context of its (Koranic sayings) within our search subject "tool, and instrument" like Clothes, Pillows which are mentioned in search, and this is an evidence that Holly Koran addressed each age (time) in its mental, language, and believing).
- 4- At the end of argument...the public life is developing and in progress everyday in all fields of life. Like in the field of industry which is needing to different instruments, tools not like the simple tool and instruments which were founded before, cause the life we simple. So the linguistics were standing on three standard weights for names of tools and instrument. But the advanced of our time need to derive many derivation fitting to our time and tools and instruments fitting our time. So it allowed us to say that it is not limit the derivation of weights of tools and instrument in three classifications. And this what is reached by sciences and we are showing this in our search before.

*Tool and Instrument in  
Glorious Koran  
Dictionary and Study*

*A Project Submitted  
By*

*Shatha Mayof Yonis Al-Shamma*

*To  
The College of Education Council in the Mosul University  
As a Fulfillment Requirement of Master Degree  
In Arabic Language*

*Supervised By*

*Professor  
Hani Sabri Ali Alyonis*

---

*Jamada Alawal 1426 A. H.*

*June 2005 A. D.*